القرآن والعلوم البشرية

دروس منهجية



إعداد
الدكتور هاشم ابو خمسين

القرآن والعلوم البشرية

دروس منهجية

إعداد

الدكتور هاشم أبو خمسين

القرآن والعلوم البشرية

دروس منهجية



إعداد

الدكتور هاشم أبو خمسين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة يوسف: ٧٦]

عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: لَمَّا جَلَسَ عَلِيٌّ فِي الْخِلاَفَـــةِ وَبَايَعَهُ النَّاسُ خَرَجَ إِلَى الْمَسْـــجِدِ مُتَعَمِّمـــاً بِعِمَامَـــةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله لاَبِساً بُرْدَةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مُتَنَعِّلاً نَعْـــلَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مُتَقَلِّداً سَيْفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ النَّاسِ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي هَذَا سَفَطُ الْعِلْـــمِ هَذَا لُعَابُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله هَذَا مَا زَقَّنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله زَقّاً زَقّاً سَلُونِي فَإِنَّ عِنْدِي عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

[التوحيد (للصدوق) باب حديث ذعلب: ٣٠٥]

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى محمّد وَآلِ محمّد، الْفُـلْكِ الْجارِيَـةِ فِي اللُّجَجِ الْغامِرَةِ، يَأْمَنُ مَنْ رَكِبها، وَيَغْرَقُ مَنْ تَرَكَهَا، الْمُتَقَـدِّمُ لَهُمْ مارِقٌ، وَالْمُتَأَخِّرُ عَنْهُمْ زاهِقٌ، وَاللاّزِمُ لَهُمْ لاحِقٌ، اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى محمّد وَآلِ محمّد، الْكَهْفِ الْحَصينِ، وَغِيـاثِ الْمُضْطَرِّ الْمُسْتَكينِ، وَمَلْجَأِ الْهارِبينَ، وَعِصْمَةِ الْمُعْتَصِمينَ.

السيد ابن طاووس

إقبال الأعمال/ الصلوات الشعبانية

المقدّمة

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، ووسيلة إلى قربه، والصلاة والسلام على نبيه نور الأنوار، ومحرم الأسرار، سيدنا الأمجد، أبي القاسم محمدﷺ، الشموس الطالعة، والبدور المنيرة، الذين اشتق أنوارهم من نور اللهﷻ، والذين جعل الله علم الأنبياء في علمهم، وعز الأولياء في عزهم، وسر الأصفياء في سرهم كالقطرة في البحر. والذين هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، وفيهم كرائم القرآن، وهم ألسنة الصدق، وأزمة الحق. ولا سيما على وصيه المؤتمن الذي جعل الله محبته وولايته عنوان صحيفة كل مؤمن، مؤيد الأنبياء والوصيين، ومعلم الملائكة والروحانيين، أصل شجرة طوبى، وحقيقة سدرة المنتهى، المتحد نوره مع المصطفىﷺ، أبي الحسن المجتبى، أبي الحسين قتيل العبرة، زوج فاطمة الزهراء، صلوات الله عليهم أجمعين. واللعنُ على أعدائهم من أول الدهر إلى المنتهى. اللهم لك الحمد على ما ألهمتني من شكرك، وجعلتني من محبي ولاة أمرك.

اما بعد، لقد كتب المفسرون والمتخصصون في الدراسات القرآنية بحوثا علمية مفيدة، سدّت ما بين الخافقين إلا أن أكثرها مما يتعلق بماض المعلومات التفسيرية وتاريخ علم التفسير أو علوم القرآن الكريم، وأقصد من ذلك قلة تلك الأبحاث التي تدفع بالبحوث القرآنية إلى المستقبل والإنفتاح على العلوم البشرية للإنتفاع منها في كشف معاني جديدة خفيت علينا - لجهلنا ببعض العلوم مثلا - أو لتعميق بعض المعارف والتفاسير أو للاستدلال على صحة بعض المعلومات التفسيرية وتعديل أو تكميل أو تطوير بعضها.

فالعلم هو اللغة المشتركة بين البشر، وهو علامة الحضارة وبه نستطيع مخاطبة كل الديانات والتيارات، وبالتفسير العلمي والإعجاز العلمي يبقى القرآن حجة مستمرة على البشرية، ودليل اهتمام القرآن الكريم البالغ بالعلم والعلماء أن مفردة «العلم» باشتقاقاتها المختلفة وردت فيه أكثر من سبعمائة مرة. وألقى تطور العلوم التجريبية بأثره الإيجابي على فهم وتفسير الآيات القرآنية المباركة تفسيرا علميا. أما ما يدّعى من تعارض بين القرآن والعلوم التجريبية سنجد أنه لا أساس له. وقد استخدمت مفردة «العلم» في القرآن لتعني معنيين: العلم بمعناه الخاص أي اللاهوت، والعلم بمعناه العام وهو مطلق العلم والمعرفة.

ويهدف هذا الكتاب الى ان يكون محاولة متواضعة لوضع منهج دراسي تخصصي يعرّف بأهم المحطات التي يمكن للمتخصص القرآني أن يقف عندها فيتزود بالمباحث العلمية التي تجعله واقفا على العلاقة

بين القرآن والعلوم، والنظريات في ذلك، وكيفية تعامل القرآن مع العلوم، وكيفية استخدام العلوم في فهم القرآن، والمعايير في ذلك، وغيرها مما يجعل الباحث القرآني متطلعا إلى فتح باب الدراسات البينية (ذات التخصصين) والتي يتولد عنها علوم جديدة بصبغة وإطار ونظرية قرآنية.

فقد تمّ إعداد المفردات الدراسيّة المطروحة في هذا الكتاب نظراً إلى الحاجة الماسّة إليها، ولخلوّ المكتبة - على حد علم الباحث - من منهج كهذا، وهو مشروع عصري في عالم التفسير لفتح الباب للدارسين للتطلع إلى كتابة التفاسير العلمية التخصصية المختلفة، وقد روعي في تدوينه وجمع مفردات المادة المقررة في جامعة المصطفى العالمية ووزارة التعليم والبحث العلمي في جمهورية إيران الإسلامية ومتطلبات الحوزة العلمية في مدينة قم الزاهرة، فكان الكتاب على فصلين (المبادئ العامة حول التفسير والإعجاز العلمي) متشكلة من دروس منهجية ومرقمة وملخصة ومزودة بأسئلة للاختبارات.

إنّ أساس فكرة هذا الكتاب هي أن يقدّم هذا المشروع للطالب دروساً متسلسلة مختصرة تناسب طلّاب الدراسات العليا في الجامعات والمعاهد الإسلامية، يتمّ من خلالها تعريف الطالب بمكونات ومراحل ومحتويات التفسير العلمي للقرآن الكريم؛ فيعطي هذا الكتاب صورةً حقيقية مجملة عن علاقة القرآن الكريم والعلم وعن التفسير العلمي للقرآن الكريم لدى الطالبين، مع بيان صورة عامّة يصحّ أن

يُطلق عليها تمهيداً ومدخلاً يتدرّج الطالب بوساطته إلى دروس التفسير وعلومه التخصّصية.

وأردنا في الفصل الأول من هذا الكتاب تحرير الموضوع من خلال تعريف القرآن وتعريف العلم وبيان العلاقات بينهما والنظريات في ذلك وكيف أثر القرآن في العلوم من خلال سبر التاريخ والتفاسير فنتعرف على الآيات العلمية والأهداف منها وهل للقرآن أن يقدم بعض النظريات العلمية أو لا؟ وما إلى ذلك من أمور تعد من المقدمات. وركز الفصل الثاني على التفسير العلمي وتعريفه وتاريخه وأدلته وأنواعه وأفكار وطرق الحصول عليه ودور العلم في تطوير التفسير وأخيراً ذكر الإعجاز العلمي وتعريفه وبعض أوجه الإعجاز العلمي.

والكتاب هذا ليس الأول من نوعه بل سبقه كراس أستاذنا الكبير المفسر حجة الإسلام الدكتور محمد علي الرضائي الأصفهاني حفظه الله، فهو أعدّ من خلال تجميع النصوص من الكتب التخصّصية في علم التفسير؛ لذا لا بدّ أن نذكر الأساتذة الكبار - الذين قدّموا للقرآن كثيراً من وقتهم ومن عمرهم - بالشكر والإمتنان؛ ومن أهمّ المصادر التي رجع إليها هذا المدخل:

١- كراسة (القرآن والعلوم) للدكتور محمّد علي الرضائيّ الأصفهانيّ.

٢- كتاب (دروس في المناهج والإتجاهات) للدكتور محمّد علي الرضائيّ الأصفهانيّ.

٣- كما اعتمد الكتاب على برنامج جامع التفاسير وبرنامج مشكاة الأنوار.

٥- واقتبس من مجموعة من الكتب والمقالات لكثير من العلماء وللمؤلّف.

ولا أنسى أن أتقدّم بالشكر إلى جميع الإخوة الأعزّاء وأخص بالذكر الأخ سماحة الشيخ محمد عسكريان وكذلك الشيخ الأستاذ صدر الدين سى، والأخوة الذين ساهموا في رفد الكتاب ونقده وتصحيحه.

والحمدلله ربّ العالمين والصلاة والسلام على الحبيب محمّد وآله الطاهرين.

هاشم أبو خمسين

صفر المظفر ١٤٤٠هـ. ق

تشرين الأول ٢٠١٨م

الفصل الأول: بين القرآن والعلم

الحديث الافتتاحي للفصل الأول

عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ قَالَ: تكَلَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَعليه السلام بِتِسْعِ كَلِمَاتٍ ارْتَجَلَهُنَّ ارْتِجَالًا، فَقَأْنَ عُيُونَ الْبَلَاغَةِ وَأَيْتَمْنَ جَوَاهِرَ الْحِكْمَةِ وَقَطَعْنَ جَمِيعَ الْأَنَامِ عَنِ اللِّحَاقِ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ؛ ثَلَاثٌ مِنْهَا فِي الْمُنَاجَاةِ وَثَلَاثٌ مِنْهَا فِي الْحِكْمَةِ وَثَلَاثٌ مِنْهَا فِي الْأَدَبِ؛ فَأَمَّا اللَّاتِي فِي الْمُنَاجَاةِ فَقَالَ: إِلَهِي كَفَى لِي عِزّاً أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْداً، وَكَفَى بِي فَخْراً أَنْ تَكُونَ لِي رَبّاً، أَنْتَ كَمَا أُحِبُّ فَاجْعَلْنِي كَمَا تُحِبُّ، وَأَمَّا اللَّاتِي فِي الْحِكْمَةِ فَقَالَ: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ، وَمَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَالْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ، وَأَمَّا اللَّاتِي فِي الْأَدَبِ فَقَالَ: امْنُنْ عَلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ، وَاحْتَجْ إِلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيرَهُ، وَاسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتَ تَكُنْ نَظِيرَهُ[1].

---

(١) محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الخصال: ٢/ ٤٢٠.

بين القرآن والعلم



لقد بلغت الآيات الداعية إلى العلم والعقل والفكر والتدبر في النجوم والنفس والخلق والمخلوقات وغيرها مما قد يطلق عليها الآيات العلمية - مقابل الآيات الفقهية وآيات الأحكام - إلى أكثر من ألف آية قرآنية كريمة، وهو عدد يجعل الباحث في موقف صعب أمام دراسة هذه الآيات وإعطاء نظرية خاصة بها وبفلسفتها وأهدافها. وبالتالي فنحن أمام فكرة مهمة جدا وهي أن الإسلام والقرآن الكريم كتاب داع إلى العلم والإكتشاف والبحث وأنه قد أولى العلم أولوية خاصة ومقدمة على غيرها؛ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢].

ولما تحققت عندنا ظاهرة الآيات العلمية الواسعة جدا، ظهرت مجموعة من الأسئلة العامة والتخصصية بين الباحثين في العلوم الطبيعية والمختصين بالعلوم الدينية حول هذا الشأن، منها: ما هي

---

(٢) القلم: ٣- ٥.

الآيات العلمية وكيف تفسر؟ وماذا تريد أن تثبت؟ وهل تتعارض مع العلوم البشرية؟ وهل يجوز التفسير العلمي لها؟ وغيرها من الأسئلة. فقد حاول هذا الكتاب بفصليه أن يقدم دراسة منهجية للوقوف على تلك الأسئلة لتوفير الإجابات المناسبة لها.

وعليه يعد الفصل الأول من هذا الكتاب مقدمة مفاهيمية لموضوع القرآن والعلوم البشرية سواء منها القديمة كالطب والفلك أو المعاصرة الحديثة كالتربية والإجتماع والنفس.

وعليه فقد كانت مهمة الفصل الأول هي بيان الإطار النظري العام للموضوع، فهو يحاول أن يتناول تعريف القرآن وتعريف العلم، العلاقة بين القرآن والعلم، فكرة وجود العلوم البشرية في القرآن الكريم، شبهة التعارض بين القرآن والعلوم والحلول للرد عليها، تأثير القرآن على العلوم البشرية بين المسلمين، أهداف الآيات العلمية، وآفات العلوم البشرية من المنظور القرآني. كل ذلك لبيان العلاقة التاريخية والعلمية والتفاعلية بين القرآن والعلوم، ولمحاولة رسم صورة مجملة لهذا الموضوع المهم الذي تناوله المفسرون والباحثون والمستشرقون بأشكال مختلفة ومن زوايا عدة.

كما أننا سنرى أن بعض العلماء المسلمين روج لفكرة أن كل العلوم البشرية موجودة في القرآن الكريم وأن الإنسان يمكنه استخراج ذلك، إلا أن إهمال البحث عنها أخفاها في آيات القرآن الكريم فبقية كامنة ودفينة إلا على الأوحدين ممن لهم الحظ العظيم، وبناءا على هذا الرأي يكون القرآن الكريم أشبه بالكتاب العلمي منه بالكتاب الهادي.

وهناك من المسلمين من اختلفت رؤياه عما سبق ورأى أن القرآن الكريم لا يشتمل على جزئيات العلوم البشرية كلها وبتفصيلها بل على عموم المواضيع العلمية وأهم التوجيهات العامة للعلوم كحرمة الربا في علم الاقتصاد.

لقد قمنا بتقسيم الكتاب إلى فصلين؛ الأول منها: (بين القرآن والعلم) وهو يمثل المحور الأول من الكتاب إذ يوفر المقدمات اللازمة، التي يعتمد عليها الفصل الثاني الموسوم بـ: (التفسير والإعجاز العلمي للقرآن الكريم).

وفي الفصل الأول نحاول أن نوفر المباحث التمهيدية والتصورية من التعريفات وبيان العلاقات بين عناصر الموضوع وتحديد أقسامه وحدوده وبعض الأهداف الخاصة.

ولأن موضوع الكتاب هو القرآن والعلوم البشرية، فإن مهمة الفصل الأول هي تحرير الموضوع من خلال تعريف القرآن وتعريف العلم وبيان العلاقات بينهما والنظريات في ذلك وكيف أثر القرآن في العلوم من خلال سبر التاريخ والتفاسير فنتعرف على الآيات العلمية والأهداف منها وهل للقرآن أن يقدم بعض النظريات العلمية أو لا؟ وما إلى ذلك من أمور تعد من المقدمات.

محتويات الفصل الأوّل:

١. تعريف القرآن والعلم
٢. ما هو العلم (معيار العلم ومراحل تكونه)
٣. مراحل العلم في الفكر البشري والقرآن

٤. مصادر المعرفة والعلم في القرآن الكريم

٥. فكرة وجود العلوم البشرية في القرآن الكريم

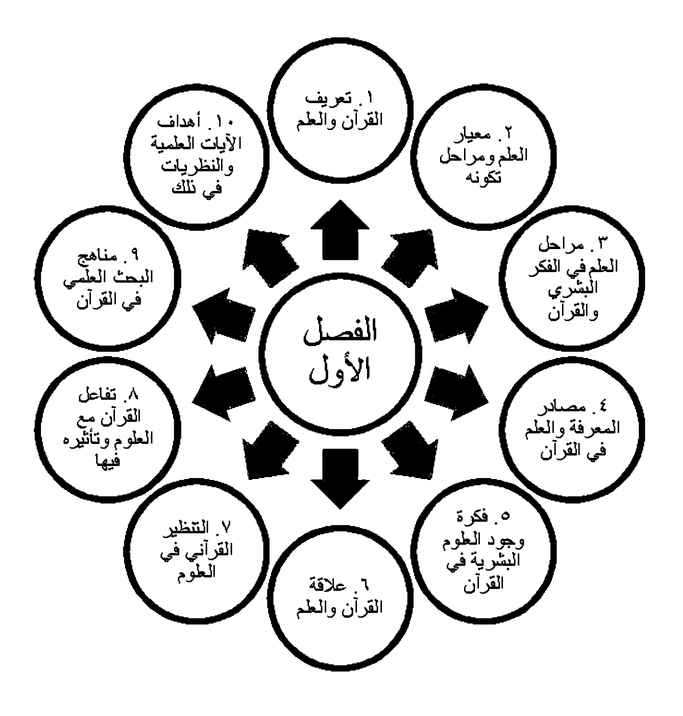
٦. علاقة القرآن والعلم

٧. التنظير القرآني في العلوم

٨. تفاعل القرآن مع العلوم وتأثيره فيها

٩. مناهج البحث العلمي في القرآن الكريم

١٠. أهداف الآيات العلمية والنظريات في ذلك



الدرس الأوّل: تعريف القرآن والعلم

الهدف الأساسي للدرس:

تقديم التعريف الصحيح للقرآن والمقصود من العلم.

أهداف ثانوية في الدرس:

١- دراسة التعاريف الإصطلاحية للقرآن الكريم.

٢- اختيار تعريف للقرآن الكريم.

٣- تقديم تعريف للمراد من اصطلاح العلم.

٤- التعرّف على خصوصيات العلم.

المحتوى العلمي

المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحا

المطلب الأول: تعريف القرآن من الجهة المعنائية واللغوية في القواميس

وآراء العلماء مدرجة في قسمين:

الأول: آرائهم في لغة القرآن على كونه مشتقّا

منها:

١. رأي الطبري: أنّه مشتق من قرأ أي تلا[٣].

٢. رأي القرطبي: أنّه مشتق من قرأ بمعنى تلا. فيقال يقرأ قرآنا فهو مهموز على وزن (غفر يغفر غفرانا) والمصدر يدل على معنى إسم المفعول أي أن القرآن مصدر بمعنى مقروء، وسمّي القرآن به لأنه يقرأ و يتلى[٤]. قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[٥].

وعلى القولين فلفظ قرآن مهموز، وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف وإذا دخلته «ال» بعد التسمية فإنما هي للمح الأصل لا للتعريف[٦].

٣. الأشعري: يقول كلمة قرآن مشتقة من قرنت الشيء بالشيء، اذا ضممت أحدهما إلى الأخر وسمّي به القرآن لأنه ضم السور والآيات والحروف[٧].

٤. الفراء: يقول هو مشتق من القرائن، لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ويشابه بعضها بعضا وهي قرائن.

وعلى القولين هو بلا همز، ونونه أصلية.

٥. الزجاج: يقول هو وصف على فعلان، مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه قرأت الماء في الحوض اي جمعته[٨].

---

(٣) الزركشي، بدر الدين بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ١٨.

(٤) نفس المصدر: ١٩.

(٥) القيامة: ١٧.

(٦) اكرم عبد خليفة الدليمي، جمع القرآن: ١٧.

(٧) الأشعري، أبوالحسن بن علي، كتاب: ٤٥/١.

(٨) الزجاجي، ابوالقاسم عبد الرحمن، حروف المعاني: ٥٦/٣.

الثاني: آرائهم على كونه إسم علم

منها:

١. الشافعي: القرآن هو إسم علم غير مشتق، خاص بكلام الله تعالى، فهو غير مهموز[١].

٢. أبوعبيده: القرآن سمّي بذلك لأنه جمع السور بعضها ببعض[٢].

ببعض[٢].

٣. الراغب الأصفهاني: لا يقال لكل جمع قرآن، وإنما سمّي قرآنا لكونه جامعا لكل الثمرات[٣].

٤. ابن المنظور: القرآن إسم ليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه إسم لكتاب الله، كالتوراة والإنجيل[٤]. قال تعالى: **﴿فَإذا قَرَأناهُ فاتَّبِع قُرآنَهُ﴾**[٥].

٥. ابن أثير: إن الأصل في لفظة قرآن هو الجمع، وكل شيء جمعته فقد يسمّى قرآنا، فسمّي القرآن به لأنه مجموع من عدة آيات وسور[٦].

---

(١) الزرقاني، عبد العظيم، من مناهل علوم القرآن: ٢٢.

(٢) نفس المصدر: ٢٦.

(٣) الأصفهاني، أبوالقاسم بن محمد الراغب، المصدر السابق: ٤٠٤.

(٤) انظر، ابن المنظور، محمد بن مكارم، نفس المصدر: باب القاف، ٥٧/٢.

(٥) القيامة: ١٨.

(٦) الزرقاني، عبد العظيم، المصدر السابق: ٢٨.

المطلب الثاني: التعاريف الإصطلاحية

ونريد الان أن نقدّم لك أيها الباحث العزيز مجموعة من التعاريف الإصطلاحية:

أوّلاً: القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، المعجز، المنزّل على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمّد ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس، والمتحدّى بأقصر سورة منه.

فـ «الكلام» جنس في التعريف يشمل كل كلام وإضافته إلى الله تعالى تخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة، و«المنزّل» تخرج كلام الله تعالى الذي استأثر به عز وجل، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً**﴾[١] وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ**﴾[٢]. وبقولنا «المنزّل على محمّد ﷺ» يخرج ما أنزل على الأنبياء من قبله مثل التوراة والإنجيل وغيرهما، وجملة «المتعبد بتلاوته» تخرج قراءات الآحاد والأحاديث القدسية، إذا صح أنها منزلة من عند الله بألفاظها، لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك[٣].

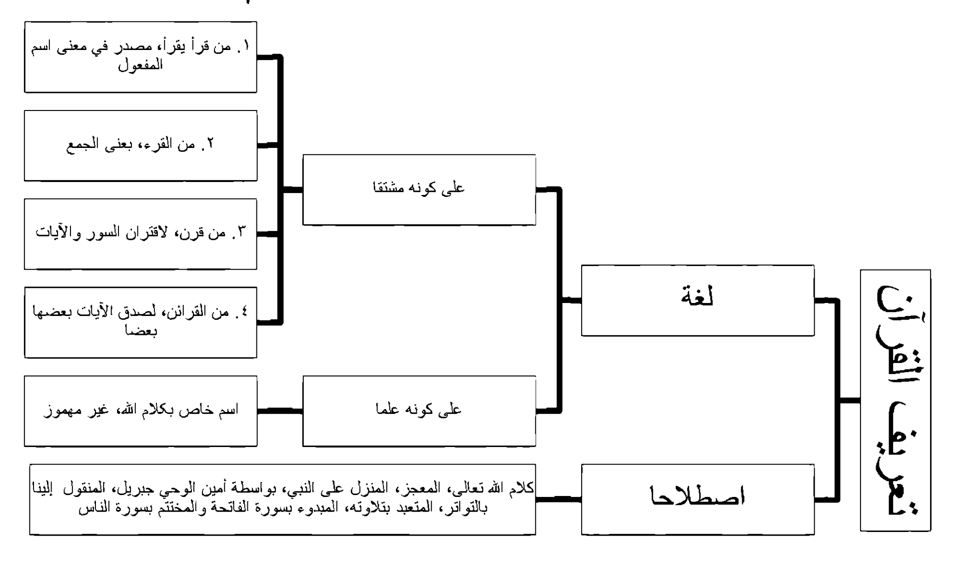
---

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) لقمان: ٢٧.

(٣) محمد احمد معبد، نفحات من علوم القرآن: ١١، (ط٢ الناشر: دارالسلام، اسكندرية، ٢٠٠٥).

ثانياً: وقال الشيخ صبحي الصالح رحمه الله: هو الكلام المعجز، المنزّل على النبي صلى الله عليه وآله، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته[١]. ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن وعلى كل آية من آياته فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول إنه يقرأ القرآن؛[٢] ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٣].



الرسم البياني لتعاريف القرآن

---

(١) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: ٢١ (دار العلم للملايين ط١٦).

(٢) الدكتور محمد عمر حويه، نزول القران الكريم وتاريخه: ٧، (الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة).

(٣) الأعراف: ٢٠٤.

المبحث الثاني: تعريف العلم

ما هو العلم؟

قال ابن فارس في لغة العلم ما لفظه: «العين واللام والميم أصل صحيح واحد يدلّ على أثر بالشيء يتميّز به عن غيره. من ذلك العلامة»[١]. لكن للعلم[٢] معان إصطلاحية مختلفة ولإيضاح اكثر نشير لها باختصار.

يستخدم اصطلاح العلم في الموارد التالية:

١. الاعتقاد اليقيني المطابق للواقع، في قبال الجهل البسيط والمركب.

٢. مجموعة قضايا كلية حقيقية لها محور خاص، منظمة منطقيا من أجل تحقيق هدف محدد.

هذا الإصطلاح يطلق على أغلب العلوم، اي عندما تضاف كلمة «علم» إلى كلمة «الطب» ونقول «علم الطب»، لا نقصد من كلمة «علم» عندها معنى التصور والتصديق، بل نقصد أنه مجموعة قضايا كلية حقيقية لها محور خاص أو موضوع خاص منظمة منطقيا من أجل تحقيق هدف محدد وهو سلامة البدن.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة "علم".

(٢) المنطقيون يعرفون العلم بأنه: حصول صورة الشيء عند العقل، ويقسمونه الى علم حصولي وحضوري. (راجع: المنطق للمظفر، مبحث العلم) وبحثنا يدور حول العلم الحصولي الذي هو المعنى المنطقي للعلم، وان كان لفلاسفة الغرب كلاما آخر في هذا المجال، والذي سنشير اليه من خلال البحث.

٣. مجموعة قضايا حقيقية يمكن إثباتها عن طريق الحس والتجربة. وهذا الاصطلاح يستخدمه الوضعيون، وبناء عليه لا يعتبرون العلوم غير تجربية من ضمن العلم، وطبقا لهذا يضعون العلم قبال الفلسفة[١]. هذا الاصطلاح يجد اليوم رواجاً في العالم.

أقسام العلوم البشرية:

إن أول تقسيم للعلوم تقسيم الفارابي، فقد قسم العلوم إلى خمسة أقسام؛ الأول: علم اللسان، الثاني: علم المنطق، الثالث: علم التعاليم مثل العدد وأمثاله، الرابع: العلم الطبيعي والعلم الإلهي، الخامس: العلم المدني والفقه والكلام[٢].

وهناك عدة تقسيمات للعلوم، فقد تكون على أساس الحكمة (نظرية وعملية) وقد تكون على أساس الذهن؛ لأن الذهن مركز العلم، وبما أن لدينا ثلاثة قوى ذهنية (الحافظة، الخيال، العقل) إذن العلم كذلك على ثلاثة أنواع.

ويمكن تقسيم العلوم على أساس المنهج المستخدم في البحث وعليه تقسم إلى أربعة أقسام كما يلي:

أوّلاً: العلوم التجريبية؛ والتي تشتمل على قسمين:

١. العلوم الطبيعية: مثل الفيزياء والكيمياء والبيئة.

٢. العلوم الإنسانية الجامعة لعلم الإجتماع والإقتصاد.

---

(١) العلم في نظر هؤلاء يطابق كلمة science.

الفلسفة التي تعنى بالظواهر والوقائع اليقينية فحسب، مهملة كل تفكير تجريدي في الأسباب المطلقة.

(٢) الفارابي، إحصاء العلوم: ١١١ . ١٢٠، (الطبعة الثالثة، طبعة مصر).

ويقوم منهج هذه العلوم على المشاهدة والتجربة الحسية.

ثانياً: العلوم العقلية؛ وهي أيضا تشتمل على قسمين:

١. علوم المنطق والرياضيات.

٢. العلم الذي يعود إلى الواقع؛ يعني الفلسفة التي تشمل الفلسفات المضافة مثل فلسفة الأخلاق وفلسفة التاريخ، وفلسفات غير مضافة مثل الميتافيزيقيا أو الأمور العامة.

ثالثاً: العلوم النقلية؛ التي يستخدم النقل فيها كعلم التاريخ واللغة. وبالطبع يراد بها العلوم التعبدية الشرعية أيضا.

رابعاً: العلوم الشهودية؛ التي تتحصل بالعلم الحضوري كعلوم الأنبياء عليهم السلام والعرفاء.

العلوم الإنسانية

إن العلوم الإنسانية تطلق على العلوم التي يكون محور بحثها هو الإنسان وسلوكه مثل التربية والإقتصاد والسياسة والإدارة، كعلم النفس وعلم الإجتماع وعلم التاريخ التي أشار إليها القرآن بصورة عامة.

الاختلافات بين العلوم الإنسانية والطبيعية

مع ما أن العلوم الطبيعية[1] والعلوم الإنسانية[2] تعد من العلوم التجريبية ولكن هناك اختلافات وجب ذكرها من حيث إن معرفة العلوم الإنسانية مرتبطة بمعرفة حدود العلوم الطبيعية والإنسانية.

---

(١) Natural Sciences.

(٢) Humanities Sciences.

هذا أهم الإختلافات:

١- موضوع العلوم الطبيعية الطبيعة بدون إرادة واختيار، أما موضوع العلوم الإنسانية الإنسان بما له إرادة واختيار وشعور.

٢- الهدف الأساسي من العلوم الطبيعية هو معرفة الطبيعة وكشف الارتباط بين ظواهرها المتوقعة، أما هدف العلوم الإنسانية هو معرفة سلوك وعلاقة الناس فيما بينهم مع العناية بالإرادة والإختيار لديهم.

ومع أن النظريات العلمية صنيعة ذهن الإنسان لكن نظريات وقوانين علوم الطبيعة بما أنها متساوية ومنطبقة مع الواقع الخارجي بواسطة التجارب، نجد أن تدخل ذهنية الإنسان فيها بنسبة قليلة جدا.

العلم	تعريفه	لغة	العين واللام والميم، أصل صحيح واحد يدلّ على أثر بالشيء يتميّز به عن غيره
		اصطلاحا	مجموعة قضايا كلية حقيقية لها محور خاص منظمة منطقيا من اجل تحقيق هدف محدد
	أقسامه	العلوم التجريبية؛ وتشمل العلوم الطبيعية والإنسانية	
		العلوم العقلية؛ وتشمل علوم المنطق والرياضيات والفلسفة	
		العلوم النقلية؛ وتشمل علم التاريخ واللغة والعلوم التعبدية الشرعية	
		العلوم الشهودية؛ كعلوم الانبياء والعرفاء	

الجدول البياني لتعريف العلم و أقسامه

خلاصة الدرس الأوّل:

أهمّ النقاط التي نستخلصها من هذا الدرس هي:

١. التعريف الصحيح للقرآن هو: كلام الله تعالى، المعجز، المنزل على النبي، بواسطة أمين الوحي جبريل، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس.

٢. والمقصود من العلم هو: مجموعة قضايا كلية حقيقية، لها محور خاص، منظمة منطقيا من أجل تحقيق هدف محدد.

٣. وتنقسم العلوم البشرية إلى أربعة أقسام:

١) العلوم التجريبية؛ وتشمل العلوم الطبيعية والإنسانية.

٢) العلوم العقلية؛ وتشمل علم المنطق والرياضيات والفلسفة.

٣) العلوم النقلية؛ وتشمل علم التاريخ واللغة والعلوم التعبدية الشرعية.

٤) العلوم الشهودية؛ كعلوم الانبياء والعرفاء.

الأسئلة:

١- عرّف القرآن اصطلاحاً؟

٢- ما هو الاختلاف في التعريف اللغوي للقرآن الكريم؟

٣- ما هو المراد من العلم؟

٤- اذكر أقسام العلم؟

٥- ما هي العلوم الإنسانية؟

الدرس الثاني: ما هو العلم (معيار العلم ومراحل تكونه)

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على العناصر المؤلفة للعلوم ومراحل تكونه.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على بعض المناطات لكون القضية علمية.

٢. التعرف على ميزات العلميّ.

المحتوى العلمي

لم تكتمل الصورة بتمامها في الدرس الماضي حول متعلقات العلم وعليه لم يتم التعريف التام له، لعدم تناول الموضوع من جميع جوانبه، لذا نستمر في طرق جوانب البحث من خلال طرح اسألة:

ما هو العلم (معيار العلم) ومراحل تكونه (كيفية الحصول عليه)؟

وما هي الخطوات التي تمكن منه؟

وما هي النظرية؟

وما هي مميزات العلم وخصائصه؟

وهل إن طرقه عقلية أو لا، اي تجريبية؟

هذه الأسئلة تقود إلى تغطية الموضوع لكي تتم مقدمات البحث العلمي في كافة مراحل الفصل الدراسي هذا.

مراحل تكون العلم

لا ينوجد العلم تلقائيا أو اعتباطيا وبلا مقدمات أو بلا مراحل، بل لو طالعنا العلوم البشرية إليوم نرى أنها لم تكن إلا عبارة عن قضية واحدة بسيطة قبل ألف سنة مثلا، فتكاملت علما على حدة من خلال مراحل شتى.

فالروح أو النفس لم تكن إلا عبارة عن مسألة بسيطة في علم الفلسفة وهي أن النفس موجودة في الإنسان، وبعدما توضع هذه القضية للتوضيح والشرح وبيان الدليل ومناقشته، تكون المسألة قد نمت وربت وتطورت في حالها وحجمها بحثا ولم تبق مسألة فقط، فالمسألة تكون بحثا.

وبعد أن يراجع البحث وتعزز أدلته وتكشف تطبيقاته ونتائجه واختلافها أو مقارنتها بحالات عدة، سيتحول إلى دراسة واسعة قد تكون في الحقيقة عبارة عن عدد من البحوث. وهذه هي مرحلة أخرى من مراحل الرشد والنمو المعرفي السابقة لولادة العلم.

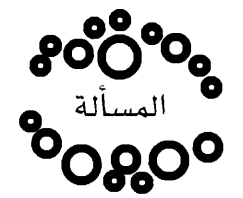
فما بالك والمسألة تتكثر وتكون مسائل، والبحث يتكثر فيكون بحوثا، والدراسة كذلك إلى دراسات.

وبتعدد تلك الدراسات واكتشاف أسسها ومشتركاتها وقواعدها وأهم النظريات أو المدارس فيها وغيرها، يكون العلم قد تشكل من خلال توفّر عناصر منظومته التنظيرية.

فمسألة النفس صارت بحثا ثم اهتمت بها دراسات ثم تحولت إلى علم النفس، وعلم النفس أيضا نما وتطور وصارت فيه علم النفس النمو وعلم النفس التجريبي وعلم النفس التحليلي وعلم النفس التربوي وغيرها، وعلم النفس النمو تطور وتكامل فصار فيه علم النفس النمو المعرفي وعلم النفس النمو الأخلاقي وعلم النفس النمو البدني وغيرها.

كذلك فالعلوم البشرية قد كانت مسائل بسيطة ثم تكاملت بحوثا ودراسات موسوعة ثم صارت علوما مستقلة.

العلم الدراسة البحث



مراحل تكوّن العلم

ما هي مكونات كل علم

نلاحظ في تعريفنا لعلم التربية - تعريفا ابتدائيا - أنه عبارة عن مجموعة قضايا كلية حقيقية مرتبط بالتربية، لها محور خاص أو موضوع خاص وهو تكامل الإنسان وتربيته، منظمة منطقيا فبعضها مقدمة للآخر وبعضها موجها للآخر وبعضها مفسرا للآخر وهكذا، من أجل تحقيق هدف محدد وهو تكامل الإنسان.

وعلم الطب هو عبارة عن مجموعة قضايا كلية حقيقية واقعية ترتبط بالبدن ومكوناته والأعشاب والمعادن وغيرها، لها محور خاص أو موضوع خاص وهو بدن الإنسان، منظمة منطقيا فبعضها مقدمة للآخر

وبعضها موجها للآخر وبعضها مفسرا للآخر وهكذا، من أجل تحقيق هدف محدد وهو سلامة بدن الإنسان.

وعلم النحو هو عبارة عن مجموعة قضايا كلية حقيقية مرتبطة بأصوات ألفاظ العرب وتغيراتها، لها محور خاص أو موضوع خاص وهو الكلمة، منظمة منطقيا فبعضها مقدمة للآخر وبعضها موجها للآخر وبعضها مفسرا للآخر وهكذا، من أجل تحقيق هدف محدد وهو صيانة اللسان من اللحن.

كذلك فالعلوم البشرية قد تكاملت منظوماتها الفكرية من تعريف الموضوع إلى الهدف وإلى الأسس والأصول ثم القواعد والمناهج ثم إلى النتائج وغيرها.

فمثلا نجد أن علم التربية يتكون من:

١. أسس أو مباني تربوية: واقعيات خارجية مؤثرة في العلية التربوية.

٢. أهداف التربية: ما يجب أن يصل إليه الإنسان في تكامله.

٣. أصول تربوية: الأوامر والقواعد العامة والخطط الأساسية.

٤. الطرق التربوية أو الأساليب التربوية: كيفية تحقيق الأوامر العامة، اي الأفعال الجزئية المحققة للقواعد الأساسية.

٥. العوامل التربوية: تلك الأشياء والأفراد التي تحقق التربية مثل المعلم.

٦. الأبعاد التربوية: المجالات التي يمكن أن تربى في الإنسان كالجانب البدني والجانب العقلي والجانب العاطفي.

٧. المراحل التربوية: الخطوات والفترات والأزمنة والحقب التي تتعاقب في تطور التربية.

٨. بيئة التربية: المحيط الخارجي الذي تقع فيه العملية التربوية.

وعلم التفسير يتألف في منظومته العامة من عدة عناصر أساسية، هي:

١. أصول التفسير.

٢. قواعد التفسير.

٣. مصادر التفسير.

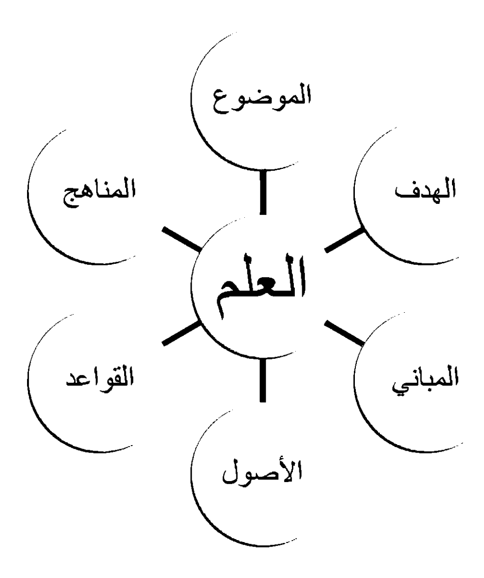
٤. شروط المفسّر.

٥. ضوابط فهم التفسير ومعايير التفسير المعتبر.

٦. مناهج التفسير.

٧. اتجاهات التفسير.

وهكذا بقية العلوم البشرية إذا تكاملت منظومتها المعرفية والتنظيرية.



العناصر المؤلفة للعلم

ميزات العلميّ

التعرف على المناطات والمعايير التي نعرف بها أن هذه القضية علمية أو لا، أمر مهم جدا في العلوم التجريبية، ويمكن لنا أن نتعرف على العلم أو العلمي من خلال التعرف على مناهج البحث فيه، لأنهم هناك يحددون النتائج العلمية المقبولة بشروط وصفات لكي تكون علمية، منها:

١. بالموضوعية والبعد عن التحيز الشخصي، فالعلم مستقل ومحايد، وليس مسألة شخصية.

٢. برفضه الإعتماد - لدرجة كبيرة وبدون تروّ - على العادات والتقاليد والخبرة الشخصية وحكمة الأوائل وتفسيراتهم للظواهر، ولا بأس بالإسترشاد بذلك.

٣. بإمكانية التثبت من نتائج البحث العلمي في أي وقت من الأوقات، وهذا يعني أن تكون الظاهرة قابلة للملاحظة.

٤. بتعميم نتائج البحث العلمي.

٥. بجمعه بين الإستنباط والإستقراء؛ اي بين الفكر والملاحظة، وهما عنصرا ما يعرف بالتفكير التأملي، فالإستقراء يعني ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها بهدف التوصل إلى تعميمات حولها، أما الإستنباط فيبدأ بالنظريات التي تستنبط منها الفرضيات ثم ينتقل بها الباحث إلى عالم الواقع بحثا عن البيانات لاختبار صحة هذه الفرضيات، وفي الإستنباط فإن ما يصدق على الكلي يصدق على الجزئي.

٦. بمرونتـــه وقابليتـــه للتعـــدد والتنـــوع ليـــتلاءم مـــع تنـــوع العلـــوم والمشكلات البحثية[١].

ميزات البحث العلمي

الموضوعية	عدم الاعتماد على العادات والتقاليد والخبرة الشخصية	إمكانية التثبت من نتائجه في أي وقت من الأوقات	تعميم النتائج	جمعه بين الاستنباط والاستقراء	ملائمته مع تنوع العلوم

ميزات العلمي

خلاصة الدرس الثاني:

تعلّمنا من هذا الدرس مسألتين مهمّتين، وهما:

الأولى: أهمّ عناصر العلم وهي كالتالي:

١) الموضوع.

٢) الهدف.

(١) عبد الرحمن بن عبد الله الواصل، البحث العلمي خطوات ومراحله: ١٧. [بتلخيص]، وزارة المعارف، ١٩٩٩م، السعودية.

٣) المباني.

٤) الأصول.

٥) القواعد والمناهج.

الثانية: ميزات البحث العلمي وهي كالتالي:

١) الموضوعية.

٢) عدم الإعتماد على العادات والتقاليد والخبرة الشخصية.

٣) إمكانية التثبت من نتائج البحث العلمي في أي وقت من الأوقات.

٤) تعميم نتائج البحث العلمي.

٥) جمع بين الإستنباط والإستقراء.

٦) الملائمة مع تنوّع العلوم.

الأسئلة:

١. ما هي مراحل تكون العلم؟

٢. ما هي مميزات العلمي؟

٣. ما هي العناصر المؤلفة للعلم؟

٤. ما هو المقصود من الموضوعية؟

٥. بيّن المراد من الجمع بين الإستنباط والإستقراء في العلم؟

الدرس الثالث: مراحل العلم في الفكر البشري والقرآن

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على مراحل العلم في الفكر البشري والقرآن.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على الفلسفات البشرية من حيث تقسيم مراحل العلم.
٢. التعرف على مراحل العلم في ضوء القرآن.

المحتوى العلمي

لا بدّ أن نشير إلى ملاحظة وذلك لكي لا نتسبب بالخلط والإشتباه عند الدارس العزيز؛ إذ إننا في الدرس الأول قلنا إن ما نريد أن نبحث عنه ليس العلم بمعنى التصور والتصديق - الذي يقال له العلم في المنطق ويقال له الكيف النفساني - وقلنا إن موضوع الكتاب هو العلم الإصطلاحي بمعنى مجموعة من القضايا كلية تبحث عن موضوع خاص لهدف خاص. وهذا يعني أن موضوع البحث في الكتاب هو العلم المألوف التي تدرس في الجامعات وتؤلف فيها الكتب، كعلم الطب، علم الهندسة، علم الفلسفة وغيرها، لكننا هنا في هذا الدرس وجهنا البحث

إلى مراحل العلم بمعنى الكيف النفساني (التصور والتصديق)، فهي مراحل تكوّن العلم والمعرفة للشخص (لا العلم في نفسه) وفي الحقيقة هي مراحل تمر بالإنسان حتى يتكون عنده العلم والمعرفة بالنسبة إلى شيء أو العلم الإصطلاحي.

مراحل العلم البشري

إنّ القائلين بتعدد المراحل في تحقق العلم البشري هم على طوائف نعبر عنهم بالعناوين التالية:

أوّلاً: أصحاب الفلسفة العلمية.

ثانياً: أصحاب الفلسفة الماديّة الديالكتيكيّة.

ثالثاً: الفلاسفة الإسلاميّون.

أوّلاً: نظرية الفلسفة العلمية في تعدد مراحل المعرفة

إن أصحاب هذه النظرية يقسمون مراحل المعرفة إلى الأقسام التالية:

١. المعرفة الحسيّة.

٢. المعرفة العلمية.

٣. المعرفة الفلسفية.

فكل معرفة متقدمةٍ تكون مقدِّمة لحصول معرفة أوسع وأكمل، وإليك البيان:

إذا عرّض الإنسان للنار معدنا خاصّا كالرصاص، فرأى أنّه يذوب عند درجة خاصة؛ أو لاحظ أنّ مريضاً ما - مبتلىً بالصداع مثلا - قد برئ عند استعمال عشبة طبيّة معينة، فهذه المرحلة يطلق عليها المرحلة الحسيّة، إذ هي لا تتجاوز إطار الحسّ.

ثم إذا كرّر هذا العمل مرّات عديدة وفي ظروف مختلفة، استطاع العقل أن ينتزع منه قانونا كليّا وهو أن الرصاص يذوب عند درجة كذا، والنبات الفلاني مبرء من الصداع، فهذه المرحلة هي المرحلة العلمية ومنها يستنتج قاعدة وقانونا علميا عاما.

وأما المعرفة الفلسفية فهي عندهم عبارة عن المعرفة التي لا تختص بعلم دون علم أو موضوع دون موضوع، وإن شئت قلت: هي عبارة عن المعرفة العامة المنتزعة من غالب العلوم أو جميعها.

مثلاً: القوانين الرياضية مختصة بموضوعها كالكم المنفصل والمتصل (الأعداد والسطوح) وهكذا قوانين العلوم الفيزيائية والكيميائية، وأما إذا انتزع الإنسان من هذه القوانين والعلوم قاعدة يثبتها جميعها أو غالبها فهي قانون فلسفي، كقانون التكامل العام الذي تدعمه جميع العلوم التجريبية. فالتكامل أمر يثبته علم الأحياء وعلم الإجتماع وغيرهما، فالمطلع على هذه العلوم يصل إلى معرفة فلسفية وينتزع منها قانونا كليّا سائدا على الكون أجمع.

ثانياً: نظرية أصحاب الفلسفة المادية الديالكتيكية

إن أصحاب هذه الفلسفة يعتقدون بتعدد مراحل المعرفة، كأصحاب الفلسفة العلمية، غير أنهم يبينون تعدد المراحل بالشكل التالي:

١. مرحلة الحسّ.

٢. مرحلة التعقل.

٣. مرحلة العمل والتجربة.

ونحن نقرّر ذلك في ظل مثال:

افرض أن إنسانا يريد أن يطّلع على علة مرض خاص كالسلّ، فيريد أن يقف على علائمه وآثاره، وعلله وموجباته، ودوائه الناجع في اقتلاعه من المجتمع، فعند ذلك يحين أوان المرحلة الأولى، فيتفحص حياة المبتلين بالسلّ وكيفية عيشهم وأماكن سكنهم وبيئتهم، فيجمع عن الجميع معلومات خاصة يجمعها قولنا: إن السائد عليهم هو العيش في أمكنة مظلمة ملوثة بالدخان والغبار، ويتغذون بأطعمة فاقدة للقيمة الصحيّة والغذائية.

ثم بعد ذلك يأتي أوان المرحلة الثانية - مرحلة التعقل - وهي عبارة عن مطالعة تلك المعلومات وحدس العلة الحقيقية الكامنة وراء حدوث هذا المرض وتكوّن جراثيمه في البدن. وعند ذاك توضع الفرضيات العلمية، إذ يحدس هذا العالم أن العلة هي ذي، وآخر أنها ذهْ، وثالث أنها تلك.

ثم إذا تمّت المرحلة الثانية وعرض العلماء والمفكرون فرضياتهم لظهور هذا المرض، يأتي أوان مرحلة التجربة، فإن الفروض او الفرضيات لا تعلم صحتها إلا بالتجربة، فإذا قام المجربون بعملياتهم التجريبية في المختبرات، يميّزون الفرضية الصحيحة من الفروض او الفرضيات الباطلة.

هذه هي مراحل المعرفة المختلفة، والمعرفة في ضوء المثال المتقدم تبدأ من الحس إلى العقل ومن العقل إلى التجربة. وإن شئت

قلت: المعرفة عبارة عن حركة من المادة إلى جانب الشعور والتعقل، ومنه إلى جانب المادة الخارجية.

هذا، ونحن لا ننكر دور التجربة وأهميتها في تكامل العلوم ولكن هناك مرحلة غفلت عنها كلتا الفلسفتين الماضيتين، هي معرفة عقلية غير تجريبية، وإنما استوفت حقها الفلسفة الإسلامية، وإليك بيانها.

ثالثاً: نظرية الفلاسفة الإسلاميين في مراحل المعرفة

تعترف الفلسفة الإسلامية بوجود معرفة عقلية وراء المعرفة الحسيّة والتجريبية، وقد قصرت سائر الفلسفات عن إدراكها، كما تختص الفلسفة الإسلامية بنوع ثالث من المعرفة، هي المعرفة الآيوية (الآياتية)[٢]. وإليك فيما يلي توضيحها:

تنقسم المعرفة إلى حسيّة وعقلية:

١. المعرفة الحسيّة

هي عبارة عن المعرفة السطحية المشتركة بين الإنسان والحيوان، بل ربما تكون في الحيوان أقوى منها في الإنسان، فالعُقاب يرى الأشياء البعيدة جداً التي لا تنالها أبصار غيره، والكلاب تشمّ الروائح الخفية، والخفافيش تحسّ الموانع في الليالي الظلماء فتتجنّبها، وعلى كل تقدير فالمعرفة الحسيّة التي تقوم بالحواس الظاهرية تعمّ الإنسان وغيره.

وللمعرفة الحسية خصائص:

١) إنها جزئية لا تتجاوز موضوعا خاصا.

---

(٢) هذا ما سنبينه في "ملحق للمطالعة ضمن الدرس هذا".

٢) المعرفة الحسيّة تتعلق بما يقع في مرمى الحسّ وسلطانه، دون الخارج عنه.

٣) إن المعرفة الحسيّة محدّدة بالزمان، فالحسّ يقع على الأشياء المتحققة في الزمن الحال، دون التي تحققت في غابر الزمان أو ستتحقق في مستقبله.

٤) المعرفة الحسيّة محدّدة بالمكان والجهة.

يالمعرفة العقلية هي المفاهيم الكلية التصورية أو القضايا الكلّية التصديقية التي ينالها العقل في ظل عمليات خاصة. فالإنتقال إلى مفهوم الإنسان الكلّي من مشاهدة عدّة أفراد متماثلة معرفةٌ عقلية تصورية، كما أن انتزاع قاعدة كلّية - كانصهار الحديد عند درجة خاصة - من عمليات تجريبية متكررة معرفةٌ عقلية تصديقية.

وقد أوضحنا فيما تقدّم كيفية انتقال الإنسان إلى المفاهيم والقوانين الكلّية، غير أن هناك غموضاً في كيفية صنع الكليات من مشاهدة الجزئيات، والرابطة المنطقية القائمة بين المعرفة الحسيّة والمعرفة العقلية، فإن الإنسان عندما يطل بنظره إلى أفراد محدودة، كيف يصنع منها مفهوما كلّيا يشملها وغيرها؟ أو أنه عندما يجري عملية التجربة على عناصر خاصة، كيف يصنع منها قاعدة كلية تعم ما جرّبه وغيره؟

إنّ هذا العمل يشبه في بادئ النظر عمل المصور الذي يلتقط صورة لعدة أشخاص معيّنين في مجلس ما، ثم يدلّس في الصورة فيدخل فيها صور أشخاص لم يكونوا مع الذين التقطت صورتهم. فإن عمل العقل في

مجالي التصور والتصديق من قبيل تبديل المعرفة الحسية المحدودة إلى معرفة عقلية كلّية تشمل ما لم يكن داخلا في المعرفة الحسية[٣].

على أن العناصر العقلية موجودة في كثير من الإدراكات الحسيّة، ولولاها لما اتصفت الإدراكات الحسيّة بالعلم واليقين. ولأجل ذلك نقول: إن الحسّ وإن كان من أدوات المعرفة ولكنه لا يورث العلم في كثير من الموارد إلا بضمّ استدلالات عقلية ومنطقية تعطي معرفة حسية بمعنىً وعقلية بمعنى آخر، إلا أن الإنسان لسرعة انتقال الذهن إلى تلك العناصر، ربما يغفل عن وجودها ودخالتها في الإدراكات الحسية.

فللمعرفة العقلية خصائص على النقيض من المعرفة الحسيّة:

١. إنها معرفة كليّة، لا جزئية.

٢. المعرفة العقلية تتعلق بمفاهيم خارجة عن الحسّ.

٣. إن المعرفة العقلية غير مقيدة بالزمان والمكان والجهة، سواء أكانت معرفة تصورية كالإنسان الكلّي، أم تصديقية كالقوانين التي يستنبطها الإنسان من التدبر في الطبيعة.

ملحق للمطالعة: المعرفة الآياتية عند الفلاسفة الإسلاميين

وهناك معرفة أخرى عند الفلاسفة الإسلاميين وتسمّى بالمعرفة الآياتية الآيوية أو تبديل المعرفة السطحية إلى معرفة عمقيّة.

توضيح ذلك: إنّا إذا رأينا أشخاصاً معينين، تقدر النفس على إدراك مفهوم كلي يصدق على هؤلاء وغيرهم. وهذا المفهوم بما أنّه

---

(٣) الشيخ جعفر السبحاني، نظرية المعرفة: ٢١١/٢٠٠، مع تلخيص، نسخة مركز نور للأبحاث الكمبيوترية الاسلامية.

يصدق على غير هؤلاء من الأفراد الموجودين في زمن الإدراك، يكون تبسيطاً عَرْضياً للمعرفة، وبما أنّه يصدق حتّى على الأفراد الغابرة والآتية يكون تبسيطاً طولياً للمعرفة. فهذه المعرفة لا تتجاوز البسط والتعميم في كلا البعدين.

ولكن هناك معرفة أخرى أعلى وأكمل، وهي التكميل العمقي للمعرفة، وبسطها إلى آفاق عليا، ألا وهي الاستدلال بالمرئي على غيره وبالآثار على ذيها وبالآيات على صاحبها.

والإستدلال بالآية على ذيها على قسمين:

الأول: الإستدلال بالآثار الحسيّة والطبيعية على شيء مادي ولكنه ليس بمحسوس للمستدلّ في ظرف إحساس الآثار وإدراكها. فالآثار الباقية من أصحاب الملاحم والدواوين قابلة للاستدلال بها على أنه كان هناك نوابغ في الشعر والأدب نظموا هذه القصائد والدواوين، كما هو الحال في الآثار العلمية الموروثة.

الثاني: الإستدلال بالآثار الحسيّة على غير المادي وغير المحسوس. ومجمل القول فيه هو أن العقل إذا لاحظ النظام البديع بما فيه من النواميس المبنية على القواعد الدقيقة، يذعن بأنه صادر عن فاعل عالم محيط بالمادة وخصوصياتها، والقوانين والنواميس المتحكمة في أجزاء الكون، من ذرّته إلى مجرّته، وأنه لا يصحّ أن يستند هذا النظام إلى نفس المادة الصمّاء ويعدّ من آثارها، أو يستند إلى الصدفة. وهذا استدلال عقلي آيوي.

القرآن والمعرفة الآياتية

ركز القرآن الكريم على هذا النوع من المعرفة، وكرر في كثير من آياته كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ و: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾، ونحو ذلك ممّا يفيد تأكيده على لزوم التعرف على ذاته سبحانه وأسمائه وصفاته وما فيه من الكمال والجمال، عن طريق النظر والتدبر في آثاره وآياته، نظير الإستدلال بالموسوعة العلمية على تبحّر مؤلفها وجامعيته في المعرفة.

مراحل العلم في ضوء القرآن

وهنا نريد أن نبحث عن الآيات التي تتكلم أو تشير إلى مراحل حصول العلم كحالة نفسانية عند الإنسان، وهو مبحث مطول جدا ويستحق دراسات خاصة، لكننا وبمختصر خاطف نحاول الإشارة إلى ذلك مستعينين بالله تبارك وتعالى.

لاحظ قوله تعالى:

﴿يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَما ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرَى الْفُلْكَ مَواخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٤).

---

(٤) النحل: ١١- ١٥.

تختم هذه الآيات بالكلمات التالية:

١. يتفكرون.

٢. يعقلون.

٣. يذّكرون.

٤. لتبتغوا من فضله.

٥. لعلَّكم تشكرون.

٦. تهتدون.

فما هي العلاقة بينها؟ ولماذا جاءت متدرجة، علما بأن التدبر في نهايات الآيات يفهمنا معاني الآيات ولربما أعطانا علما جديدا؟

يبدو أن مراحل تكوّن العلم عند الإنسان هي التالية:

١. مرحلة جمع الحوادث وربطها ببعضها والتعرف على علاقتها الثابتة ببعضها والحصول منها - بالتالي - على قانون عام يحكمها.

وهذا يحصل عن طريق التفكر، لأن التفكر - حسبما يبدو لي - هو تقليب المعلومات وخلطها وإعادة فرزها(٥).

والآية الماضية ربطت الحوادث الظاهرة - هطول الأمطار، واخضرار الأرض، واختلاف الثمرات - ببعضها، وجعلتها جميعا آية الخلق - على وجود الخالق - عن طريق التفكر، فقالﷻ: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(٦) لأنه بسبب تقليب المعلومات نحصل على أنها آية اللهﷻ.

---

(٥) جاء في المنجد: الفكر - ج أفكار - تردد الخاطر بالتأمل والتدبر بطلب المعاني.

(٦) النحل: ١١.

٢. مرحلة تخزين التجارب والإستفادة منها في فهم الحوادث الجديدة.

ويبدو أن هذه العملية تسمى بالعقل - حسبما تدل عليه الكلمة - إذ أن أصل العقل مستوحى من العقال، وهو الذي يحفظ الناقة؛ جاء في الحديث: العقل حفظ التجارب.

وربطت هذه الآية بين العقل وبين التعرف على سرّ تسخير الطبيعة للبشر، لأن فهم هذه الحقيقة أصعب وبحاجة إلى تجارب مختزنة أكبر.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾(٧). وقد لا تكون النجوم جميعا مسخرات للبشر إلا أنها تنفع البشر وترتبط بتسخير الشمس والقمر آيتي النّهار والليل.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٨). فعن طريق تخزين التجارب والإستفادة منها سوف يبلغ البشر درجة من العلم تؤهله لمعرفة سرّ الطبيعة.

٣. وهي مرحلة التعقل والإستيعاب للتجارب من أجل العمل.

فكيف نستفيد من الطبيعة المسخرة لنا؟ هل كل شيء فيها صالح في كل وقت ولكل شخص؟ كلا، إذ إن حقيقة الأشياء مختلفة، وكل شيء نافع لوقت ولشخص، بالرغم من أنها جميعا خلقت للبشر.

٤. مرحلة الإستفادة العملية من العلم.

تلك التي نسميها اليوم التقنية، وربما يسميها القرآن بالإكتساب.

---

(٧) النحل: ١٢.

(٨) النحل: ١٢.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٩] اي تسعوا في البحار للحصول على رزقكم الذي هو فضل الله عز وجل.

وبعدها تأتي المرحلة الخامسة وهي:

٥. مرحلة الرضا النفسي.

إن إشباع حاجات الجسد عن طريق النعم لا يكفي، فسوف تظل النفس قلقة غير مستقرة ولا مرتاحة تبحث عن شيء مفقود اسمه الرضا، والرضا مرحلة القرار الناشئ من العلم.

قال تعالى: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[١٠] اي هل عرفتم الدنيا؟ هل عرفتموها بشكل حقيقي؟ هل عرفتموها بشكل حقيقي واعتنقتم ورضيتم بها دون الآخرة؟ هل اوصلكم علكم إلى الرضا بها دون الآخرة؟

٦. مرحلة الهداية.

وتبقى أمامنا درجة نعرج فيها إلى ذروة الكمال في درجات العرفان، وهي درجة الهداية التي تذكرها الآية التالية.

﴿وَسُبُلًا﴾[١١] كيف يهتدي الإنسان إلى مآربه في الأرض عبر هذه السّبل؟ هكذا ينبغي أن يهتدي إلى الحقائق من وراء الآيات، إذ الآيات هي السّبل المؤدية إلى الحقائق.

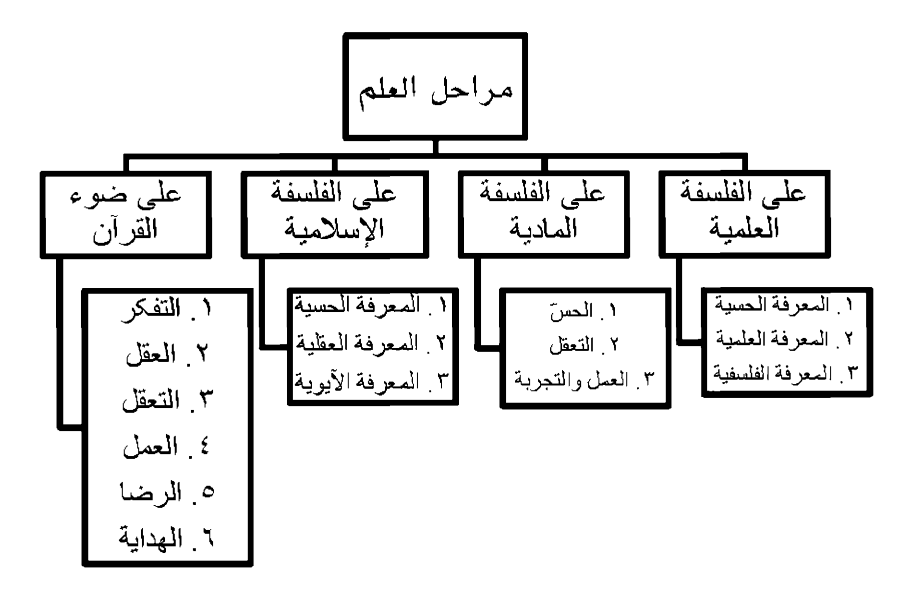
---

(٩) النحل: ١٤.

(١٠) التوبة: ٣٨.

(١١) النحل: ١٥.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَــدُونَ﴾[١٢] يهتدي البشر عن طريق معالم السّبل إلى غاياته في الدنيا، وهكذا ينبغي أن يهتدي عن طريق الآيات في الأرض وفي السّموات إلى حكمة اللهﷻ وقدرته[١٣].



الأقوال في مراحل العلم

خلاصة الدرس الثالث:

اتّضحت من هذا الدرس مسألتان مهمّتان:

الأولى: إن الفلسفات البشرية من حيث تقسيم مراحل العلم، على ثلاثة أقسام:

١. الفلسفة العلمية؛ على ثلاث مراحل:

١) المعرفة الحسية.

(١٢) النحل: ١٥.

(١٣) انظر: من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي: ٦/ ٣-٥، بتصرف وتلخيص.

٢) المعرفة العلمية.

٣) المعرفة الفلسفية.

٢. الفلسفة المادية؛ على ثلاث مراحل:

١) الحسّ.

٢) التعقّل.

٣) العمل والتجربة.

٣. الفلسفة الإسلامية؛ على ثلاث مراحل:

١) المعرفة الحسية.

٢) المعرفة العقلية.

٣) المعرفة الآياتية.

الثانية: إن مراحل العلم عند الإنسان في القرآن الكريم هي كالتالي:

١) التفكر.

٢) العقل.

٣) التعقل.

٤) العمل.

٥) الرضا.

٦) الهداية.

الأسئلة:

١. اذكر أقسام الفلسفات البشرية من حيث تقسيم العلم؟

٢. ما هي مراحل العلم عند أصحاب الفلسفة العلمية؟

٣. ما هي مراحل العلم عند أصحاب الفلسفة المادّيّة الديالكتيكيّة؟
٤. ما هي مراحل العلم عند الفلاسفة الإسلاميّين؟
٥. ما هي مراحل العلم في ضوء القرآن الكريم؟

الدرس الرابع: مصادر المعرفة والعلم في القرآن الكريم

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على مصادر المعرفة والعلم التي ذكرها القرآن الكريم.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على بعض الآيات الخاصة بمصادر المعرفة.

٢. التعرف على أقسام القرآن والحواس والوحي والآيات الدالة على ذلك.

المحتوى العلمي

قال الماديون: لا طريق إلى العلم والمعرفة إلا الحسّ والتجربة، وقال المثاليون: الطريق إلى المعرفة هو العقل وكفى.

أما القرآن فقد قرر بوضوح أن مصادر المعرفة أربعة:

١. التجربة.

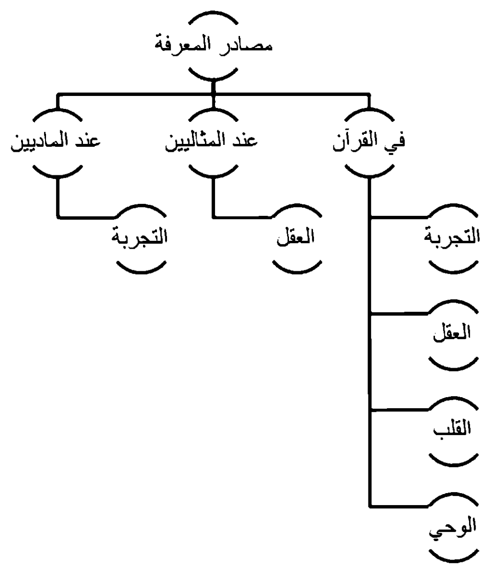
٢. العقل؛ لأن للإنسان عينا وعقلا، يرى بالعين ويدرك بالعقل.

٣. القلب.

٤. الوحي؛ لأن الله بكل شيء عليم.

كما في قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُـدىً وَلا كِتابٍ مُنِيـرٍ﴾[١٤] فالعلم إشارة إلى التجربة، والهدى إلى العقل، والكتاب المنير هو الوحي[١٥].

يقصد بالتجربة العلوم التجريبية والبحوث الميدانية والمتحصلة عن طريق الحس، ويقصد بالعقل العلوم العقلية الصرفة المتحصلة عن إعمال البرهان والإستدلال بالقوة العاقلة، ويقصد بالكتاب الوحي بما في ذلك السنّة المطهرة، فهذه أصل مصادر المعرفة في القرآن. وهي كما تلاحظ تزيد على مصادر الماديين بمصدر العقل والوحي.



مصادر المعرفة والعلم

(١٤) الحج: ٨.

(١٥) التفسير المبين، محمد جواد مغنية: ٤٣٥.

المصدر الأول: الحواس

وهذا المصدر للمعرفة يشمل التجربة والعلوم التجريبية والميدانية عامة.

أوّلاً: الحس لغة:

يقول ابن منظور (ت ٧١١هـ): والحس بكسر الحاء من أحسست بالشيء. حسّ بالشيء وأحسّه: شعر به. ويقال حسست بالشيء إذا علمته وعرفته(١٦).

إذن الحس في اللغة هو ما تكون من الحواس الخمسة والموصلة للعلم والمعرفة.

ثانياً: الحس اصطلاحاً:

يقول أبوحيان التوحيدي: هو الذي يتصفح ويستقوي بمؤازرة العقل ومظاهرته وتحصيله(١٧).

وبالتالي يمكن القول أن الحسيات هي قنوات وطرق لنقل المعلومات إلى العقل أو النفس من أجل البدء بعمليات الإدراك والمعرفة.

فالإحساس هو قبول صورة الشيء [المحسوس] مجردة عن مادته(١٨).

ثالثاً: الحس في القرآن الكريم:

لقد أتى القرآن الكريم على ذكر العديد من الآيات التي تحدثت عن الحواس عند الإنسان والتي سوف أذكر البعض منها بما يناسب المقام:

١. السمع.

٢. البصر.

---

(١٦) لسان العرب، لابن منظور: ٦/ ٤٨،٤٩.

(١٧) المقابسات، ابوحيان التوحيدي: ٩٠/ ٢٠٥.

(١٨) الشفاء، ابن سينا: ٢٩٧/١.

لقد اعتبر القرآن الكريم الأذن والعين أداتين من أهم أدوات المعرفة الحسية.

يقول عز من قائل:

﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١٩).

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾(٢٠).

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾(٢١).

وإنما قدم السمع على البصر لأسباب وخصائص أثبتها العلم. منها:

١) إن حاسة السمع لا يمكنه أن نجد فيها وقفة أو استراحة مطلقا، حتى في النوم. أما حاسة البصر فتتوقف في استراحة ونوم وما شابه ذلك.

٢) إن حاسة السمع تبدأ بالعمل مباشرة بعد الولادة، بخلاف حاسة النظر فتبدأ بعد أربعين يوما من ولادة الطفل(٢٢).

٣. حاسة الذوق، وهذه الحاسة أيضا أشير إليها لكن بنحو غير مباشر، كما في قوله ﷻ:

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾(٢٣).

---

(١٩) النحل: ٧٨.

(٢٠) المؤمنون: ٧٨.

(٢١) آل عمران: ١٩٣.

(٢٢) القرآن وعلم النفس، د. عثمان نجاتي: ١. دار الشروق.

(٢٣) النبأ: ٢٤.

٤. حاسة اللمس، كما في قوله عز من قائل:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٢٤].

حيث تشير الآية - كما يقول صاحب الميزان - إلى أن الكافرين قد بلغوا في استكبارهم مبلغا لا ينفع معه حتى لو أنزلنا كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم، فناله حسهم بالبصر والسمع وتأيد بعض حسهم ببعض، فإنهم قائلون حينئذ لا محالة: إن هذا إلا سحر مبين[٢٥].

وقولهﷻ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢٦].

ومن الواضح أن هذه الآية تشير إلى حاسة اللمس التي تعتبر أحدى الروافد المعرفية حيث اكتشفت الدراسات الفسيولوجية الحديثة أنه توجد في بشرة الإنسان خلايا حسية كثيرة مختلفة الشكل وهي مخصصة لاستقبال أنواع معينة من الإحساسات، فبعضها ينقل الحرارة والآخر ينقل البرودة وبعضها يحس بالألم والآخر بالضغط، وقد أشارت الآية إلى أن هذه الحاسة اللمسية تنتقل الآلام وذلك بقولهﷻ: ليذوقوا العذاب، كما قال الطبرسي: إن معناه ليجدوا ألم العذاب[٢٧].

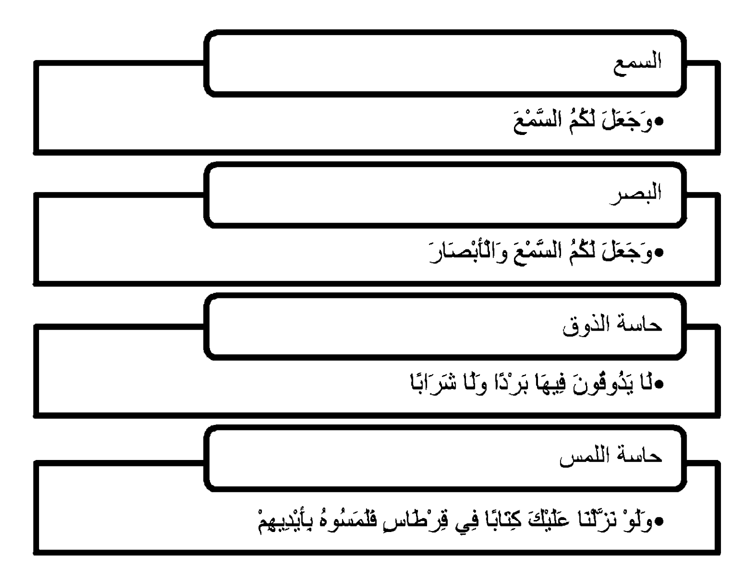
---

(٢٤) الأنعام: ٧.

(٢٥) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي: ٧/ ١٨.

(٢٦) النساء: ٥٦.

(٢٧) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/ ٩٧.



الحواس في القرآن الكريم

المصدر الثاني: العقل

أوّلاً: العقل لغة:

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): العقل هو الحابس عن ذميم القول والفعل، ويقال عقل يعقل عقلاً إذا عرف ما كان يجهله قبل، أو انزجر عما كان يفعله. وجمعُه عُقول. ورجل عاقل، وقوم عقلاء وعاقلون، ورجل عَقول إذا كان حسنَ الفهم وافرَ العقل[٢٨].

ثانياً: العقل اصطلاحاً:

ومنها تعريف ابن سينا: العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها ورسومها، ليس مركبا من قوة قابلة للفساد[٢٩].

---

(٢٨) معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٦٩.

(٢٩) رسائل الكندي الفلسفية (ص١١٣)، و الإشارات والتنبيهات، ابن سينا: ١٧٨.

ثالثاً: أقسام العقل:

للعقل الإنساني عند أهل العلم تقسيمان:

التقسيم الأول بلحاظ المدرِك اي بلحاظ العقل في نفسه، فيقسم إلى قسمين:

١) العقل البسيط، وهو المقصود بالفطرة في القرآن، قال عز من قائل: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾(٣٠).

حيث تتحدث هذه الآية عن الرجوع إلى الفطرة السليمة في النفس حيث يكون هناك صوت يدعو لعبادة وطاعة الخالق دعوة تنسجم مع العقل(٣١).

٢) العقل المركب (البرهاني)، وهذا ما لفت إليه النظر في كثير من الآيات، فعلى سبيل المثال قوله عز من قائل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣٢).

والمراد من برهانكم هنا هو حجتكم(٣٣) بمعنى هاتوا الدليل المؤدي إلى العلم والحجة على صحة القول(٣٤)، ولا تكفي أيّ حجة بل لا بد أن تكون الحجة اليقينية التي تجلي الحق ولا تدع ريبا لمرتاب(٣٥). فيكون ذلك البرهان هو السلطان والسبب الحق في التسلط على مملكة العقل والقلب والروح.

---

(٣٠) يس: ٢٢.

(٣١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي: ١٤/ ١٥٧.

(٣٢) البقرة: ١١١؛ النمل: ٦٤.

(٣٣) التبيان في تفسير القرآن، الشيخ طوسي: ١/ ٤٠٩.

(٣٤) نفس المصدر السابق: ٧/ ٢٣٣.

(٣٥) الميزان في تفسير القرآن: ١١/ ٦٩.

والتقسيم الثاني بلحاظ اختلاف دور العقل، فيقسم إلى نظري وعملي.

فالعقل النظري قوّة للنفس تقبل ماهيات الأمور الكلية من جهة ما هي كلية، والعقل العملي قوّة للنفس هي مبدأ التحريك للقوة الشوقية الي ما يختار من الجزئيات من أجل غاية مظنونة أو معلومة(٣٦).

رابعاً: العقل في القرآن الكريم:

١. ما جاء في القرآن الكريم بمعنى العقل.

بما أن لفظ العقل بمعناه المعروف اليوم من الأسماء المستحدثة بالغلبة ولذلك لم يستعمل في القرآن(٣٧)، فنتعرض للعناوين القرآنية في معنى العقل:

أ. النُهى، كما في قولهﷻ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾(٣٨).

والنُهى جمع نُهية وهي في الأصل مأخوذة من مادة «نهي» مقابل الأمر، وتعني العقل الذي ينهى الإنسان عن القبائح والسيئات(٣٩).

ب. اللب، كما في قولهﷻ: ﴿وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾(٤٠).

اللب هو العقل؛ لأنه في الإنسان بمنزلة اللب من القشر، وعلى هذا المعنى استعمل في القرآن(٤١).

---

(٣٦) رسائل ابن سينا: ٨٨، قم، بيدار، ١٤٠٠هـ.

(٣٧) الميزان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٩٦.

(٣٨) طه: ٥٤.

(٣٩) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٠/ ١٨.

(٤٠) البقرة: ٢٦٩؛ آل عمران: ٧.

(٤١) الميزان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٩٦.

الألباب: جمع لب، وهو العقل الخالي من الهوى، سمي بذلك إما لبنائه من قولهم ألبّ بالمكان - و لبّ به: أقام - وإما من اللباب، وهو الخالص[٤٢].

ج. القلب، كما في قولهﷻ: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾**[٤٣].

إن أحد معاني القلب هو العقل، والمراد بالقلب هنا وفي الآيات الأخر من القرآن التي تتكلم على إدراك المسائل، هو العقل والشعور والإدراك، كما أن كتب اللغة تشير إلى أن واحدا من معاني القلب هو العقل[٤٤]. وقيل: انما ذكر الله تعالى القلب، فإشارة إلى العقل[٤٥].

د. البصيرة، كقولهﷻ: **﴿أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾**[٤٦].

وقولهﷻ: **﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾**[٤٧] فالأيدي العمل، والمراد بالأبصار جمع البصر وهو العقل[٤٨].

وقولهﷻ: **﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾**[٤٩] اي يا أولي الألباب والعقول والبصائر، والبصيرة - التي هي عين القلب حين ما كانت مجلوة - خاصة بالعقلاء اللائقين للخطاب بالأمر بالإعتبار[٥٠].

---

(٤٢) البحر المحيط في التفسير: ٢/ ١٢٩.

(٤٣) ق: ٣٧.

(٤٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٧/ ٥٣.

(٤٥) الموسوعة القرآنية، خصائص السور: ٨/ ٢٦١، هكذا: المراد بالقلب هنا العقل، كذا قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

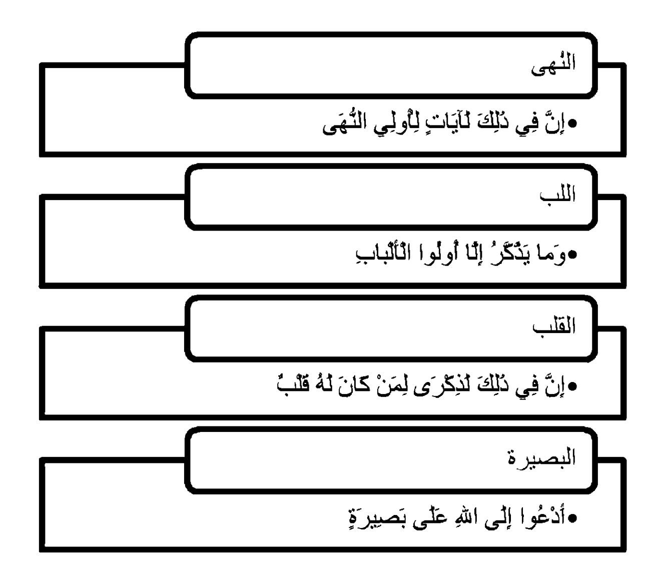
(٤٦) يوسف: ١٠٨.

(٤٧) ص: ٤٥.

(٤٨) مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر: ٩/ ١٧٨.

(٤٩) الحشر: ٢.

(٥٠) تفسير روح البيان: ٩/ ٤٢٠- ٤٢١.



ما في القرآن الكريم بمعنى العقل

٢. دور العقل في تحصيل وبناء المعرفة الدينية.

إن المتأمل المنصف لا يستطيع إنكار دور العقل في تحصيل المعرفة، سواء كانت دينية أو غيرها. والقارئ العالم يدرك أن القرآن الكريم تميز عن سائر المناهج والمدارس المعرفية بأنه جمع بين الحواس والعقل والقلب في عملية تحصيل المعرفة كل بحدوده وبدوره وبإمكاناته، فالقرآن الكريم يحصل الحس والعقل منسجمين إنسجام الفطرة الإنسانية المخلوقة بأحكام وتكامل فيما بين أجزائها[(١)]، وبالتالي وبالتالي فإن القرآن الكريم يقدّرهما على أنهما متكاملان في تشكيل المعرفة، ولو ظهر أيّ صراع بينهما في أدوارهما وحدودهما لفقدنا إمكانية تحصيل المعرفة وفقدنا قيمتها، فتعطيل وإهمال دور الحواس هو

---

(١) نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة: ٦٢٣.

في الواقع إهمال دور العقل، والله تبارك وتعالى حذّر من هذه القضية فقال: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾(1).

إن العقل هو من يقوم بعملية ترجمة مشاهدات الحواس إلى حقائق عبر التجميع والتحليل والتأليف بين كل تلك الصور والإدراكات، وهو من يقف وراء الحواس بدليل قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾(2)، فلو كانت الحواس قادرة على إقامة الحجة لما أتبعها الله بقوله: أو نعقل، ومراده من هذا العطف في الحقيقة تأكيده على أنه لا قيمة معرفية لعمليات الحواس ومشاهداتها من دون العقل؛ لأنه هو الذي يجعلها حقائق ومعارف.

المصدر الثالث: القلب

أوّلاً ؛ القلب لغة:

ابن فارس (٣٩٥هـ): القاف واللام والباء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على خالص الشيء وشريفه، والآخر على رد شيء من جهة إلى جهة، فالأول القلب؛ قلب الإنسان وغيره، سمي لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه، وخالص كل شيء وأشرفه قلبه، ويقولون عربي قلب(3).

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) الملك: ١٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥/ ١٧.

ثانياً: القلب اصطلاحاً:

عرفه العلامة حسن زاده الآملي: إن الظاهر والباطن والقلب والروح والسرّ هي من مراتب النفس الناطقة وهي حقيقة ممتدة من الخلق إلى الأمر. في مرتبة القلب نشاهد المعاني الكلية والجزئية. يقول العارف عن هذه المرتبة القلب، ويقول عنها الحكيم العقل المُستفاد(١).

ويقول الشيخ الشيرازي إن القلب في القرآن له معان متعددة منها:(٢)

١. بمعنى العقل والإدراك، كقوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾(٣).

٢. بمعنى الروح والنفس، كقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾(٤).

٣. بمعنى العواطف، كقوله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(٥).

ثالثاً: القلب في القرآن الكريم:

بعد أن بيّنا خصوصيات الحواس والعقل ودورهما، نأتي إلى القلب أيضا وهو من أدوات المعرفة حيث سنقف من خلال بعض الآيات المباركة على أنواع القلوب ونتعرف على ماهية هذه الأداة وحدودها

---

(١) الإنسان الكامل في نهج البلاغة، العلامة حسن زاده الآملي: ١/ ٤. مطبعة المكتبة الحيدرية.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١/ ٩٠.

(٣) ق: ٣٧.

(٤) الأحزاب: ١٠.

(٥) آل عمران: ١٥٩.

وقيمتها ودورها في وقفات تالية، وقبل البدء كالعادة سيأتي ذكر بعض الآيات التي تحدثت عن القلب على نحو الإجمال بما يسمح المقام:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[(١)].

فيها دلالة على أن القلب محل العقل والعلوم؛ لأنه تعالى وصفها بأنها هي التي تذهب عن إدراك الحق، فلولا أن التبين يصح أن يحصل فيها لما وصفها بأنها تعمى[(٢)].

يمكن ذكر تقسيمات القلوب في القرآن على قسمين:

١. تقسيمها إلى قلوب الرحمن وقلوب الشيطان.

٢. تقسيمها إلى القلوب العالمة والقلوب الجاهلة.

وهذا التقسيم يبين أن القلب هو أحد أدوات المعرفة التي أتى ذكرها في القرآن الكريم.

وتتضح لنا أمور، أهمها:

١. إن مريضي القلب هم فئة ذات إيمان ضعيف ومتزلزل.

٢. لا بناء معرفي محدد عندهم، فتراهم أتباع كل ناعق، يميلون مع الريح كيفما جاءت وهبت.

٣. تراهم فاقدي الإستقامة في التعقل؛ فلا يذعنون بما من شأنه أن يذعن به من الحق[(٣)].

---

(١) الحج: ٤٦.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٣٢٦.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ١٤/ ٣٩٢.

والخلاصة: إن القلب أداة هامة وخطيرة يجب أن يهتم بها الإنسان، فالفوارق كبيرة جداً بين الصفات الإيجابية والسلبية، وأهم منطلق لتأسيس تلك الفوارق وتشكلها هو أن يوضع القلب في الميزان وأعني ميزان العلم والجهل، وميزان الحق والباطل.

المصدر الرابع: الوحي

أوّلاً ؛ الوحي لغة:

ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) يقول: الواو والحاء والحرف المعتل، أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك، فالوحي الإشارة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان[(١)].

ثانيا ؛ الوحي اصطلاحا:

وعرف أيضا: هو الكلام الخفي، ثم قد يطلق على كل شيء قصد به إفهام المخاطب على السر له عن غيره والتخصيص له به دون سواه[(٢)].

ثالثاً ؛ الوحي في القرآن الكريم:

قد وردت كلمة الوحي في أكثر من ستين موضعا في القرآن الكريم وخاصة في صفتي الماضي والمضارع، وبشكل خاص في الآيات المكية. وهو طريقة ارتبارط عالم الملك مع عالم الملكوت.

رابعاً ؛ أنواع الوحي وصوره:

١. وحي النبوة، والذي به يخاطب الله نبيه ويلقي عليه الحقائق والمعارف وكافة التعاليم السماوية لجميع بني البشر.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٦/ ٩٣.

(٢) تصحيح إعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد: ١٢٠.

وهو على صور جمعت في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(١).

من خلال هذه الآية الكريمة تعرّفنا على ثلاثة أنواع من الوحي النبوي:

أ. إلقاء المعنى في القلب.

ب. الكلام من وراء حجاب، كما سمع موسى نداء ربه من وراء الشجرة: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾(٢).

ج. الوحي الجلي، وهو ما يلقيه ملك الوحي المرسل من الله تعالى إلى رسوله، فيراه متمثلا بصورة رجل أو غير متمثل، ويسمعه منه أو يعيه بقلبه.

٢. الإلهام الغريزي، كالوحي إلى النحل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾(٣).

٣. الإلهام الفطري، كالوحي إلى أمّ موسى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(٤).

٤. وسوسة الشيطان، كما في قولهﷻ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾(٥).

---

(١) الشورى: ٥١.

(٢) النازعات: ١٥- ١٧.

(٣) النحل: ٦٨.

(٤) القصص: ٧.

(٥) الأنعام: ١٢١.

٥. الإشارة السريعة على سبيل الرمز، كإيحاء زكريا لقومه في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(١).

٦. ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه؛ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٢).

وبعبارة مختصرة:

إن الوحي في القرآن له معان متعددة والله تبارك وتعالى يتواصل مع كل ما في هذا العالم بكثير من الطرق والأساليب، والوحي واحدة من هذه الطرق التي هدفها الأساسي والرئيسي إيصال المعرفة وبناء الإنسان العارف والعالم من أجل الوصول إلى مصاب درجات العلم والإيمان.

وهذا يليق بهذا الإله العظيم وهذا الإنسان الذي يعتبر خليفته في أرضه، ليحمل صفاته وليكون يد الله الرحيمة والمؤمنة والمطمئنة والعاملة والمخلصة.

يبقى سؤال: لماذا إذن هذه الأخطاء الفكرية والمعرفية والحال أن الإنسان مزود بمصادر وأدوات الحصول على العلم والمعرفة؟

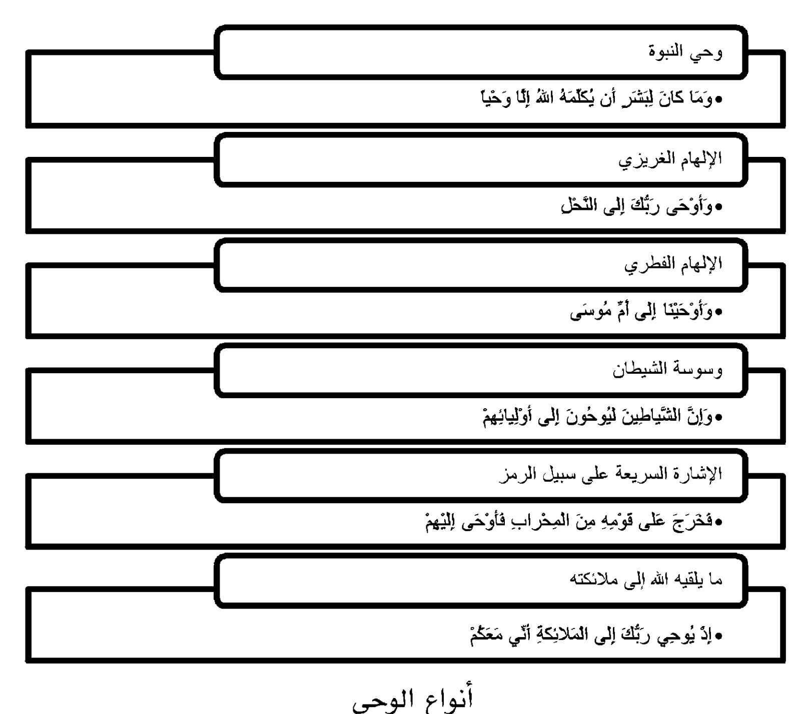
الجواب: أن الإنسان لم يستخدمها بالشكل الصحيح، أو استخدمها بالشكل الصحيح وأثمرت له النتائج العلمية إلا أنها تتعارض مع تقاليده أو جاهليته أو عنصريته أو أهوائه، فيقدم هواه على العلم، فيكون من أهل الضلالة. وحين يضل الله الذين يؤلهون أهواءهم، يسلب عنهم مصادر العلم من العقل والأحاسيس، وآنئذ لا أحد قادر على هدايتهم،

---

(١) مريم: ١١.

(٢) الأنفال: ١٢.

فيتخبطون في ظنونهم خبط عشواء، فاذا بهم يقولون: ﴿مـا هِـيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الـدَّهْرُ﴾[١] ويتحدّون النذر إذا قالوا لهم احذروا الآخرة، ويحتجون - إذا تليت عليهم آيات الله -: ﴿فَأْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[٢] وهكذا يحجبون أنفسهم عن الحقيقة ببعض الشروط التعجيزية. وسواء آمنوا أم لم يؤمنوا فإن الجزاء واقع. الله يحييهم ثم يميتهم ثم يجمعهم إلى يوم القيامة لا ريب فيه[٣].



أنواع الوحي

(١) الجاثية: ٢٤.

(٢) الدخان: ٣٦.

(٣) من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي: ١٣/ ٦٧.

خلاصة الدرس الرابع:

تعرّفنا في هذا الدرس على النقاط التالية:

الأولى: مصادر المعرفة والعلم التي ذكرها القرآن الكريم، وهي كالآتي:

١) التجربة.

٢) العقل.

٣) القلب.

٤) الوحي.

والجدير بالذكر هو أن مصدر المعرفة عند المثاليين هو العقل، وعند الماديين التجربة.

الثانية: بعض الحواس التي ذكرها القرآن الكريم؛ وهي:

١) حاسة السمع: كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾(١).

٢) حاسة البصر: كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾(٢).

٣) حاسة الذوق: كقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾(٣).

٤) حاسة اللمس: كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾(٤).

الثالثة: أنواع الوحي التي ذكرها القرآن الكريم:

١) وحي النبوة: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً﴾.

٢) الإلهام الغريزي: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾.

---

(١) النحل: ٧٨.

(٢) النحل: ٧٨.

(٣) النبأ: ٢٤.

(٤) الأنعام: ٧.

٣) الإلهام الفطري؛ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾.

٤) وسوسة الشيطان؛ ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾.

٥) الإشارة السريعة على سبيل الرمز؛ ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾.

٦) ما يلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه؛ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾.

الأسئلة:

١. ما هي مصادر المعرفة عند القرآن الكريم؟

٢. ما الفرق بين مصادر المعرفة عند الماديين والمثاليين؟

٣. ما هي الحواس التي اعتبرها القرآن الكريم من أهم أدوات المعرفة الحسيّة؟

٤. ما المراد من القلب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].

٥. اذكر أنواع الوحي بشكل موجز؟

٦. بيّن خصوصيات الوحي النبوي؟

---

(١) ق: ٣٧.

الدرس الخامس : فكرة وجود العلوم البشرية في القرآن الكريم

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على حقيقة هل توجد في القرآن الكريم علوم بشرية أو إن جميع العلوم البشرية في القرآن الكريم أو لا يوجد في القرآن شيء من العلوم البشرية.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على كيفية مرجعية العلوم إلى القرآن الكريم.
٢. التعرف على آراء العلماء حول وجود العلوم في القرآن الكريم.

المحتوى العلمي

لقد ولدت في التاريخ أفكار بخصوص وجود العلوم في القرآن، فذهب البعض إلى أن القرآن الكريم كتاب دين وهداية وليس له تخصص بالعلوم أو حتى عناية أو إشارات لها، وذهب آخرون على عكسهم، فقال بأن كل العلوم موجودة في القرآن الكريم، وذهبت المجموعة الثالثة من المختصين بأن القرآن اشتمل على أساس العلوم وأصولها أو التوجيهات العامة لها فقط.

ونريد في هذا الدرس التعرض لفكرة أصل وجود العلوم في القرآن والإشارة إلى الإختلاف فيها، فنتعرف على من قال إن القرآن فيه من العلم الشيء القليل، ومن قال إن القرآن فيه من العلم الشيء الكثير، ومن قال إن كل العلوم موجودة في القرآن الكريم.

يقول الغزالي[١] ناقلا عن بعض مشايخه: إن القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، إذ كل كلمة علم. ثم يقول بعد ذلك: وبالجملة، فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله‎ﷻ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها. ثم يزيد في ذلك فيقول: بل كل ما أشكل فهمه على النظّار واختلفت فيه الخلائق في النظريات والمعقولات، في القرآن إليه رمز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها، فتفكر في القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين[٢].

أما السيوطي فيعتبر احتواءه على علوم و معارف - لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحد - في كلمات قليلة وأحرف معدودة، أول وجه من وجوه إعجاز القرآن[٣].

المحور الأوّل: كيفية مرجعية العلوم إلى القرآن الكريم

أوّلاً: القرآن يجلب نظرنا إلى القوانين المتنوعة

والرازي في تفسيره لم يذكر أن في القرآن كل العلوم والمعارف الإنسانية بالفعل، بل إنه مشى على أساس أن القرآن يجلب نظرنا إلى

(١) أظن انتقال ما نقل هنا من الغزالي والسيوطي، إلى آخر الدرس في المرحلة الثانية يكون أولى.

(٢) أصول التفسير و قواعده، خالد عبد الرحمن العك: ٢٢٠ (نشر دار النفائس، ط٢، ١٩٨٦، بيروت).

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي: ١٢/١. (تحقيق محمد البجاوي، نشر دار الفكر العربي).

القوانين المتنوعة المنشورة في الكون، ولن نستطيع أن نفهمه حقّ الفهم إن لم نطّلع على العلوم والمعارف، إذ إن في ضوئها نفهم كثيرا من أسرار القرآن. إذن فالقدامى من العلماء والباحثين ومن الصحابة والتابعين كانوا يعتقدون أن كل العلوم في القرآن، سواء عرفوا هذه العلوم التي كانت في عصرهم أو لم يعرفوها(٤).

ثانياً: القرآن مادة العلوم وسببها

وأكد البعض على أن القرآن الكريم هو سبب العلوم الإسلامية كلها ومرجعها، بأنه ما من علم إلا وقد نظر أهله في القرآن وأخذوا منه مادة علمهم أو مادة الحياة له(٥).

كما يشير الباحث جواد علي كسار متسائلا: فهل يجوز لكتاب هذه صفته أن يستغني فيه الإنسان عن التفسير؟ أبدا، بل المطلوب أن ينطلق العقل الإنساني في عملية تثوير القرآن والبحث عن علومه ومعارفه من خلال ما يطلق عليه صدر الدين الشيرازي بعملية الإستنباط، الذي يكتب في توضيحه: وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها، إذ ما من علم إلا وفي القرآن أصله وفرعه ومبدأه ومنتهاه، قال ابن مسعود: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن(٦).

---

(٤) تطور تفسير القرآن، د. محسن عبد الحميد: ٢٢٥، نقلا عن: الإعجاز العلمي في القرآن (للسامي): ٢٦. مشكاة الانوار.

(٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي:٨٠، دارالكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م، بيروت.

(٦) مفاتيح الغيب: ٦٠. وقد جاء في الحاشية: ثوّر القرآن أي بحث عن علمه. وهذا المعنى مقتبس عن الغزالي في إحيائه. نقلا عن كتاب فهم القرآن، جواد علي كسار:٧٠، نشر عروج، ١٤٢٤، طهران.

ثالثاً: القرآن هو الميزان في معرفة الصحيح من العلوم

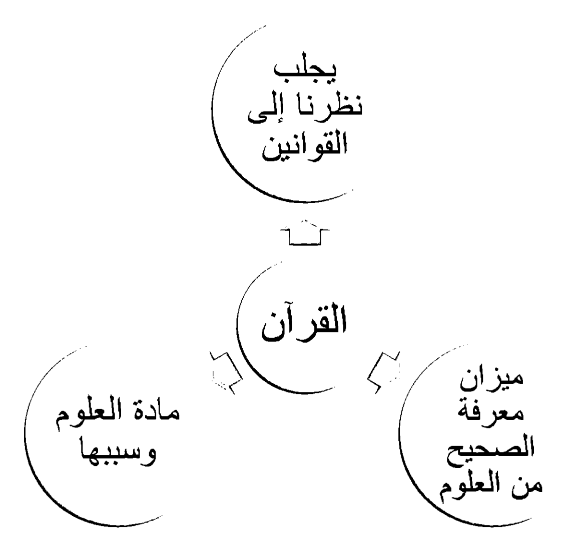
والبعض جعل القرآن هو الميزان في معرفة الصحيح من العلوم من غيرها، فيقول إنه ما من آية كريمة تطرّقت في مضامينها إلى أيّ علم من العلوم المادية إلا وجاء العلم متأخّرا بقرون يؤيّد صدق ما جاءت به. ومئات الآيات الكريمة هي اليوم نواميس و قواعد رئيسة في مختلف فروع العلوم المادية.

أما في حقل العلوم الإنسانية الوضعية المختلف عليها بين الأفراد والشعوب، كعلوم النفس والقانون والإجتماع والعقيدة والإقتصاد والتربية وغيرها، فآيات القرآن الكريم هي كلمة الفصل والميزان الدقيق في اعتماد مدى صحّتها.

فالقرآن الكريم هو بالنسبة لكل باحث مطّلع متجرّد عن الهوى، الميزان الحقيقي وكلمة الفصل في صحّة العلوم الإنسانية والمادّية الوضعية التي اكتشفها الإنسان.

فنجد في القرآن الكريم من كل علم مفيد للإنسان، فيه علم العقيدة بالله وعلم القانون وعلم الأخلاق وعلم الإجتماع، وهي كاملة ومفصّلة في التنزيل والحديث والسيرة، وقد وفّاها أكثر الباحثين حقها بشروح مستفيضة في عشرات الألوف من الأبحاث. وفيه علم التربية وعلم البلاغة، لا بل هو البلاغة بحدّ ذاتها. وهو الذي أغنى اللغة العربية بمعاني المفردات وأمدّها بها مثيرا قارئه للبحث عن حقائقها وماهياتها. كما أن فيه قوانين ومبادئ وخطوطا رئيسة من علم الفلك، وعلم الجيولوجيا أوعلم طبقات الأرض،

وعلم الجنين والوراثة، والطب الوقائي وغيرها، سبقت بما جاء فيها بقرون ما اكتشفه وتأكّد منه العلم اليوم(٧).



كيفية مرجعية العلوم إلى القرآن الكريم

المحور الثاني: آراء العلماء حول وجود العلوم في القرآن الكريم

١- العلوم القرآنية عند العلامة الطباطبائي

يحدّد السيد محمد حسين الطباطبائي أمّهات مقاصد القرآن ومعارفه، بالنقاط التالية:

١) المعارف المرتبطة بأسماء الله وصفاته.

أمّا الذات، فإن القرآن يرى أنها غنية عن البيان.

٢) المعارف المتعلقة بأفعاله سبحانه، من الخلق والأمر، والإرادة والمشيئة، والهداية والإضلال، والقضاء والقدر، وغير ذلك.

---

(٧) من علم الطب القرآني:١٠.

٣) المعارف المتعلقة بالوسائط الواقعة بينه وبين الإنسان، كالحجب واللوح والقلم والعرش والكرسي والبيت المعمور والسماء والأرض والملائكة والشياطين والجن وغيرها.

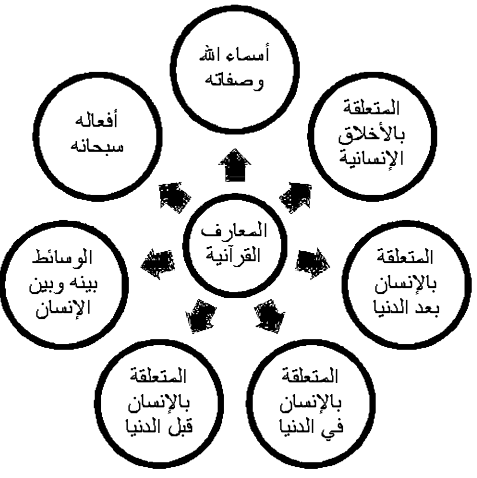
٤) المعارف المتعلقة بالإنسان قبل الدنيا.

٥) المعارف المتعلقة بالإنسان في الدنيا، كمعرفة تأريخه ونفسه واجتماعه، ومعرفة النبوة والرسالة والوحي والإلهام، والكتاب والدين والشريعة. ومن هذا الباب مقامات الأنبياء المستفادة من قصصهم.

٦) المعارف المتعلقة بالإنسان بعد الدنيا، وهو البرزخ والمعاد.

٧) المعارف المتعلقة بالأخلاق الإنسانية. ومن هذا الباب ما يتعلق بمقامات الأولياء في صراط العبودية من الإسلام والإيمان والإحسان والإخبات والإخلاص وغير ذلك.

يضيف الطباطبائي بعد عرض هذه المعارف وما تدلّل عليه من مقاصد: أمّا آيات الأحكام، فقد اجتنبنا تفصيل البيان فيها لرجوع ذلك إلى الفقه[٨].



المعارف القرآنية عند العلامة الطباطبائي

---

(٨) جواد علي كسار، فهم القرآن: ١١٨.

٢- العلوم القرآنية عند أبي حامد الغزالي[٩]

وهو من علماء القرن السادس الهجري وله مؤلفات كثيرة، منها كتاب إحياء العلوم، وجواهر القرآن.

يقول في كتابه إحياء العلوم:

بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متّسعا لأرباب الفهم. وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستّون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر. وقال آخرون: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم؛ اذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف؛ إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع. ثم يقول: فالعلوم كلها داخلة في أفعال اللهﷻ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها[١٠].

ويقول في كتاب جواهر القرآن:

تنقسم علوم القرآن إلى قسمين:

الأول: علم ظواهر القرآن - الصدف والقشور - ومنها علم اللغة والنحو وعلوم القرآن، علم مخارج الحروف، وعلم تفسير الظاهر.

والثاني: علم باطن القرآن - علم اللباب - ويشتمل على معرفة قصص القرآن وما يتعلق بالانبياء، علم الكلام، الفقه، أصول الفقه، العلم بالله، القيامة، العلم بالصراط المستقيم والسلوك.

وهي مجامع العلم التي تتحصل من القرآن[١١].

---

(٩) م ٥٠٥ ق.

(١٠) إحياء علوم الدين: ٢٨٩/١، باب فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل.

(١١) جواهر القرآن: ١٨، الفصل الرابع.

ويذكر في الفصل الخامس كيف أن سائر العلوم تتفرع عن القرآن، فيقول: ولعلك تقول إن العلوم وراء هذه كثيرة كعلم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه وعلم السحر والطلسمات وغير ذلك، فاعلم أنا إنما أشرنا إلى العلوم الدينية التي لا بد من وجود أصلها في العالم حتى يتيسر سلوك طريق الله تعالى والسفر اليه، أما هذه العلوم التي أشرت إليها فهي علوم ولكن لا يتوقف على معرفتها صلاحُ المعاش والمعاد فلذلك لم نذكرها، ووراء ما عددته علوم أخر يعلم تراجمها ولا يخلو العالم عمن يعرفها ولا حاجة إلى ذكرها. ثم هذه العلوم - ما عددناها وما لم نعدها - ليست أوائلها خارجة عن القرآن فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له(١٢).

٣- العلوم القرآنية عند ابن أبي الفضل المرسي(١٣)

وهو عالم متبحر في النحو والفقه والتفسير وله كتب متعددة من بينها تفسير القرآن، وهو مفرط في مجال التفسير العلمي للقرآن واستخراج مختلف العلوم من القرآن، حيث يقول: إن القرآن جمع علم الأولين الآخرين، ولا يعلم بها إلا الله، ومن ثم النبيﷺ بمقدار ما اختصه الله من علم، ثم بعده كبار الصحابة كالخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس لهم بها علم(١٤).

---

(١٢) جواهر القرآن، الفصل الخامس: ٢٥.

(١٣) ٥٧٠. ٦٥٥ ق.

(١٤) التفسير العلمي للقرآن: ١٥٩.

ثم يبين كيف استخرج المسلمون من القرآن علم الأصول والفقه والنحو والتاريخ والخطابة وتأويل الرؤيا وعلم النجوم والحساب والمعاني. وإن في القرآن علوما أخرى كالطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة.

ولعلم الطب يستشهد بقوله تعالى: **﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾**[١٥] وقوله تعالى: **﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾**[١٦] فإن الآية الأولى تتحدث عن حفظ النظام الصحي للجسم باعتدال المزاج، والآية الثانية تبين كيف توجد الصحة من بعد المرض؛ وإن علم الطب في هذين المطلبين.

وفي علم الهندسة يستشهد بقوله تعالى: **﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾**[١٧] ويستخرج من ذلك قاعدة بأن شكل المثلث ليس له ظل.

وبالنسبة لعلم الهيئة فإنه استشهد بالآيات التي تتحدث حول ملكوت السماوات والأرض.

وإنه يقول إن في القرآن أسس الصناعات وأسماء الآلات الضرورية لحاجة الإنسان، وأورد آيات للخياطة[١٨] والنجارة[١٩] والصيد[٢٠] والحدادة[٢١] والزراعة[٢٢] والملاحة[٢٣] [٢٤].

---

(١٥) الفرقان: ٦٧.

(١٦) النحل: ٦٩.

(١٧) المرسلات: ٣٠-٣١.

(١٨) الاعراف: ٢٢.

(١٩) هود: ٣٧.

(٢٠) ص: ٣٧.

(٢١) الكهف: ٩٦.

(٢٢) الواقعة: ٦٣.

(٢٣) الكهف: ٧٩.

(٢٤) التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٧٨، ٤٨٢.

٤- العلوم القرآنية عند بدر الدين الزركشي (٢٥)

وهو من المعتقدين بإمكان استخراج جميع العلوم من القرآن. ويقول: إن في القرآن علم الأولين والآخرين، وليس هناك شيء إلا ويستخرج من القرآن، وبالطبع هذا لا يكون إلا لمن رزقه الله فهم القرآن، حتى إن البعض قد استخرج عمر النبيﷺ الذي هو ٦٣ عاما من الآية الشريفة: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إذا جاءَ أَجَلُهــا﴾(٢٦)؛ لأن هذه الآية جاءت في اوائل السورة ٦٣ من القرآن - المنافقين - وبعدها سورة التغابن، كي يظهر خسارة الناس بفقدان النبيﷺ، ومن الآية: ﴿قالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَني نَبِيًّا﴾(٢٧) ولأن عدد الكلمات هو ٣٣ كلمة الاية استخرج عمر عيسى وهو ٣٣ سنة منها ؛، ومن الآية: ﴿إذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها﴾(٢٨) استنبط أن في عام ٧٠٢ يكون زلزال، وقد حدث في العام زلزال؛ لأنه وفق (حساب الأبجد) الألف ٢ والذال ٧٠٠، وكذلك قد استخرج بعض علماء العرب فتح بيت المقدس ونجاته من يد الأعداء من أول سورة الروم(٢٩).

---

(٢٥) صاحب البرهان في علوم القرآن، (م٧٦٤ق).

(٢٦) المنافقون: ١١.

(٢٧) مريم: ٣٠ . ٣٣.

(٢٨) الزلزلة: ١.

(٢٩) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ١٨١.

٥- العلوم القرآنية عند جلال الدين السيوطي[(٣٠)]

أورد في كتابه الإتقان في علوم القرآن وفي كتابه الاكليل في استنباط التنزيل، آيات وروايات كثيرة واستفاد منها على أن القرآن يشتمل على جميع العلوم.

واستدل بآيات من قبيل قوله تعالى: ﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[(٣١)]، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[(٣٢)].

وبأحاديث كحديث ابن مسعود: أنزل في القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء لكن علمنا يقصر عما بيّن لنا في القرآن[(٣٣)]. ويأتي بمثال على استنباط عمر النبيﷺ من الآية ١١ من سورة المنافقين.

ثم يقول: وأما أنواع العلوم الموجودة في القرآن، فلا يوجد مسألة مهمة في العلوم إلا وفي القرآن ما يدل عليها، في القرآن عجائب المخلوقات، ملكوت السماوات والأرض، وما بالأفق الأعلى وتحت الأرض، وقصص الأمم السالفة، ووجود الإنسان، وكيفية الموت، وما يتعلق بالمعاد والجنة، والكبائر والصغائر[(٣٤)].

خلاصة الدرس الخامس:

تمّت الإجابة عن السؤال الأساسي في هذا الدرس - هل توجد في القرآن الكريم علوم بشرية أو إن جميع العلوم البشرية في القرآن

---

(٣٠) ٩١١ ق.

(٣١) الأنعام: ٣٨.

(٣٢) النحل: ٨٩.

(٣٣) الاكليل في استنباط التنزيل: ٢. نقلا عن التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٧٨.

(٣٤) الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٢٧١، ٢٨٢.

الكريم أو لا يوجد في القرآن شيء من العلوم البشرية؟ - من خلال بيان نقطتين مهمّتين وهما:

الأولى: مرجعية العلوم إلى القرآن الكريم:

١. القرآن يجلب نظرنا إلى القوانين المتنوعة.

٢. القرآن مادة العلوم وسببها.

٣. القرآن هو الميزان في معرفة الصحيح من العلوم.

الثانية: آراء العلماء حول وجود العلوم في القرآن الكريم؛ وإليك بعض النماذج:

١- العلوم القرآنية عند العلامة الطباطبائي: يحدّد السيد محمد حسين الطباطبائي أمّهات مقاصد القرآن ومعارفه.

٢- العلوم القرآنية عند أبي حامد الغزالي: وهو من علماء القرن السادس الهجري وله مؤلفات كثيرة، منها كتاب إحياء العلوم، وجواهر القرآن.

٣- العلوم القرآنية عند ابن أبي الفضل المرسي: وهو عالم متبحر في النحو والفقه والتفسير وله كتب متعددة من بينها تفسير القرآن.

٤- العلوم القرآنية عند بدر الدين الزركشي: وهو من المعتقدين بإمكان استخراج جميع العلوم من القرآن.

٥- العلوم القرآنية عند جلال الدين السيوطي: أورد في كتابه الإتقان في علوم القرآن وفي كتابه الاكليل في استنباط التنزيل، آيات و روايات كثيرة واستفاد منها على أن القرآن يشتمل على جميع العلوم.

الأسئلة:

١. كيف أثّر القرآن الكريم في العلوم الإنسانية؟
٢. اذكر بعض العلوم التي أوجدها القرآن الكريم بصورة غير مباشرة؟
٣. بيّن كيفية مرجعية العلوم إلى القرآن الكريم؟
٤. اذكر ثلاثة نماذج من آراء العلماء حول وجود العلوم في القرآن الكريم؟
٥. بيّن كيفية تأثيرالعلوم الإنسانية في فهم القرآن؟

الدرس السادس: علاقة القرآن والعلم

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على علاقة القرآن والعلم.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على صور العلاقات بين العلم والدين.

٢. التعرف على التعارضات التي تبدو احيانا بين الدين - القرآن - والعلم وردّها.

٣. التعرف على نتائج تعارض أدلة العلم مع أدلة النقل الديني.

التمهيد

من الأبحاث التي يجب أن نشير اليها هي علاقة القرآن والعلم، وتفاعل القرآن والعلم، والمباني والمنهج والأدلة (الإعتبار والحجية).

والغرض من هذا البحث هو الرد على النظريات التي تحاول فصل العلم عن الدين، والتي تترتّب عليها فصل الدين عن المجتمع حيث أن العلم هو محط اهتمام المجتمعات البشرية يتوارثونه بينهم جيلا بعد جيل، وهذه النظريات وإن كانت قد تقع صحيحة لبعض الأديان المحرفة سابقا إلا أنها مخالف لإيديولوجية الدين الإسلامي الذي يحث الناس بطلب العلم

- خلاف المدّعى - والدليل على ذلك هو أن دين الإسلام منذ بداية نزول الوحي قد جعل العلم محور ايصال رسالته، وجعل القراءة والكتابة أهمّ الوسائل لفهم معاني كلمات الباري‌ﷻ ومفاهيمها، كقوله تعالى: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾**(٣٥) وغيرها من الآيات الكثيرة التي تحثّ الناس بالقراءة والكتابة والتفكّر والتدبّر والتعقّل، ورفع درجات العلماء كقوله تعالى: **﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾**(٣٦) وقوله تعالى: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾**(٣٧)، كما رفع درجة نبينا آدم أمام الملائكة وأمرهم بالسجود تعظيما وتجليلا له ولعلمه.

إضافة إلى ما وصل إلينا من روايات جمّة - من نبيّنا محمد‌ﷺ وأئمتنا المعصومين‌عليهم السلام - تحفز الناس على طلب العلم، ولم يحدد له مكانا ولا زمانا وإنما جعل المهد بداية التعلم واللحد نهايته، وفرض علينا طلبه مهما بَعُد المسافة.

فهذه دلائل جلية وبراهين واضحة تثبت مدى اهتمام دين الإسلام بالعلم والتعلم خلاف ما ادّعاه المنكرون، ففي هذا البحث سوف نقوم بطرح آراء العلماء في مختلف المجالات ثم نقوم بتحليل أقوالهم والإجابة على أهم اشكالاتهم بالدليل والبرهان، باذن الله تعالى.

---

(٣٥) العلق: ١-٥.

(٣٦) المجادلة: ١١.

(٣٧) الزمر: ٩.

المحتوى العلمي

علاقة القرآن بالعلم

تمهيد:

على الرغم من بحثنا بخصوص القرآن والعلوم التجريبية، لكننا سنطرح البحث بشكل عام يشمل جميع الأبحاث الدينية - علاقة العلم والدين - ولا نحدد الموضوع بدين أو كتاب خاص، وبالتأكيد فإننا في نهاية البحث سوف نتواصل إلى نتيجة، هي انسجام علاقة القرآن بالعلم.

على امتداد القرون والعصور ما كان علماء الدين وعلماء علوم الطبيعة منفصلين عن بعضهما البعض وأحيانا نرى شخصا فيلسوفا ومتكلما وشاعرا وأديبا وفقيها وطبيبا، فإذن النتيجة العملية لهذا الأسلوب والمنهج كانت اختلاط العلوم والموضوعات، وأحيانا يكون إبداء راي كل واحد بدلا من الآخر.

وشيئا فشيئا وبمرور الزمن انفصلت العلوم والفلسفة عن الدين، ولم تعين المجالات المشتركة بينها والخاصة لكل واحد، وبقيت العلاقة الدقيقة بينها في حالة من الإبهام.

وهذا ما حدى بالعلماء من مختلف الإختصاصات - الفلاسفة، المتكلمين، المفسرين، وعلماء العلوم الأخرى - أن يوضحوا الحد الدقيق ما بين الدين والعلوم التجريبية، وقد تحملوا في هذا الطريق عناءا كبيرا وقدموا آراءا متنوعة، والبعض ورد في هذا البحث بدافع الغيرة

الدينية والحرص على إنقاذ فلسفة الدين أو العلوم الأخرى، ونحن سنبحث باختصار نظرياتهم.

الإحتمالات في علاقة العلم والدين

إذا أردنا أن نبحث الموضوع وفق تقسيم صحيح على أساس الحصر العقلي، يجب أن نقول:

١. إما أن لا يكون علاقة بين العلم والدين، اي بينهما افتراق مطلق.

٢. وإما ان تكون هناك علاقة، وهي على احتمالين:

١) أن تكون العلاقة عدائية، اي بينهماعلاقة التعارض.

٢) أن تكون العلاقة غير عدائية، وهي كذلك على احتمالين:

أ. أن تكون علاقة تداخل العلم والدين.

ب. ان تكون علاقة انسجام وتفاعل بين العلم والدين.

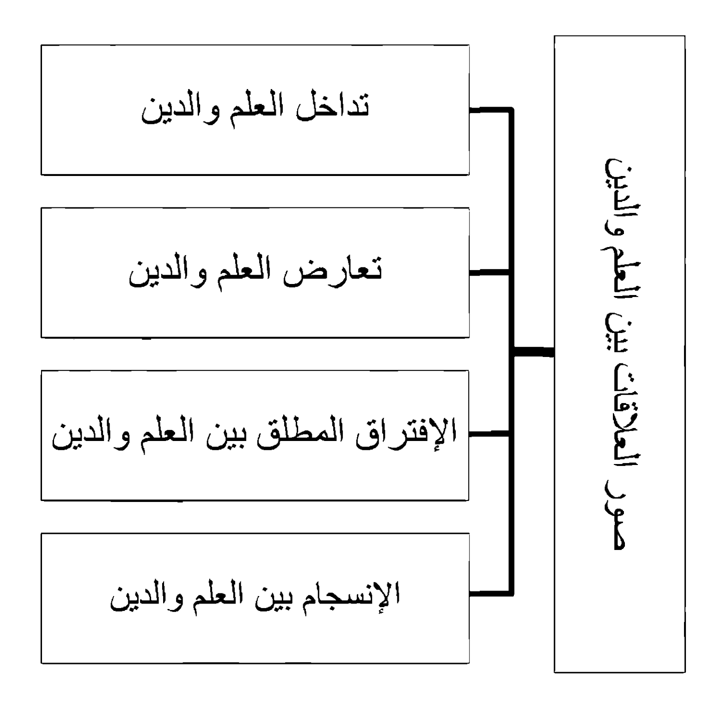
إذن يكون البحث في أربعة أنواع من العلاقة بين العلم والدين:

الأول: تداخل العلم والدين.

الثاني: تعارض العلم والدين.

الثالث: افتراق مطلق بين العلم والدين.

الرابع: انسجام العلم والدين.



صور العلاقات بين العلم والدين

والآن ندرس بالتفصيل النظريات الأربعة في علاقة العلم والدين:

النظرية الأولى: تداخل العلم والدين

هنا عدة آراء يمكن أن تطرح:

١. يعتقد البعض أن موضوع العلوم التجريبية - الطبيعية - هو قسم من موضوع الدين؛ لأن الدين من عند الله ويحق له أن يعطي تصورا في كل شيء حتى في مسائل العلوم التجريبية.

مثال: إذا أراد باحث في علم الأحياء أن يبحث في خصوص الإنسان ومراحل تكامله فعليه أوّلاً أن يدرس رأي الدين، فإذا كان رأي الدين يقول بأن الإنسان خلق دون مراحل التطور فلا يجب أن يسلك في بحثه تطور الإنسان من حيوانات سابقة له.

وهذه النظرية قد راجت في أوروبا في القرون الوسطى وعملوا بها كثيرا.

وفي المسلمين من يعتقد بأن جميع العلوم البشرية يمكن استخراجها من ظواهر آيات القرآن، ومخلص نظرهم او نظريتهم هو إن كل شيء موجود في القرآن، وإن القرآن هو الذي يعين إلى أين تكون وتنتهي نتائج المسائل الطبيعية.

مناقشة:

إننا نجد ظواهر القرآن تشتمل على أصول وقواعد العلوم والمعارف الدينية التي ترتبط بهداية البشر، وعلى الرغم من أنها تشير إلى العلوم الطبيعية، لكنها لا تتحدث عن العلوم بشكل مفصل وليست بصدد بيان ذلك.

٢. رأي آية الله جوادي آملي حفظه الله

ليس لدينا علم غير إسلامي ولا علم مادي؛ لأن العلم عبارة عن مجموعة مسائل فيها محمولات تثبت لمواضيع أو موضوعات معينة،

ويطلق على هذه المجموعة اسم العلم، فالعلم هو مجموعة المسائل التي نتائجها تثبت للموضوعات، وإن جميع العلوم سواء كانت علوم البحر أوعلوم الصحراء فهي تتضمن معلومات وعلما وعالما.

فحسب رأي الأستاذ جوادي، فإن العقل أعم من العقل التجردي المحض - الذي تعرض براهينه في الفلسفة والكلام والمنطق - والعقل نصف التجردي - الذي يستنتج الرياضيات - والعقل التجريبي - الإستقراء - والعقل الشهودي - منشأ العرفان -، وبجميع أقسامه هو - اي العقل - مقابل النقل، لا مقابل الدين - اي الشرع -، فالعلوم كلها دينية لأنها نتاج الدين أو نتاج العقل، وهو من الدين وليس في مقابله.

٣. رأي الدكتور **گلشني**

يقول الأستاذ **گلشني**: في رأيي إن منشأ التعارض - ما بين العلم والدين - هو التدخل الذي ليس محله من الطرفين في شأن الآخر، وبالطبع فإن الذي أراه ليس شيئين، بل شيء واحد، فبعض نشاطات العلم أعدها دينا.

وطبقا لرأي الدكتور **گلشني**، فإن العلم والدين ليس إنهما غير متعارضين فحسب، بل إن المعارف الدينية تبين القوانين والسنن الثابتة التي تبحث عنها مختلف العلوم.

وفي نظره إن العلم وسيلة للإنسان يتقرب بها إلى الله، وإن الهدف الأساسي للعلم هو معرفة صنع الله وآثاره، وهذا ما جاء ووصف في الأديان التوحيدية بأنه عبادة.

مناقشة:

يستنتج من كلام الدكتور **كلشني** أن العلم والدين في نظره شيء واحد لا أكثر، وكلامه يعني أن علاقة الإثنين علاقة تداخل - بعض الدين علم وبعض العلم دين -، لأنه يرى أن النشاط العلمي في نفس الوقت هو نشاط ديني ومقرب إلى الله.

النظرية الثانية: التعارض الكامل بين العلم والدين

ترى هذه النظرية أنه لا يوجد أيّ انسجام بين العلم والدين، وعلى الإنسان أن يختار أحدهما؛ لأنه كلما تقدم وتطور العلم التجريبي يواجه تعارضا أكثر مع الكتب المقدسة ويبطل القضايا اليقينية للدين، مما يعني وجود تعارض حقيقي بين العلم والدين.

ومثال ذلك، آراء غاليلو التي أبطلت ثبات الأرض التي هي من المسلمات في نظر المسيحيين، وكذلك نظرية دارون التي خدشت اعتبار قصة خلق آدمعليه السلام، وهكذا فإن البحث التاريخي أوجب الشك في ارتباط الكتاب المقدس بالوحي أو أثبت خطأ تاريخية تلك المعلومات الدينية.

وقد تطور هذا الرأي حتى اعتبر الدين أفيون الشعوب، وقد أدّى إلى تسلط وسيطرة المدرسة المادية كالماركسية في روسيا (الإتحاد السوفيتي سابقا) وسعوا لإزالة وعزل الدين عن الحياة والعلم.

مناقشة:

إن هذا التعارض موجودة جذوره في أوروبا واصطدام المسيحيين مع علماء العلوم التجريبية، والأفضل أن نقول إن هذه المسالة لها جذور تحريفية حدثت في الكتاب المقدس، وما أدخل في التوراة والإنجيل من

مطالب خلاف العلم والحكمة، أو القصص المختلقة التي عدّت من الوحي، وبعد مرور القرون ومجيء الإكتشافات الحديثة أثبت بطلانها، ولذا فإن علماء المسيحية ومن أجل حفظ هويتهم واعتبارهم ومكانة الكنيسة، قاموا برفض وطرد كل مطلب علمي لا يتطابق مع محتويات الكتاب المقدس، وقيل إن من يتبنى هذه المطالب يحاكم ويعاقب.

بالطبع إن هذه المسالة لا ترتبط بالقرآن ولا بالإسلام؛ لأن تعاليم الإسلام لا تتعارض مع الإكتشافات العلمية ولا تضادها، بل كلما تطورت العلوم البشرية كلما اتضحت حقائق القرآن اكثر فأكثر.

سؤال:

فما هي التعارضات التي تبدو أحيانا بين الدين - القرآن - والعلم؟

قبل ورود البحث وعلى وجه الإحتمال، يمكن تصور التعارض على نحوين:

١. تعارض واقعي بين العلم والدين؛ بمعنى أن جوهر وذات العلم لا ينسجم مع الدين بل ينفيه ويكذبه.

٢. تعارض ظاهري بين العلم والدين؛ بمعنى أنه لا تعارض حقيقي بينهما، ولكن أحيانا يبدو أن الدين يتعارض مع النظريات العلمية، وذلك يعود إلى أن بعض علماء العلوم التجريبية اعتبروا بعض النظريات قطعية في حال إنها لم تثبت، وعندما يلاحظون عدم انسجام النظرية العلمية مع آيات القرآن يتصورون أن العلم والدين متعارضان، ومن جانب آخر فإن بعض المفسرين أو المتكلمين يخطأون في فهم الدين ويعتبرون فهمهم قطعيا وصحيحا، فيعتبرون النظرية العلمية خاطئة.

وللوصول على الجواب لا بد من دراسة أحكام الدين بالمقارنة مع العلم، حيث نجدها على ثلاث صور:

١. أحكام دينية يقبلها العلم؛ وجود حقائق ومطالب في القرآن أو الروايات قد أثبتها العلوم.

مثال: النجاسات التي تعد في الإسلام حرام ونجسة، فبشكل عام عدت من المضرات بصحة الإنسان، وقد أوصانا الأطباء والمتخصصون بالصحة بالإبتعاد عنها[٣٨].

إذن في هذا المورد يوجد تطابق كامل بين الأحكام الدينية والعلمية، ولعل أكثر أحكام الإسلام هي من هذا النوع.

٢. أحكام دينية تضاد العلم؛ وجود حقائق ومطالب في القرآن أو الروايات لا تنسجم مع نظريات علمية، بل تتضاد معها.

مثال: يقول القرآن لدينا سبع سماوات[٣٩]، لكن الفرض إن علم الفلك يثبت أن مئات الأفلاك والمجرات موجودة في الكون، منها مجرتنا درب التبّانة، وتتشكل هذه المجموعة من مئات المنظومات التي إحداها منظومتنا ومجموعتنا الشمسية.

ويمكن معالجة هذه الصورة وتناولها من عدة نقاط:

أوّلاً: في الأبحاث السابقة قد أوضحنا أن العلوم التجريبية لا تعطينا قطعا مطابقا للواقع ولا يوجد هكذا إدعاء بل هي قابلة للخطأ، وبتعبير بعض

---

(٣٨) راجع كتاب: فلسفة أحكام.

(٣٩) البقرة: ٢٩.

العلماء إنها خرافات مفيدة، وبناء على هذا فإن العقل يحكم بأن الدليل القطعي - ظاهر القرآن - مرجح على الدليل الظني - القانون العلمي -.

ثانياً: إذا كانت النظرية العلمية تصل إلى مرحلة القطع واليقين بضميمة دليل آخر كحكم العقل، فيبدو أنها من مسائل تعارض العلم والدين، لكننا نعلم بأن الأحكام العقلية لا تتعارض مع أحكام الدين، بدليل:

١) إن الله حكيم وعاقل، ولا يصدر حكما خلافا للعقل.

٢) إن العقل حجة باطنية للإنسان، ولا يتعارض مع الحجة الظاهرية، اي النبي صلى الله عليه وآله.

٣) إن أصل الدين يثبت بواسطة العقل، فإذا أُبطل حكم العقل بواسطة النقل يكون أصل الدين باطلا. وهذا اللازم لا يقبله المتدينون.

إذن ليس ما نشاهده من التعارض في هذا القسم إلا تعارضا ظاهريا فيه احتمالان:

الإحتمال الأوّل: وجود خطأ في مقدمات الدليل العقلي الذي تعارض مع ظاهر الآيات، فمردود لا يعبأ به.

الإحتمال الثاني: وجود خطأ في مقدمات فهم الدين، فلا بد من التصرف في ظاهر الآية بقرينة حكم العقل.

٣. أحكام دينية أوسع من العلم؛ ونقصد بها المواضيع والأحكام التعبدية الدينية التي ذكرت في الآيات والروايات والتي هي أوسع من العلوم التجريبية ولا يوجد دليل لنفيها أو إثباتها، ففي هذا المورد لا بد لنا من تقبل ظاهر الأحكام الشرعية والتعبد بها لأن المعارف والعلوم البشرية في حالة تطور ولم تصل لحدّ الآن إلى أوج كلامها وبناء على

هذا لا يمكن أن نخطّئ حكما شرعيا لمجرد عدم وجود دليل علمي، فقد توجد نماذج كثيرة لصدور حكم شرعي لا يفهمه كثير من العلماء وبعد مرور قرون تتضح حكمة وسبب ذاك الحكم بشكل علمي، ومثال ذلك حرمة شرب الخمر في الإسلام.

فالنتيجة إذن: إنه لا يوجد بين الأحكام الشرعية - والمقصود هنا هو القرآن على وجه الخصوص - والعلوم التجريبية أيّ تعارض أو تضاد، وإذا كان هناك تضاد ظاهري ما بين بعض الأحكام الشرعية والعلم فبالتدقيق العلمي يمكن رفع ذلك التعارض. وقد بينا أن التعارض العلمي والديني ينجر إلى تعارض العلم والدين، وقد ثبت أن هذا التعارض محال.

تعارض أدلة العلم مع أدلة النقل الديني				
	الدليل العلمي	الدليل النقلي	حل التعارض	دليل الحل
١	قطعيا	قطعيا	لاتوجد هذه الحالة	لاستلزامها إجتماع الضدين أو النقيضين
٢	قطعيا	ظنيا	يقدم العقلي	لحجية القطع (القطع العلمي مقدم على الظن الشرعي)
٣	ظنيا	قطعيا	يقدم الشرعي	لحجية القطع (القطع الشرعي مقدم على الظن العلمي)
٤	ظنيا	ظنيا	يقدم الشرعي	لحجية الظن الشرعي وعدم حجية الظن العقلي

النظرية الثالثة: افتراق مطلق بين العلم والدين

بمعنى إن لكل من العلم والدين منهجا وهدفا منفصلا عن الآخر،وبناء على هذا لا يوجد بينهما أيّ تقارب أو اندماج.

والذين يعتقدون بهذه النظرية - أمثال كانت وأنصار نظرية التحليل اللغوي - على الرغم من أن لكل واحد منهم كلامه الخاص، لكن الكل يشترك في موضوع واحد هو إن مجال الدين منفصل عن المجال العلمي وليس بينهما أيّ تداخل أو تعارض، وكانت هذه النظرية جوابا على نظرية تعارض العلم والدين.

مناقشة:

هذه النظرية وإن كانت قد قبلت في الغرب عموما وفصلت بين حدود الدين وحدود العلم وأوجدت نوعا من حاكمية العلمانية، إلا أنها قد تنسجم مع ما في الإنجيل والتوراة ولكنها لا تنسجم مع القرآن، لما فيه من الحقائق العلمية الكثيرة والتي بسببها أسلم الكثيرون.

النظرية الرابعة: التوافق والإنسجام بين العلم والدين

تستنبط هذه النظرية من روح تعاليم الدين الإسلامية، ولها شواهد كثيرة من القرآن والروايات، ونحن هنا نذكر عدة مقدمات لإثباتها:

المقدمة الأولى: إن الإسلام في كثير من الموارد قد حث وشجع على العلم واهتم بالعلماء، وجاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن ظواهر علمية، وكلما تتطور العلوم التجريبية تتبين تلك الحقائق أكثر. إذن فإن الإسلام يؤيد العلم القطعي - العلوم التجريبية مع الدليل العقلي - ويشجع على ذلك، وإن العلوم القطعية شاهدة على الإعجاز القرآني.

المقدمة الثانية: قد أثبتنا أن تداخل العلوم مع الدين - إتحاد موضوعي وبنسبة التساوي - ليس صحيحا، وأن القول بأن ظواهر القرآن تحوي جميع العلوم البشرية لا يبدو صحيحا.

المقدمة الثالثة: وكذلك أثبتنا أنه لا تعارض بين العلوم التجريبية والمطالب العلمية في القرآن، والموارد التي يبدو أنها متعارضة يمكن رفعها بسهولة.

نستنتج: إذن هناك انسجام مّا بين العلوم التجريبية والقرآن، ولو كان هناك تداخل بين موضوعاتهما فذاك بالتأييد، لا بالرد والتعارض.

أدلة انسجام العلم والدين:

١. البرهان، لما ذكر من أن حصر هذه الحالات الأربعة عقلي، إذن عندما نبطل التداخل والإنفصال المطلق والتعارض فإنه طبيعة يبقى الطريق الرابع لعلاقة العلم والدين.

٢. يولي القرآن أهمية للعلم ويشجع عليه، ومن جانب آخر في بعض الروايات يكون العلم التجريبي في عرض الدين - كما نقل عن النبيﷺ: العلم علمان، علم الأديان وعلم الأبدان - أو ما جاء في روايات أخرى من فصل علم الفقه عن الطب والنحو والنجوم، ويستفاد من هذا التقسيم للعلوم أن في الجملة انفصال مساحة ومنهج العلوم التجريبية عن العلوم الدينية، لكن في نفس الوقت إن الإسلام قد شجع على العلمين، إذن العلم والدين كلاهما منسجمان.

٣. الأمثلة والمطالب العلمية في القرآن حول النجوم والأرض والنباتات متناغمة مع أحدث النظريات العلمية، وهذا يفهمنا أن العلم

والدين منسجمان ولا تعارض بينهما، خلافا لبعض الكتب المقدسة المحرفة في الأديان الأخرى تتراجع بإثبات كل نظرية علمية.

خلاصة الدرس السادس:

إليك أهمّ المسائل التي تمّ عرضها في هذا الدرس:

١. إنّ نوع العلاقة بين العلم والدين أو القرآن على نحو أخص، هو الإنسجام والتوافق كما دلت عليه شواهد الآيات والروايات.

٢. صور العلاقات بين العلم والدين هي كالتالي:

١) تداخل العلم والدين.

٢) تعارض العلم والدين.

٣) افتراق مطلق بين العلم والدين.

٤) انسجام العلم والدين.

٣. يمكن تصور التعارض بين الدين - القرآن - والعلم على نحوين:

١) تعارض واقعي بين العلم والدين؛ بمعنى إن جوهر وذات العلم لا ينسجم مع الدين بل ينفيه ويكذبه.

٢) تعارض ظاهري بين العلم والدين؛ بمعنى إنه لا تعارض حقيقي بينهما، ولكن أحيانا يبدو أن الدين يتعارض مع النظريات العلمية.

٤. لا يوجد بين الأحكام الشرعية - والمقصود هنا هو القرآن على وجه الخصوص - والعلوم التجريبية أيّ تعارض أو تضاد، وإذا كان هناك تضاد ظاهري ما بين بعض الأحكام الشرعية والعلم فبالتدقيق العلمي يمكن رفع ذلك التعارض.

الأسئلة:

١. اذكر أنواع العلاقات المحتملة بين العلم والدين؟

٢. ما هو المحذور من القول بتداخل العلم والدين؟

٣. ما هو دليل القائلين بوجود التعارض الكامل بين العلم والدين، وما هو الجواب؟

٤. كيف تجيب على القائلين بافتراق مطلق بين العلم والدين؟

٥. كيف تثبت نظرية الإنسجام بين العلم والدين؟

الدرس السابع: التنظير القرآني في العلوم

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على حقيقة وإمكانية التنظير القرآني في العلوم.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. الإطلاع على مفهوم النظرية.

٢. التعرف على آيات التنظير العلمي.

٣. التعرف على نماذج التنظير العلمي القرآني.

التمهيد:

ليس القرآن الكريم كتابا علميا مؤلّفا من آراء ونظريات ومصنّفا من أبواب ومباحث حتى يكون تحت مجهر العلوم الإنسانية والتجارب البشرية، وليس هدفه تقديم نظريات وآراء علمية قابلة للنقد والرد، ولكنه كتاب جامع شامل لما هو خير وصلاح لحياة البشر في الدارين، وهدفه الأسمى هو هداية الإنسان في كل شيء، فهو نور يُستنار به في ظلمات الجهل والضلال.

ومن الأمور التي تطرّق إليها القرآن الكريم لهداية البشر هو ذكر مسائل علمية في غاية الأهميّة التي يصحّ طرحها كنظريات علمية ثابتة، حيث تحفز الإنسان نحو البحث والدراسة والتحقيق ويتمكّن من خلالها الخبير من تأسيس نظرية علمية محقّقة بالدليل والبرهان في شتى العلوم الإنسانية كعلم الطبّ والسياسة والاقتصاد وغيرها.

ففي هذا البحث الموجز سوف نقوم بذكر نماذج وأدلة للتنظير القرآني في العلوم البشرية، باذن الله‎ﷻ.

المحتوى العلمي:

معنى التنظير والنظرية

التنظير في اللغة:

التنظير اسم أو مصدر من (نَظَّر يُنَظِّر تنظيراً) مشتق من أصل صحيح (ن ظ ر).

ورد في كتاب معجم مقاييس اللغة: النون والظاء والراء أصل صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمّل الشيء ومعاينته، ثم يستعار و يتّسع فيه، فيقال نظرت إلى الشيء أنظر اليه، إذا عاينته[٤٠].

وفي كتاب المصباح: نظرته (أنظُره نظَراً، ونظرت اليه أيضا)، أبصرته[٤١].

التنظير في الإصطلاح:

تنظير شيء، بمعنى التأمل فيه لوضعه بشكل نظرية، مثل تنظير أفكار.

---

(٤٠) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٤٤٤.

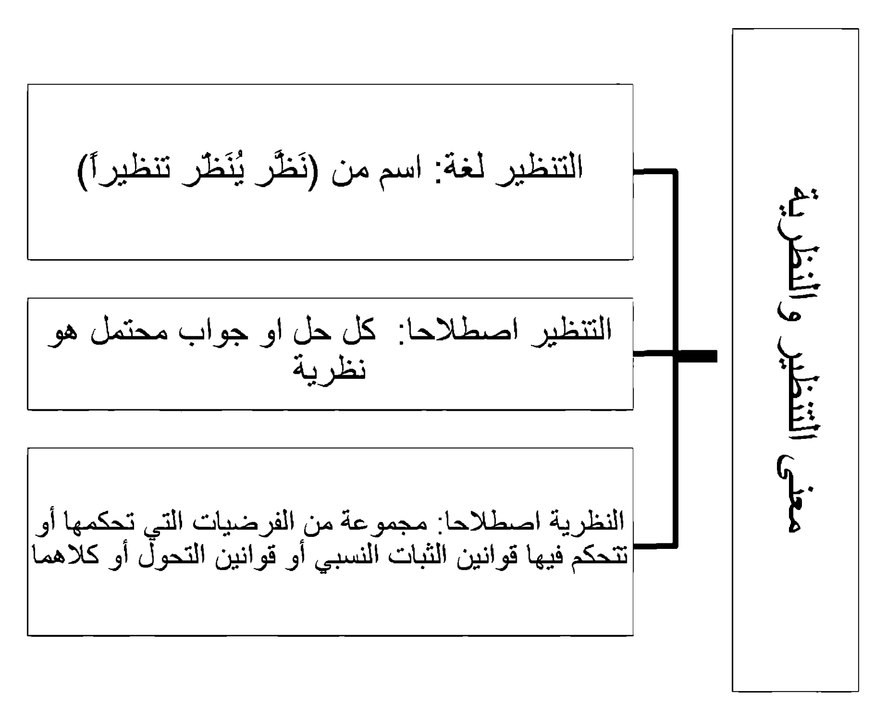
(٤١) المصباح المنير: ٢/ ٦١٢.

النظرية:

النظرية من الناحية الإصطلاحية هي مجموعة من الفرضيات التي تحكمها أو تتحكم فيها قوانين الثبات النسبي أو قوانين التحول أو كلاهما، ويكون ذلك على درجات متفاوتة من التأثير(٤٢).

ملاحظة: توجد تعاريف عدة لاصطلاح النظرية ونحن هنا لا نقصد منها الحقيقة العلمية، فكل حل محتمل هو نظرية، وهذه قد يقوم عليها الدليل فتكون حقيقة علمية ونتيجة بحثية أو برهانية، وقد لا تتوافر عليها الأدلة وتبقى محفوفة بقرائن نقلية أو عقلية لا توصلها إلى الجزم وهو ما نقصده في درسنا هذا من اصطلاح النظرية. ولا بد أن أشير أن البعض يطلق هذا الإصطلاح على المنظومة المعلوماتية المتكونة من مجموعة مسائل لعلم معين.

(٤٢) النظرية التربوية في الإسلام، دراسة تحليلية، الدكتور محمد جميل خياط: ١٣.



معنى التنظير والنظرية

التنظير القرآني

سؤال: هل يختص طرح النظريات بشخص ما؟

الجواب: إن طرح فرضيات كحلول للمشاكل العلمية ليس له طريق محدد، بل يمكن الإعتماد به على مجرد الحدس والتخمين، وقد يكون هذا الحدس ناشئا من تراكم خبرات وقد لا يكون كذلك.

ومن هنا يمكن أن نتجاوز مرحلة كون النظريات - الحلول الإفتراضية - منحصرة بالشخص المتخصص. فمن ليس له تخصص بعلم الإجتماع يحق له عقليا أن يقدم حدسا وجوابا إحتماليا لمشكلة ما، وكذا في الفلك والطب والعلوم الأخرى.

وفي الحقيقة لا بد أن نشير هنا إلى أن الأشخاص المثقفين ومختلف الشرائح الإجتماعية لهم الحق في طرح نظريات واقتراح حلول وإجابات، بل وكذا من حق المؤسسات والمنظمات وحتى الكتب الدينية والأدبية والإجتماعية وغيرها. ومادام الجواز حاصل فللقرآن الكريم أن يطرح النظرية النازلة من الوحي كإجابات لمختلف الأسئلة العلمية وكحلول للمشاكل العلمية والعملية.

ومن هنا نجد نظريات قرآنية علمية كثيرة ومهمة تجيب عن أسئلة كونية وطبية وفلكية ونفسية وغيرها، منها نظرية وجود كائنات حيّة في الكواكب الأخرى ونظرية الإنفجار الكبير وغيرها.

دفع اشكال متوهم:

لا تقل:إنه لا دليل علمي على صحة النظريات القرآنية لأنها حدسية لا نفع لها ولا قيمة، وذلك لأن الجواب هو: إنه كما لا يوجد دليل على

صحتها، كذلك لا يوجد دليل على بطلانها، وليس لنا حق أن نرفض معلومة احتمالية لأن العلم لم يثبتها، فنحن نتبع العلم ونتائجه القطعية أين وكيف ما كانت، وهنا لم يثبت العلم شيئًا بعكس أو بخلاف القرآن الكريم، فمثلا عندما يقدم القرآن الكريم نظرية وجود الحياة في الكواكب الأخرى فلم يصل علم الفلك إلى جميع أنحاء الكون وفتشها لكي نعتمد على نتائجه ونترك نظرية القرآن الكريم.

هذا، وسنشير إلى أن هذه الإطلاقات على اصطلاح أصحاب العلوم وإلا ففي تعبير التنظير بالنسبة إلى القرآن الكريم نوع من التسامح.

آيات التنظير العلمي

يمكن تقسيم الآيات العلمية إلى أربعة أقسام رئيسة: آيات الإعجاز العلمي، وآيات الإشارات المذهلة، وآيات الإشارات التي تدعو إلى التفكير والتدبر، وأخيرا آيات التنظير العلمي.

ويمكن تبويب تلك الآيات على عدة أبواب، منها:

١. في علم الفلك: **﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَثَّ فيهِما مِنْ دابَّةٍ﴾**(٤٣) وهي تشير إلى وجود كائنات حية في الفضاء.

وكذلك ما يشير إلى اتساع السماوات في الآية: **﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾**(٤٤).

٢. في علم الأحياء: الإشارة إلى تواصل الحيوانات فيما بينها: **﴿حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾**(٤٥).

---

(٤٣) الشورى: ٢٩.

(٤٤) الذاريات: ٤٧.

(٤٥) النمل: ١٨.

٣. في علم الطب؛ يعتبر القرآن وسيلة لشفاء الأمراض الجسدية والروحية والنفسية وغيرها، كما تشير إلى ذلك: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاء﴾**(٤٦).

٤. في علم الإقتصاد؛ فالقرآن يبطل المعاملات الربوية ويعدّها حربا على اللّه والرسول، فيقول: **﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِه﴾**(٤٧).

٥. في علم الحقوق؛ يعتبر القرآن أن العوامل المعنوية لها أثر كبير في السيطرة على الأفراد وردعهم عن العصيان لأنها الضمانة لتنفيذ القوانين وتطبيقها، فيقول ﷻ: **﴿إِنَّ الَّذينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُون﴾**(٤٨) وكذلك: **﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتيد﴾**(٤٩).

٦. في علم السياسة؛ يقدم لنا القرآن نظاما سياسيا خاصا تكون فيه المشروعية منزّلة من الأعلى، كما في الآية: **﴿أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾**(٥٠) وهو ما يخالف الأنظمة السياسية الوضعية المعاصرة التي تكون فيها المشروعية منبثقة من الأسفل إلى الأعلى، أي من رأي الشعب.

---

(٤٦) الإسراء: ٨٢.

(٤٧) البقرة: ٢٧٩.

(٤٨) الأعراف: ٢٠١.

(٤٩) ق: ١٨.

(٥٠) النساء: ٥٩.

٧. في علم الإدارة؛ يقوم النظام الإداري في القرآن على الإدارة الرحمانية، كما أن عنصر انشراح الصدر يكتسب أهمية كبيرة. فيقول: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي﴾(٥١) (٥٢).

في علم الفلك:
- وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَثَّ فيهما مِنْ دابَّة

في علم الأحياء:
- حَتَّى إذا أتوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلوا مَساكِنَكُمْ

في علم الطب:
- وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ ما هُوَ شِفاء

في علم الاقتصاد:
- فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِه

في علم الحقوق:
- إنَّ الَّذينَ اتَّقوْا إذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تذَكَّرُوا فإذا هُمْ مُبْصِرُون

في علم السياسة:
- أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

في علم الإدارة:
- قالَ رَبِّ اشْرَحْ لي صَدْري وَيَسِّرْ لي أمْري وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِساني

آيات التنظير القرآني

(٥١) طه: ٢٥- ٢٧.

(٥٢) العلاقة بين القرآن والعلم، بحث: د. محمد علي رضائي (الأصفهاني)، تعريب: السيد حسن مطهر الهاشمي، من إصدارات الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ- ٢٠١٥ م.

نماذج التنظير العلمي القرآني

إن تعبير التنظير العلمي بالنسبة إلى القرآن الكريم فيه نوع من التسامح، لأن القرآن يبين ويعرض حقائق وليست نظريات إحتمالية قابلة للرد والإثبات - كما هي عقيدتنا الدينية - إذن التعبير أعلاه على أساس الإصطلاحات الرائجة.

الأوّل: التنظير القرآني في علم التربية

المقصود من التنظير العلمي القرآني في دائرة التربية الأمور التربوية التي طرحها القرآن الكريم والتي لم تطرح من قبل وبعد القرآن أيضا لحد الآن لم يتم طرحه وإثباته في المدارس التربوية، ولكن يمكن أن تكون موضوعات للبحث والعمل بالنسبة إلى العلوم التربوية ويكون لها نتائج في توسعة أو تضييق العلوم التربوية.

وتوجد أمثلة متعددة من هذه التنظيرات، و نشير إلى بعضها:

١. تقديم أساليب جديدة تربوية، مثل التزكية.

٢. تقديم أسس ومباني جديدة تربوية في دائرة علم الأحياء وعلم الإنسان[٥٣] ونظرية المعرفة.

٣. تقديم عوامل تربوية جديدة في دائرة ما وراء الطبيعة، كالملائكة.

---

(٥٣) علم الإنسان أو الأنثروبولوجيا هي دراسة البشر وسلوك الإنسان والمجتمعات الماضية والحاضرة. علم الإنسان الاجتماعي وعلم الإنسان الثقافي يدرسان قيم ومعايير المجتمعات. الأنثروبولوجيا اللغوية تدرس كيف تؤثر اللغة على الحياة الاجتماعية. ويدرس علم الإنسان الحيوي التطور البيولوجي للإنسان.

٤. تقديم الموانع التربوية الجديدة في دائرة العلوم التربوية، مثل الشيطان.

٥. تقديم الأهداف الجديدة التربوية في دائرة العلوم التربوية، مثل لقاء الله.

أمثلة التنظير القرآني في علم التربية
تقديم أساليب جديدة تربوية، مثل التزكية
تقديم أسس ومباني جديدة تربوية في دائرة العلوم
تقديم عوامل تربوية جديدة في دائرة ما وراء الطبيعة، كالملائكة
تقديم الموانع التربوية الجديدة في دائرة العلوم التربوية، مثل الشيطان
تقديم الأهداف الجديدة التربوية في دائرة العلوم التربوية، مثل لقاء الله

الثاني: التنظير القرآني في علم السياسة[٥٤]

يطرح القرآن في بعض العلوم وعلى الأخص العلوم الإنسانية مطالب - بلا سابق لها - تعتبر نظريات منافسة فيها وتكون محلا للبحث والتحقيق للحصول على نتائج مثيرة تسير بحياة الإنسان نحو الكمال والسعادة، وتغير من وجه العلوم الإنسانية.

---

(٥٤) التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٩١.

ومثال ذلك، نظرية الشرعية في النظام السياسي:

يعرض القرآن نظاما سياسيا خاصا ويعتبر المشروعية من الأعلى إلى الأدنى، فيقول: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(٥٥).

وهذا خلاف للأنظمة السياسية المعاصرة في العالم التي تعتبر مشروعية الحكومة من الأدنى إلى الأعلى اي على أساس رأي الناس. بعبارة أخرى إن رأي الناس وإن كان معيارا لقبول الحكومة وله مكانة هامة في القرآن، لكن منشأ الشرعية هو أمر الله وأن يكون عن طريق النبيﷺ وخلفاءه الخاصين والعامين.

فإذا جرت هذه النظرية في علم السياسية، لها أن تجعل من وجه النظام السياسي نظاما مختلفا جديدا موجبا لسعادة الإنسان، لأن تطبيق أمر الله - الذي يعلم أسرار الكون - في الحياة السياسية والإجتماعية ضمان حقيقي لمصلحة البشر.

خلاصة الدرس السابع:

أهمّ المسائل التي تمّ بيانها في هذا الدرس، هي كالتالي:

١. **مفهوم التنظير والنظرية:**

- التنظير لغة: اسم من (نَظَّر يُنَظِّر تنظيراً).
- التنظير اصطلاحا: كل حل أو جواب محتمل هو نظرية.
- النظرية اصطلاحا: مجموعة من الفرضيات التي تحكمها أو تتحكم فيها قوانين الثبات النسبي أو قوانين التحول أو كلاهما.

---

(٥٥) النساء: ٥٩.

٢. من آيات التنظير العلمي:

- في علم الفلك؛ **وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَثَّ فيهِما مِنْ دابَّة**.
- في علم الاحياء؛ **حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ**.
- في علم السياسة؛ **أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**.
- في علم الحقوق؛ **إِنَّ الَّذينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُون**.
- في علم الطب؛ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاء**.

٣. من نماذج التنظير العلمي القرآني في علم التربية، كالتالي:

- تقديم أساليب جديدة تربوية، مثل التزكية.
- تقديم أسس ومباني جديدة تربوية في دائرة العلوم.
- تقديم عوامل تربوية جديدة في دائرة ما وراء الطبيعة، كالملائكة.
- تقديم الموانع التربوية الجديدة في دائرة العلوم التربوية، مثل الشيطان.
- تقديم الأهداف الجديدة التربوية في دائرة العلوم التربوية، مثل لقاء الله.

الأسئلة:

١. عرّف التنظير لغة واصطلاحا؟
٢. ما هو المراد من التنظير العلمي القرآني؟
٣. اذكر نموذجين للتنظير العلمي القرآني في علم التربية؟
٤. اذكر مثالا للتنظير العلمي القرآني في علم السياسة؟
٥. ما هي ثمرة بحث التنظير العلمي القرآني؟

الدرس الثامن: تفاعل القرآن مع العلوم وتأثيره فيها

الهدف الأساس للدرس:

معرفة أنحاء تفاعل القرآن مع العلوم وتأثيره فيها.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على مجالات تأثير القرآن في العلوم.

٢. التعرف على مجالات تأثير العلوم في فهم القرآن.

التمهيد

إن البحث عن تفاعل القرآن مع العلوم يبرز اهتمام القرآن الكريم لمختلف جوانب حياة الإنسان حيث يقدّم للبشر فرصة التطور والتقدم ويحفزهم على البحث والتفحص والتحقيق ويسوقهم نحو السير التكاملي للعقل، قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٥٦]، فالعلوم

(٥٦) البقرة: ١٦٤.

البشرية تنبثق من عمق أفكار الإنسان بالتفكر والتدبر والتعقل، وهذا ما يدعو إليه الله جل وعلا في كتابه الكريم.

المحتوى العلمي

المحور الأول: تأثير القرآن في العلوم

القرآن الكريم قد أثر أو يمكن أن يؤثر في العلوم وبالأخص العلوم الإنسانية في عدة مجالات:

المجال الأول: إيجاد توسعة في بعض العلوم

في نظرة تاريخية يتضح أن بعض العلوم الإنسانية قد تكونت أو تطورت متأثرة بالقرآن بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد أكد العلامة الطباطبائي رحمه الله على دور القرآن في ذلك، وذكر بعض العلوم منها:

أوّلاً: العلوم التي أوجدها القرآن مباشرة

لدى المسلمين بعض العلوم التي موضوعها نفس القرآن الكريم، يعني ترتبط بالقرآن مباشرة وشيئاً فشيئاً تطورت وصارت علما منفصلا، وهي تبحث أحيانا ألفاظ القرآن وأحيانا معاني ومعارف القرآن، وعلى طوال التاريخ كتبت حولها كتب متعددة، وهي:

١. علم تجويد القرآن: الذي يبحث عن كيفية تلفظ الحروف وحالاتها، ويدرس فنون ذلك.

٢. علم القراءات: وهو يبحث عن قراءات القرآن السبعة أو العشرة أو الأربعة عشر، وتاريخها وأسبابها وقرائها.

٣. علم رسم الخط القرآني: الذي يبحث عن قواعد الخط العربي بشكل عام والخط القرآني بشكل خاص وأقسام الخط - النسخ والكوفي وغيرها - ويبين خصائص ذلك.

٤. علوم القرآن: وهو يدرس المعلومات بخصوص القرآن في مجالات كالمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والتأويل والباطن وغيرها.

٥. فقه القرآن: وهو يبحث آيات الأحكام ودلائلها.

٦. علم التفسير: علم يبين معاني ومقاصد آيات القرآن، ويكون على صورتين تفسير ترتيبي وموضوعي. وقد ألفت على طوال التاريخ آلاف كتب التفسير.

٧. علم الحديث: إن القرآن اعتبر النبي صلى الله عليه وآله مبيّنا ومفسّرا للقرآن، ولذلك لعبت السنّة دورا أساسا في التفسير، ومن بعد ذلك جاءت عشرات الكتب في التفسير الروائي التي جمعت روايات النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: العلوم التي أوجدها القرآن بصورة غير مباشرة

هناك علوم عند المسلمين وجدت - بتشجيع القرآن على العلم - خدمة لعلوم رئيسة مثل التفسير وتطورت حتى صارت علوما مستقلة، وألفت فيها كتب عديدة على طوال التاريخ، ومنها:

١. علم الدراية: الذي يبين الإصطلاحات المتعلقة بالحديث.

٢. علم الرجال: الذي يبحث أحوال الرواة وسند الروايات.

٣. علم الكلام: علم يبحث في العقائد والدفاع عنها. وجذوره هي الآيات القرآنية الإعتقادية والأحاديث الإسلامية، فصار شيئاً فشيئاً علما مستقلاً.

٤. علم الفقه: الذي يبحث عن استنباط القوانين الشرعية من آيات الأحكام والأحاديث الفقهية. وهو أيضا قد تطور وصار علما مستقلا.

٥. علم أصول الفقه: وهو يبحث عن قواعد الإستنباط من القرآن والحديث، وقد تبدل إلى أكثر علوم المسلمين تطورا.

٦. علوم الأدب العربي: الذي يشمل علم النحو والصرف، والإشتقاق والمعاني. وهذه العلوم وضعت للتلفظ الصحيح للآيات، لكن بما أن لها فوائد عامة لجميع العلوم وهي مقدمة لاستخدام أي متن، صارت علوما مستقلة وميراثا ثمينا للعرب والمسلمين. ووضعت في هذه العلوم مؤلفات عدة، وقد أثرت حتى في الأدب الفارسي والتركي.

٧. التاريخ: وقد انطلق هذا العلم في الإسلام من قصص القرآن والأنبياء وسيرة النبيﷺ والأحاديث، ثم صار على شكل تاريخ ما قبل الإسلام وما بعد الإسلام وتاريخ العالم، وله مؤرخين كبار وكتب قيّمة.

ثالثاً: علوما كان القرآن سببا في نضجها

قد تولد بعض العلوم داخل ثقافة وحضارة لأمة خاصة، وقد تنتقل أحيانا من أمة إلى أخرى وتتطور، والأمة الإسلامية غير مستثناة من هذه القاعدة فبعض العلوم قد ترجموها من الفارسية واليونانية والهندية ووسعوها وعمقوها، ومنها:

١. الفلسفة: وهي في البداية دخلت البلاد الإسلامية من اليونان وفيما بعد صارت تحت تأثير الفكر الإسلامي، بحيث يمكن مشاهدة جميع المسائل والبراهين في القرآن والحديث.

٢. المنطق: على الرغم من أن أصل هذا العلم قد وصلت إلى المسلمين من اليونان، لكن نظرا لاهتمام القرآن بالبرهان والإستدلال والمجادلة بالتي هي أحسن، اهتم المسلمون بعلم المنطق وقد تطور هذا العلم لدى المسلمين بشكل كبير ووضعوا فيه كتبا عديدة.

وفي عصرنا الحاضر يمكن الإستفادة من القرآن في تطوير العلوم الإنسانية وتوسعتها والتنظير فيها أو إيجاد علوم إنسانية قرآنية جديدة اي إبداع علوم وليدة تلاقح القرآن والعلوم البشرية، بحيث يمكن نسبة العلم الوليد إلى القرآن، مثلا علم النفس القرآني.

المجال الثاني: توجيه أهداف ومباني العلوم

من تأثير القرآن في العلوم وبالأخص العلوم الإنسانية هو الإرشاد والتوجيه للعلوم، إذ أوجد أهدافا ومبانٍ جديدة لها والتي بسببها أحدث تغيرا في وجهة تلك العلوم.

مثال ذلك تأثير القرآن في علم الإقتصاد:

طرح القرآن مبادئ وأحكاما في حركة الأموال بين الناس لعدم تراكم الثروة في قطب واحد من المجتمع، فقال‌ﷻ: ﴿**كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ**﴾[٥٧] وقال: ﴿**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى**﴾[٥٨] وقال‌ﷻ: ﴿**لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[٥٩]. وهنا يؤثر القرآن في إقامة وتعديل أهداف

---

(٥٧) الحشر: ٧.

(٥٨) المائدة: ٨.

(٥٩) الحديد: ٢٥.

الإقتصاد، وعليه لا يكون هدف الإقتصاد جمعاً للثروة فقط، بل الثروة مطلوب للعدل وعبادة الله.

ملاحظة: إن القرآن - إضافة إلى المباني والأهداف - تدخل كذلك في القضايا الإقتصادية كما حرم الربا وأحل معاملات أخرى؛ ﴿أَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾[٦٠].

المجال الثالث: التنظير العلمي للقرآن

ونقصد هنا تمكن القرآن الكريم واشتماله على نظريات علمية صالحة لأن تكون أجوبة وحلول وفرضيات لكثير من البحوث العلمية الإنسانية والطبيعية، التجريبية منها والوصفية. فالقرآن الكريم حاله حال أيّ قائد للبشرية، له الحق - بل والتمكن - من تقديم حلول واستراتيجيّات لإنقاذ البشر وهدايتهم إلى برّ السعادة والكمال. ونشير إلى بعض تلك النظريات العلمية القرآنية:

١. نظرية الشرعية في النظام السياسي:

يعرض القرآن نظاما سياسيا خاصا ويعتبر المشروعية من الأعلى إلى الأدنى، فيقول ﷻ: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٦١].

---

(٦٠) البقرة: ٢٧٥.

(٦١) النساء: ٥٩.

٢. الإقتصاد اللاربوي:

يرفض القرآن الكريم في مباحث الإقتصاد كل معاملة ربوية ويصفها بأنها حرب على الله؛ ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَ رَسُولِه﴾[٦٢].

توسعة العلوم	• العلوم التي أوجدها مباشرة، كعلم التجويد والقراءات والفقه والحديث وعلوم القرآن • العلوم التي أوجدها بصورة، غير مباشرة كعلم الفقه وأصول الفقه والرجال • العلوم التي كان القرآن سببا في نضجها، كالفلسفة والمنطق
توجيه اهداف ومباني العلوم	• كتأثير القرآن في الاهداف الإقتصادية
التنظير العلمي للقرآن	• كنظرية الشرعية في النظام السياسي • ونظرية الاقتصاد اللاربوي

مجالات تأثير القرآن في العلوم

المحور الثاني: تأثير العلوم في فهم القرآن

نجد أن العلوم - وخصوصا العلوم الإنسانية - خدمت القرآن الكريم في بعض الموارد على عدة حالات من الخدمة، سواء من خلال التعمق في فهم القرآن أو من خلال ظهور حالة التخصص في البعد المعرفي

---

(٦٢) البقرة: ٢٧٩.

للقرآن الكريم. وإليكم بعض تلك المواطن التي تركت فيها العلوم البشرية أثرا في تفسير القرآن الكريم:

١. تأثير العلوم الإنسانية في فهم وتفسير القرآن وظهور تفاسير تخصصية في القرآن الكريم.

إن تفسير القرآن - كما في العلوم الأخرى للبشر - في طول التاريخ يتجه نحو التعالي والتعمق، ففي البداية كان بالتفسير الروائي ثم التفسير الترتيبي للقرآن، وأما أخيرا فإننا نلاحظ ولادة التفسير اللغوي والأدبي والإداري والسياسي والإقتصادي والحقوقي وغيرها.

ويمكن ترتيب التفاسير التخصصية على المناهج الثلاثة الأساسية:

١) تفسير القرآن بواسطة العلوم.

٢) إستنباط الأنظمة العلمية من القرآن، اي استخراج عناصر المنظومة المكونة لكل علم.

٣) التنظير العملي للقرآن الكريم، اي التفتيش بالقرآن لمعرفة النظريات والأجوبة التي يقدمها الوحي لتفسير الطبيعة وظواهرها، مثل وجود مخلوقات في الفضاء.

٢. إثبات الإعجاز العلمي للقرآن في العلوم الإنسانية.

الإعجاز العلمي للقرآن فيه أبعاد كثيرة من ضمنها الإعجاز الأدبي - الفصاحة والبلاغة -، ولكن بواسطة العلوم ظهرت أنواع جديدة من الإعجاز، مثلاً:

١) الإعجاز التربوي في القرآن الكريم[٦٣].

---

(٦٣) د. مصطفى رجب. الناشر: جدارا للكتاب العالمي، الاردن ٢٠٠٦ م.

٢) الإعجاز الإقتصادي في القرآن الكريم[٦٤].

٣) إعجاز القرآن الكريم في تشريع الميراث[٦٥].

تأثيرها في فهم وتفسير القرآن	• كالتفاسير اللغوية والأدبية والسياسية والإقتصادية
إثبات الإعجاز العلمي للقرآن	• كالإعجاز التربوي والإقتصادي

مجالات تأثير العلوم في فهم القرآن

خلاصة الدرس الثامن:

تبيّن ممّا سبق أنه ثمّة تفاعل كبير بين القرآن الكريم والعلوم البشرية، حيث أوجد القرآن نهضة علمية عظيمة في العلوم الإنسانية وقدّم للبشر خدمة كبيرة في مختلف العلوم وشتّى المجالات.

فقد لعب القرآن دورا كبيرا في ثلاثة مجالات:

المجال الأول: توسعة العلوم.

١. العلوم التي أوجدها القرآن الكريم نفسه وبشكل مباشر، كعلم التجويد وعلم القراءات وعلم الفقه والحديث وعلوم القرآن وغيرها.

---

(٦٤) دكتر أسامة سيد عبد السميع.

(٦٥) رفعت السيد العوضي.

٢. العلوم التي أوجدها بشكل غير مباشر، كعلم الفقه وأصول الفقه والرجال، وهلمّ جرا.

٣. العلوم التي كان القرآن سببا في نضجها، كالفلسفة والمنطق.

المجال الثاني: توجيه أهداف ومباني العلوم، كتأثير القرآن في الاهداف الإقتصادية.

المجال الثالث: التنظير العلمي للقرآن، كنظرية الشرعية في النظام السياسي ونظرية الإقتصاد اللاربوي.

وكذلك أدّت العلوم دورا مهمّا في فهم القرآن الكريم ك:

١. تأثير العلوم الإنسانية في فهم وتفسير القرآن.

٢. إثبات الإعجاز العلمي للقرآن في العلوم الإنسانية.

الأسئلة:

١. كيف أثّر القرآن الكريم في العلوم الإنسانية؟

٢. اذكر بعض العلوم التي أوجدها القرآن الكريم بصورة غير مباشرة؟

٣. كيف طوّرت القرآن علم المنطق؟

٤. ما هو دور القرآن في علم الإقتصاد؟

٥. بيّن كيفية تأثيرالعلوم الإنسانية في فهم القرآن؟

الدرس التاسع: مناهج البحث العلمي في القرآن الكريم

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على نظرة القرآن الكريم حول مناهج البحث العلمي.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على تعريف وخصائص المنهج العلمي.
٢. الإشارات القرآنية إلى مناهج البحث العلمي.
٣. التعرف على مناهج البحث العلمي التي أشار إليها القرآن الكريم.

التمهيد

لا بد من الإشارة في مطلع البحث أن القرآن الكريم كتاب منفرد بمنهجه الخاص وأسلوبه الرشيق وطريقة تناوله المسائل والقضايا المتنوعة، فهو ليس كتابا مقيدا بموضوع علمي أو أخلاقي أو غير ذلك، بل هو كتاب مؤلَّف من قِبَل ربّ العالمين، والهدف الأساسي منه هو الهداية العامة والخاصة. فإذن كل سورة وكل آية وكل جملة وكل كلمة مذكورة في القرآن الكريم وكذلك كل منهج أو أسلوب مسلوك في القرآن تهدف هداية الإنسان، وبإمكان كل إنسان أن يستخدمه في ما ينفعه في حياته الدنيوية والأخروية.

المحتوى العلمي

نحاول ان نبدأ الدرس بتعريف المنهج العلمي، ونقصد بالمنهج العلمي هنا طريقة تحصيل المعلومات، ويمكن عرض بعض التعاريف لمنهج البحث العلمي:

١. إنه عملية فكرية منظمة يقوم بها شخص يسمّى الباحث، من أجل تقصي الحقائق في شأن مسألة أو مشكلة معينة تسمّى موضوع البحث، بإتباع طريقة علمية منظمة تسمّى منهج البحث، بغية الوصول إلى حلول ملائمة للعلاج أو إلى نتائج صالحة للتعميم على المشاكل المماثلة تسمّى نتائج البحث، تحت رعاية وتوجيه شخص خبير يسمّى المشرف. وتفاصيل هذا التعريف في ثنايا هذا الكتاب[٦٦].

٢. إنه جهد منظّم وموجّه بغرض التوصل إلى حلول للمشكلات التربوية والعلمية والتعليمية وغيرها[٦٧].

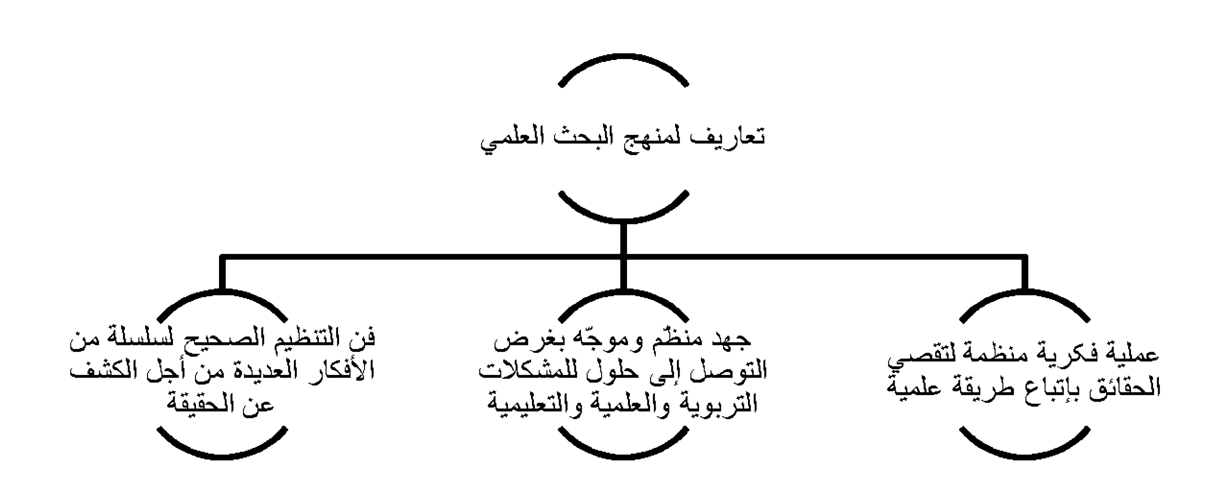
٣. هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة من أجل الكشف عن الحقيقة، أو طريق كسب المعرفة، أو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة لاكتشاف الحقيقة، أو الخطوات المنظمة التي يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها[٦٨].

---

(٦٦) الدكتور جمال الدين محمد علي تبيدي، مناهج البحث العلمي: ٦، جامعة أم درمان الإسلامية.

(٦٧) عبد الرحمن بن عبد الله الواصل، البحث العلمي خطواته ومراحله: ١٣، إدارة التعليم في محافظة عنيزة ١٩٩٩ م، السعودية.

(٦٨) الدكتور جمال الدين محمد علي تبيدي، مناهج البحث العلمي: ٧.



تعريف المنهج العلمي

خصائص المنهج العلمي

وكما أن للمنهج العلمي ميزاته فله خصائصه، التي من أبرزها الآتي:

١. يعتمد المنهج العلمي على اعتقاد بأن هناك تفسيرا طبيعيا لكل ما هو ملاحظ من الظواهر.

٢. يفترض المنهج العلمي أن العالم كون منظّم لا توجد فيه نتيجة بلا سبب.

٣. يرفض المنهج العلمي الإعتماد على مصدر الثقة، ولكنه يعتمد على الفكرة القائلة بأن النتائج لا تعد صحيحة إلا إذا دعمها الدليل(٦٩).

استعراض مختصر عن مناهج البحث العلمي

المختصون بالمناهج مختلفون بشأن تصنيف مناهج البحث العلمي، فيضيف البعض مناهج ويحذف آخرون مناهج أو يختلفون حول أسمائها. فيما يلي سنعرض أهم المناهج التي يتفق عليها الكثير من الباحثين.

أوّلاً: المنهج التاريخي

ويعتمد المنهج التاريخي على وصف وتسجيل الوقائع وأنشطة الماضين ولكن لا يقف عند حد الوصف والتسجيل بل يتعداه إلى دراسة وتحليل للوثائق والأحداث المختلفة وإيجاد التفسيرات الملائمة والمنطقية لها على أسس علمية دقيقة، بغرض الوصول إلى نتائج تمثل حقائق منطقية وتعميمات تساعد في فهم ذلك الماضي والإستناد على

---

(٦٩) عبد الرحمن بن عبد الله الواصل، البحث العلمي خطواته ومراحله: ١٧.

ذلك الفهم في بناء حقائق للحاضر وكذلك الوصول إلى القواعد للتنبؤ بالمستقبل.

فالمنهج التاريخي له وظائف رئيسية تتمثل في التفسير والتنبؤ، وهو أمر مهم للمنهج العلمي.

ثانياً: المنهج الوصفي (المسحي)

ويعريف المنهج المسحي أو المسح بأنه عبارة عن تجميع منظم للبيانات المتعلقة بمؤسسات إدارية أو علمية أو ثقافية أو اجتماعية كالمكتبات والمدارس والمستشفيات مثلا وأنشطتها المختلفة وموظفيها خلال فترة زمنية معينة.

والوظيفة الأساسية للدراسات المسحية هي جمع المعلومات التي يمكن تحليلها وتفسيرها ومن ثم الخروج باستنتاجات.

ومن أهدافه وصف ما يجري والحصول على حقائق ذات علاقة بشيء ما، كمؤسسة أو مجتمع معين أو منظمة جغرافية.

ثالثاً: المنهج التجريبي

المنهج التجريبي هو طريق يتبعه الباحث لتحديد مختلف الظروف والمتغيرات التي تخص ظاهرة مّا والسيطرة عليها والتحكم فيها.

ويعتمد الباحث الذي يستخدم المنهج التجريبي على دراسة المتغيرات الخاصة بالظاهر محل البحث بغرض التوصل إلى العلاقات السببية التي تربط بين المتغيرات التابعة، وقد يلجأ الباحث إلى إدخال متغيرات جديدة من أجل التوصل إلى إثبات نفس علاقة مفترضة. كذلك فقد يقوم بالتحكم في متغير مّا.

رابعاً: المنهج الإحصائي

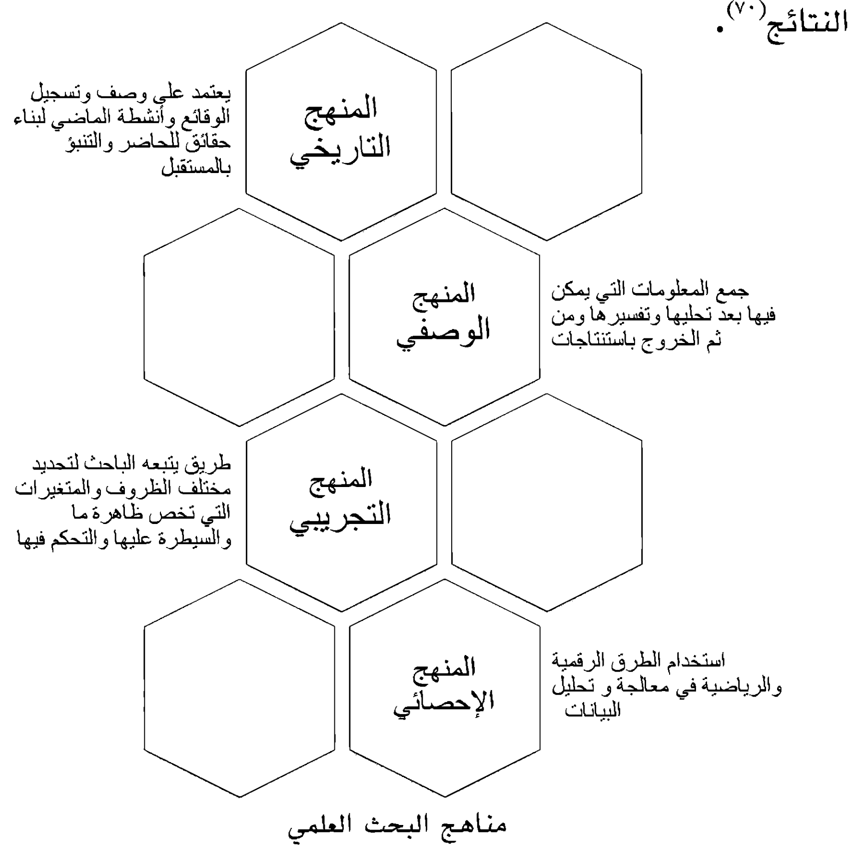
هو عبارة عن استخدام الطرق الرقمية والرياضية في معالجة و تحليل البيانات. ويتم ذلك عبر عدة مراحل:

١. جمع البيانات الإحصائية عن الموضوع.

٢. عرض هذه البيانات بشكل منظم وتمثيلها بالطرق الممكنة.

٣. تحليل البيانات.

٤. تفسير البيانات من خلال تحليل ما تعنيه الأرقام المجموعة من النتائج(٧٠).



مناهج البحث العلمي

(٧٠) عبد الرحمن بن عبد الله الواصل، البحث العلمي خطواته ومراحله: ٥٨- ٧٧.

الإشارات القرآنية إلى مناهج البحث العلمي

أوّلاً: منهج الإستدلال العقلي

العقل هو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها، أو هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين، وهو نور روحاني به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية.

وقد دعا القرآن الكريم كل باحث أو دارس إلى إعمال العقل والرجوع إليه والإفادة منه، ونوّه مرارا وتكرارا بالعقل وبالذين يعقلون.

ولا جدال أن منهج الإستدلال العقلي في القرآن يعتمد على ضرورة الإقناع بالحجة العقلية الواضحة، فحينما تنظر مثلا إلى:

١. وصية لقمان لابنه التي وردت في القرآن الكريم ﴿**وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيم**﴾(٧١)، نجد أن لقمان استخدم هنا منهج الإستدلال العقلي في إقناع ولده، فهو لم يصدر له حكما فقط بأن لا يشرك بالله، وإنما قدم له أسباب الحكم قائلا إن الشرك لظلم عظيم(٧٢)، ظلم للنفس البشرية وظلم للإنسانية كلها، ذلك لأن المشرك يعتقد أن مع الله آلهة أخرى، والإنسان إذا اعتقد أن فلانا يملك النفع أو الضرر فقد أشرك باللهﷻ شركا خفيا.

---

(٧١) لقمان: ١٣.

(٧٢) لقمان: ١٣.

٢. دعوة سيدنا ابراهيم خليل الرحمن لقومه إلى إعمال العقل حتى يهتدوا إلى الطريق المستقيم؛ **﴿قالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُم * أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾**(٧٣).

وبالإضافة إلى هذا فإن المتأمل في آيات القرآن الكريم يكتشف أن العقل والسلوك يتصاحبان اطرادا وعكسا، والدليل على ذلك أن النبيﷺ قدم عليه ناس من الأعراب فوجدوه في حجرات نسائه، فلم يصبروا حتى يخرج إليهم ونادوه: يا محمد! يا محمد! اخرج إلينا، فقال اللهﷻ في ذمهم: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾**(٧٤).

ثانياً: منهج الإسترداد التاريخي

وهو منهج يقوم على النظر والمشاهدة والمعاينة للأشياء، ثم الوصول إلى نتائج علمية.

إنه يعرض وقائع إجتماعية مختلفة التاريخ والمناسبات، لعل الباحث يستوثق أن لهذه الوقائع مقدمات سيئة أنتجت تلقائيا نتائج سيئة. تأمل قول الله تعالى: **﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين﴾**(٧٥) وقولهﷻ: **﴿قُلْ سيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمين﴾**(٧٦) وقوله سبحانه: **﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعين * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا﴾**(٧٧).

---

(٧٣) الأنبياء: ٦٦- ٦٧.

(٧٤) الحجرات: ٤.

(٧٥) آل‌عمران: ١٣٧.

(٧٦) النمل: ٦٩.

(٧٧) النمل: ٥١- ٥٢.

نرى أن منهج الإسترداد التاريخي يؤدي إلى استنباط قانون إجتماعي لا يتخلف، هو أن المجتمعات المفسدة أو المجرمة أو الظالمة هابطة بل ساقطة، مهما تكن بدأت ومهما تكن بدت قوية أو غنية.

ثالثاً: منهج الإستقراء التجريبي

هذا المنهج يتجه إلى جمع الأدلة التي تساعد على إصدار تعميمات، ويستند في تحليلاته إلى الشك والملاحظة والتجربة وطرح الفروض والمشاهدة للظواهر الطبيعية والكونية ودراستها دراسة تجريبية لاكتشافها والتأكد من حقيقتها.

ويمكن أن نتلمس أهم ملامح هذا المنهج في قصة خليل الرحمن إبراهيم في الإستدلال على وجود الله، حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(1)، فإبراهيم فإبراهيم كان يبغي ربّا وكان يتأمل الشمس والقمر، فرأى في الليل كوكبا مضيئا فقال: هذا ربي، ومضى ينظر ليستوثق من ربوبيته ولكنه رآه يأفل، فشك في كونه ربّا واستنتج علميا وعقليا أنه غير أهل للربوبية. ثم طلع القمر، فرآه خليل الرحمن بازغا يزيد قدره على قدر

---

(1) الأنعام: ٧٥- ٧٩.

غيره من الكواكب، فقال: هذا ربي، ثم تابعه بالنظر المتأمل حتى رآه يأفل هو الآخر، فعدل إبراهيم عن رأيه والتمس من الله أن يهديه للحق. وأشرقت الشمس، فرآها خليل الرحمن أعظم نورا من كل شيء رآه قبل ذلك، فقال: هذا ربي هذا أكبر، ولكنها أفلت آخر النهار فاستنبط إبراهيم الحقيقة وهي أنه لا معبود بحق إلا الله ﷻ الذي لا يغيب ولا يفنى.

رابعاً: المنهج المقارن

وهو منهج يستخدمه القرآن الكريم في كثير من آياته، فأنت ترى الله ﷻ يدعونا في كثير من آياته إلى أن نقارن بين العلم والجهل، والنور والظلام، والمؤمنون والكافرون، وما إلى ذلك. فهذا هو الحق تبارك وتعالى يقارن لنا بين العلماء وغيرهم فيقول: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾[1] وقوله ﷻ: ﴿**وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ * وَلاَ الظُّلُماتُ وَلاَ النُّورُ * وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ * وَما يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَلاَ الْأَمْواتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَما أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾[2] وقوله ﷻ: ﴿**إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾[3].

فهذه الآيات تدعونا إلى أن نقارن بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون وبين الأبرار والفجار ومصير كل فريق منهما، وحينما يقارن الباحث بين هذه الأشياء يصل إلى الحقيقة، وهذه هي هدف البحث العلمي.

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) فاطر: ١٩- ٢٢.

(٣) الإنفطار: ١٣- ١٤.

منهج الإستدلال العقلي	• أفتعْبُدُونَ مِنْ دُون اللهِ ما لا يَنْفعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُم
منهج الإسترداد التاريخي	• سيرُوا فِي الأرْض فانْظرُوا كيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُجْرمين
منهج الإستقراء التجريبي	• وَ كذلِكَ نُري إبْراهيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الأرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِين
المنهج المقارن	• هَلْ يَسْتوِي الذينَ يَعْلمُونَ وَالذينَ لا يَعْلمُون

مناهج البحث العلمي المشار إليها في القرآن

خصائص منهج البحث العلمي في القرآن

تضمن القرآن الكريم منهجا لاكتساب الحقائق العلمية، وهذا المنهج يحتاجه كل باحث عن الحقيقة العلمية ويمكن تلخيص هذا المنهج بما يلي:

أوّلاً: إن أية قضية من القضايا لا يمكن إثباتها بمجرد دعواها بل لا بد أن تكون مستندة إلى دليل يدعمها وبمقدار صحة الدليل وقطعيته تكتسب القضية الصحة والثبوت. وهذا ما صرح به القرآن الكريم في مواضع مختلفة، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

(١) البقرة: ١١١.

ثانياً: إن الواجب على الباحث أن يفرق أثناء عملية الإستدلال بين الدليل اليقيني وبين الدليل الظني وما دون الظني؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[١] وقال تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ﴾[٢]، وبين النظرية في العلوم والحقيقة العلمية، فالدليل اليقيني وحده هو الذي يصح الإعتماد؛ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

ثالثاً: لا بد للباحث من طرح التقليد الأعمى، وهو أكبر خطر على الوصول إلى الحقائق واكتشافها بل هو المعول الهدام لصرح العلم الصحيح، ولقد كان بين الإسلام وبين التقاليد العمياء صراع عنيف دام فترة من الزمن حتى استطاع أن يقتلع جذوره من نفوس الجاهلين ويفتح عقولهم لتستضيء بنور الحق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾[٤].

رابعاً: عدم التناقض بين الحقائق، إذ لو جاز التناقض بين الحقائق لانهار صرح العلم. وهذا ما جاء موضحا في الآية الكريمة: ﴿ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ﴾[٥]؛ إذ التناقض أشد من التفاوت، فإذا انتفى التفاوت كان التناقض منتفيا من باب أولى.

---

(١) يونس: ٣٦.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) الزمر: ٩.

(٤) البقرة: ١٧٠.

(٥) الملك: ٣.

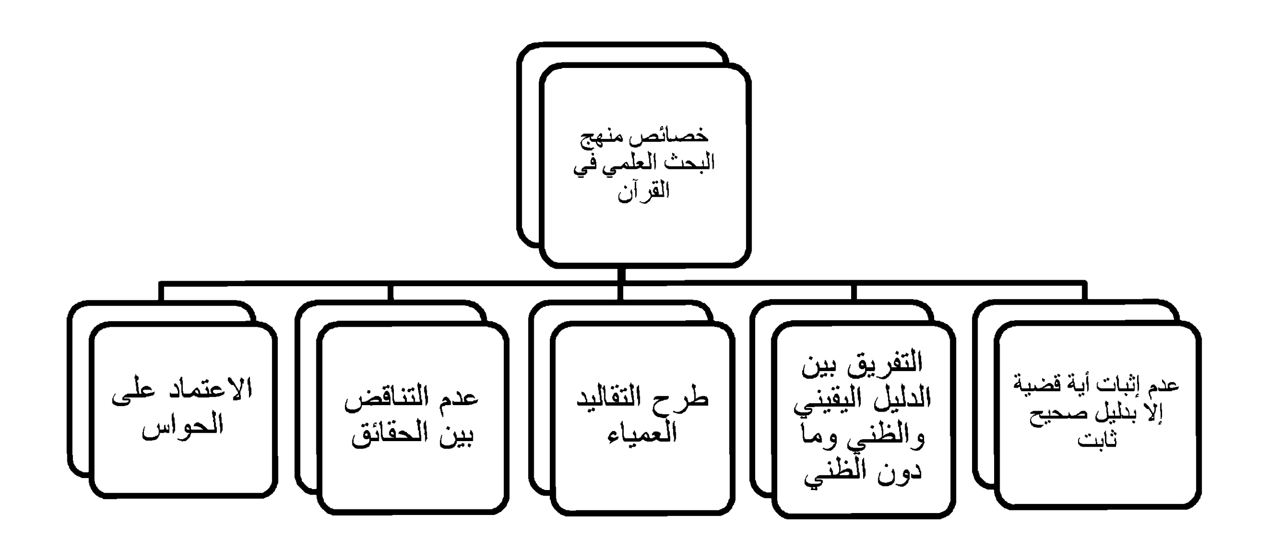
خامساً: الإعتماد على الحواس، فلقد عرفنا أن من القضايا ما يمكن إثباته بطريق الذهن وحده، وأن قسما آخر منها يفتقر في إثباته إلى الإعتماد على الحواس ومن هذا القسم العلوم المادية، ولولا اعتمادها على الحواس ومن وراء الحواس العقل لما اتسعت هذه العلوم ولما تمكن الإنسان من كشف شيء جديد، والقرآن يطلب من أولي النهى أن يعملوا حواسهم وعقولهم في مظاهر الحياة وأن لا يهملوها فسيسألون يوم القيامة عن هذا الإهمال؛ قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُ**﴾(١).

ومما تقدم تعلم أنه لا بد للباحث من أن يأخذ بهذه القواعد التي رسمها القرآن الكريم وجعلها منهاجا للوصول إلى الحقائق عامة(٢).

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) جمال الدين محمد علي تبيدي، مناهج البحث العلمي: ١٤- ١٥.



خصائص منهج البحث العلمي في القرآن

خلاصة الدرس التاسع:

نستخلص من هذا الدرس عدة أمور:

١. لقد أشار القرآن الكريم إلى عدّة مناهج للبحث العلمي:

١) منهج الإستدلال العقلي؛ ﴿**أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُم**﴾.

٢) منهج الإسترداد التاريخي؛ ﴿**سيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمين**﴾.

٣) منهج الإستقراء التجريبي؛ ﴿**وَكَذلِكَ نُري إِبْراهيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنين**﴾.

٤) المنهج المقارن؛ ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذينَ لا يَعْلَمُون**﴾.

٢. هناك عدة تعاريف لمنهج البحث العلمي:

١) عملية فكرية منظمة لتقصي الحقائق بإتباع طريقة علمية.

٢) جهد منظّم وموجّه بغرض التوصل إلى حلول للمشكلات التربوية والعلمية والتعليمية.

٣) فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة من أجل الكشف عن الحقيقة.

٣. للمنهج البحث العلمي في القرآن خصائص:

١) إن إثبات أية قضية لا بد أن يكون من دليل صحيح ثابت.

٢) على الباحث أن يفرق أثناء عملية الإستدلال بين الدليل اليقيني والظني وما دون الظني.

٣) لا بد للباحث من طرح التقليد الأعمى، وهو أكبر خطر على الوصول إلى الحقائق.

٤) عدم التناقض بين الحقائق.

٥) الإعتماد على الحواس.

الأسئلة:

١. عرّف منهج البحث العلمي؟

٢. وضّح بشكل موجز المنهج المسحي والمنهج التجريبي؟

٣. اذكر مثالا لمنهج الإستدلال العقلي في القرآن الكريم؟

٤. ما هو المراد من المنهج المقارن في القرآن؟

٥. اذكر - مختصرا - اثنين من خصائص منهج البحث العلمي في القرآن؟

الدرس العاشر: أهداف الآيات العلمية والنظريات في ذلك

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على أهداف الآيات العلمية والنظريات في ذلك.

أهداف ثانوية في الدرس:

١- التعرف على الآراء بخصوص ذكر المسائل العلمية في القرآن.

٢- التعرف على أهداف الآيات القرآنية العامة.

٣- التعرف على أهداف الآيات العلمية القرآنية خاصة.

التمهيد

لمعرفة أهداف القرآن الكريم أهمية قصوى تساهم في فهم هذا المنهج الرباني الفريد وتقودنا إلى معرفة الظروف التي نزل فيها، فإن هذه المعرفة تحوطها مجموعة قضايا يتأثر بها تفسير القرآن الكريم ومنه تفسير الآيات العلمية التي هي محطة درسنا الحالي.

ولكي يبقى القرآن حيا في النفوس ويتفاعل معه المسلم دائما، فعليه تشخيص هذه الأهداف حتى يبقى الإهتمام به من خلالها

ومن خلال ما احتواه من حقائق علمية وتاريخية واجتماعية تدعم هذه الأهداف[1].

المحتوى العلمي

المبحث الأول: الأهداف العامة للقرآن الكريم

إن أهداف القرآن الأساسية لا تكاد تخرج عن أربعة:

١. الهداية إلى اللهﷻ: ﴿**إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[2].

٢. إيجاد الشخصية الإسلامية المتكاملة المتوازنة، يكاد يوجدها من العدم ويلتقطها من الواقع الجاهلي الآسن. وصدق الله العظيم القائل: ﴿**أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها**﴾[3].

٣. إيجاد المجتمع الإسلامي القرآني الأصيل، وهو المجتمع المكون من الأفراد القرآنيين الذين أنشأهم القرآن. بناء هذا المجتمع على منهج القرآن وأسسه ومبادئه وتوجيهاته، وإرساء أسس هذا المجتمع ومناهج حياته. قال الله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ**﴾[4]، فالقرآن هو دعوة النبيﷺ، وهو دعوة إلى الحياة اللائقة ببني الإنسان، الحياة القرآنية في كافة مجالاتها

---

(١) عبد الشهيد مهدي الستراوي، القرآن نهج و حضارة: ٧٩. مؤسسة الاعلمي، ط١، ١٩٩٧ بيروت.

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) الأنعام: ١٢٢.

(٤) الأنفال: ٢٤.

وجوانبها ومظاهرها، ومن رفض هذه الدعوة فقد رفض الحياة وحكم على نفسه بالموت، الموت المعنوي الذي لا يشابه الموت المادي المحسوس. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾[٥].

٤. قيادة الأمة المسلمة في معركتها اللازمة مع الجاهلية من حولها، مع أعدائها المتربصين بها الذين لا يرقبون فيها إلّا ولا ذمة، ولا يتركون في حربها أسلوبا ولا وسيلة. فالقرآن يأخذ بيد هذه الأمة إلى ميدان المعركة، ويوقفها فيه، ويمدها بوسائل النصر وأسلحة القتال وأساليب الجهاد، ويعرفها على سبب شن الأعداء الحرب عليها، وعلى هدفهم من حربها، وعلى اجتماعهم على قتالها، وعلى استخدامهم كل ما يقدرون عليه لإفنائها، وعلى شخصياتهم ونفسياتهم، وعلى أساليبهم ومكائدهم، وعلى مكرهم ومراوغتهم، وعلى شبهاتهم ودعاياتهم، وعلى أسلحتهم وأدواتهم[٦].

المبحث الثاني: نظريات بخصوص ذكر المواضيع والمسائل العلمية في القرآن

لقد تشكلت ثلاثة آراء مهمة في الجواب على سؤال مهم وهو لماذا ذُكرت الآيات العلمية في القرآن الكريم:

الأول: إن ذكر المواضيع العلمية في القرآن لا يمثل هدف القرآن الأساسي، بل إن هدف القرآن الأوضح والأساس هو هداية الإنسان إلى

---

(٥) الأنعام: ٣٦.

(٦) صلاح عبد الفتاح الخالدي، مفاتيح للتعامل مع القرآن: ٧٦- ٧٧. مع التلخيص. دار القلم، ط٣، ٢٠٠٣، دمشق.

الله، إلا أنه قد يستفاد من المواضيع العلمية كشواهد ومحفزات ومقربات للهداية.

فالتعرض للعلوم لم يكن من أهداف القرآن المباشرة، وهذا يتفق مع رأي العلماء الذين قالوا إن القرآن تبيان لكل شيء يرتبط بالهداية، لا كل شيء وإن كانت تفاصيل العلوم ومعادلاتها وإحصاءياتها وأرقامها؛ لأن العلوم والعرض لها ليست من أهداف القرآن(٧).

ويقول بعض العلماء المعاصرين: في القرآن الكريم أبحاث حول العلوم والطبيعة والإنسان جاءت بشكل حاشية، ولعلنا لم نر آية تبحث بشكل مستقل حول خلق العالم وكيفية وجود السماوات والأرض، وأكثر ما جاءت هذه الآيات لهداية الإنسان نحو الله واطلاعه بعظمة الله ولكي ينظر الإنسان إلى العالم بمعرفة فطرية.

وبعبارة أخرى فإن القرآن ليس كتاب فيزياء أو جيولوجيا أو كتاب أعشاب أو كتابا مختصا بعلم الفلك، بل القرآن كتاب أنزله الله لصناعة الإنسان ولكي يسلك الإنسان طريق التكامل والقرب من الله، ولذا فإن الآيات التي تحدثت عن الموجودات والخلق لم تتكلم بشكل مفصل إلا بالقدر الذي ينسجم وهدف القرآن في هداية الناس، ولذا نرى هذه الآيات أكثر إبهاما، خلافا لكثير من الآيات(٨).

الثاني: كما أن الهدي الديني والمعنوي للإنسان هو من أهداف القرآن الأساسية، فكذلك المطالب العلمية في القرآن تعد من أهداف

---

(٧) الميزان: ١٤/ ٣٢٥. مجمع البيان: ٤/ ٢٩٨. الكشاف: ٢/ ٢١و ٣١.

(٨) معارف قرآن، الأستاذ مصباح اليزدي، بتلخيص: ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨.

القرآن الأساسية، ولذلك قد اهتم القرآن كثيرا بالمواضيع العلمية ومعرفة الطبيعة. وهذا الكلام يوافق رأي الذين يقولون إن القرآن يوجد فيه جميع العلوم الدينية والإنسانية والتجريبية(٩).

الثالث: إن القرآن حينما يذكر القصص ويضرب الأمثال العلمية، فهو يتكلم بثقافة مخاطبيه وليس الهدف من ذلك طرح الموضوع العلمي بشكل مباشر أو عرضي.

مناقشة:

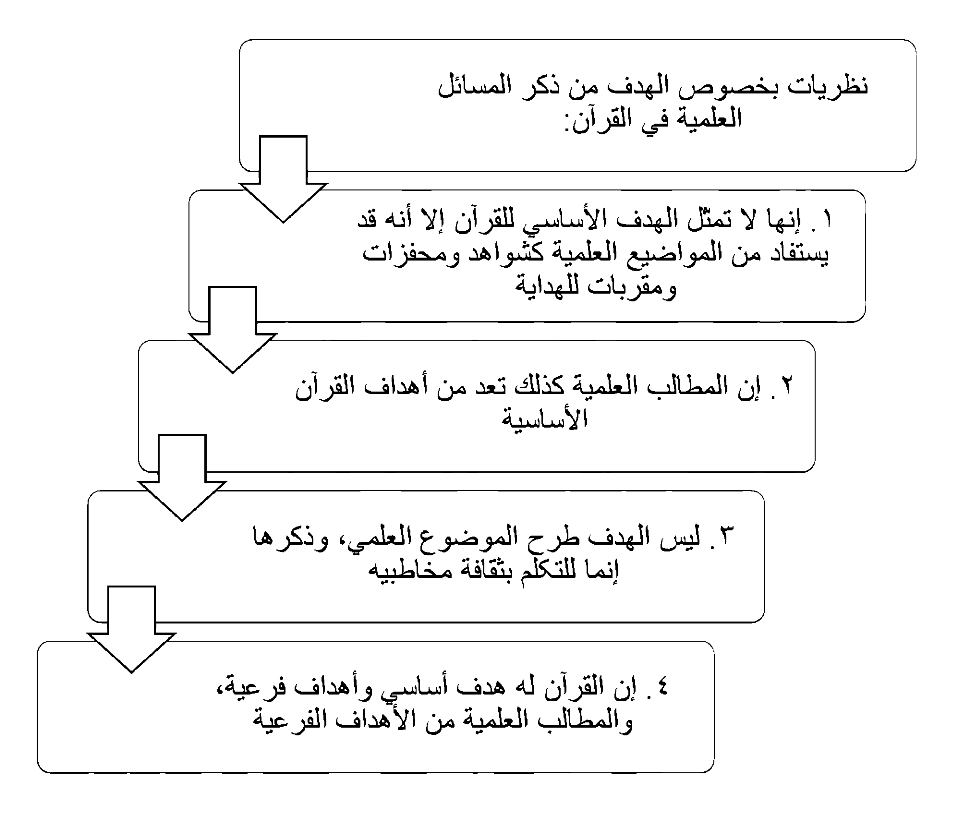
إن التقليل من شأن المواضيع العلمية في القرآن وجعلها بمستوى الأمثال العادية أمر خلاف الإنصاف؛ لأن الأمثال تضرب لتيسير فهم كلام المتكلم وأحيانا تكون فاقدة للواقع، لكن المواضيع العلمية للقرآن لها حقائق لم تكتشف، ولما اكتشفت من بعد قرون كانت محل إعجاب العلماء؛ ولذلك فمن سذاجة الفكر أن نقول إن القرآن قد استخدم المثال العلمي لبيان موضوع مّا وتصادفا كان صحيحا، وقد بينا أن المطالب العلمية تحمل بعدا إعجازيا للقرآن، إذن هي شيء أعلى وأبعد من مستوى ضرب الأمثال.

وبناء على هذا فمن الأفضل أن نقول: إن القرآن له هدف محوري وأساسي وهو إيصال الإنسان للكمال - القرب من الله - وهناك أهداف فرعية بطول الهدف الأساسي، ومنها إثبات المعاد والنبوة وإعجاز القرآن الذي يكون مقدمة لقبول الوحي من قبل الناس؛ وعلى هذا

(٩) تفسير الصافي: ١/ ٥٧. مجمع البيان: ٤/ ٢٩٨.

الأساس فإن المطالب العلمية هي من أهداف القرآن، لأنها تثبت إعجاز القرآن، ولكنها ليست الهدف الأساسي للقرآن.

وهذا الموضوع يتضح بهذه النقطة وهي أن الآيات تنسب كل شيء بخصوص الهداية والدين إلى القرآن، فيكون الهدف الأساسي للقرآن هو إرشاد الإنسان وإيضاح معارف الدين، ومن الأمور التي ترتبط بالدين هي إعجاز القرآن، والإعجاز العلمي هو أحد أبعاد إعجاز القرآن، ومن هذا الوجه تكون المطالب العلمية للقرآن - أحيانا - من أهداف القرآن، لكنها ليس الهدف الأساس.



نظريات بخصوص المسائل العلمية في القرآن

المبحث الثالث: الأهداف الخاصة للآيات العلمية

ذكر القرآن الكريم أهدافا خاصة ومتعددة للآيات العلمية؛ منها:

١- معرفة الله

ففي كثير من الآيات العلمية التي تتحدث عن الكون والطبيعة، يكون الكلام حول آيات القدرة والتدبير والخلق الإلهي: **﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِاَجَلٍ مُسَمّىً يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيات لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**(١٠).

ملاحظة: الآيات ١٠- ١٤ من سورة النحل (١١)، و ٤- ١٢ من سورة المؤمنون، و ٢٠- ٢٥ من سورة الروم، وسورة الشمس، توضح بشكل أكثر هدف معرفة الله في آيات القرآن، حيث إنها تدعو الإنسان إلى العلم

---

(١٠) الرعد: ٢. ٣.

(١١) قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**.

والتدبر، وتعطيه وعيا وبصيرة ليدرك علاقة الطبيعة بالخالق ومبدأ الوجود والعالم.

٢- معرفة المعاد

ففي بعض الآيات العلمية ذكرت مواضيع في الطب والطبيعة وطرحت بعنوانها أدلة على المعاد.

كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾(١٢).

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾(١٣).

ملاحظة: قد مرّ في الآية الثانية من سورة الرعد ما يشابه هذا الموضوع، وأن الآيات العلمية هي نوع رؤية كونية للإنسان، وأنه ليس هناك عالَم بلا هدف، بل إن القيامة نهاية العالم المادي وبداية عالم آخر.

---

(١٢) الحج: ٥. ٧.

(١٣) الروم: ٨.

٣- الدعوة للتفكر والتعقل (النضج العلمي والعقلي)

ففي ذيل الآيات العلمية يدعو القرآن للتفكر والتعقل. والفرق بين التفكر والتعقل في مراتب الفكر والعلم، ففي المواضع التي تحتاج لفكر أقل كما في زراعة الزيتون والعنب، فقد استعمل القرآن كلمة التفكر؛ **﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**(١٤) وكما في الآية ٣ من سورة الرعد و١١ من سورة النحل و٨ من سورة الروم، وفي الموارد التي تحتاج لتأمل أكثر كتسخير القمر والشمس والنجوم، يعبر بالتعقل؛ **﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**(١٥) وكما في الآية ٤ من سورة الرعد و١٢ من سورة النحل و٢٥ من سورة الروم(١٦).

٤- باعثة على الهدى

في بعض الآيات العلمية من بعد ذكرها للآيات الإلهية في الجبال والطرق فإنها تشير إلى هداية الإنسان؛ **﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾**(١٧).

---

(١٤) النحل: ١١.

(١٥) النحل: ١٢.

(١٦) راجع تفسير الأمثل: ١١/ ٢٠٠، ٢٠١.

(١٧) الأنبياء: ٣١.

ملاحظة: يمكن أن يكون القصد هو الهداية المادية في إيجاد الطريق على سطح الأرض، أو الهداية المعنوية الحاصلة من مشاهدة الآيات الإلهية في الأرض، وعلى كل حال فإنه من أهداف الآيات العلمية هداية الإنسان.

٥- باعثة على الإيمان

أشارت بعض الآيات العلمية إلى ملازمة الإيمان لمعرفة العالم، وقرعت الكافرين بأنهم مع مشاهدتهم لآيات الله في العالم لم يؤمنوا بالله، وعلى الأخص عند الإشارة لفتق السماء والأرض وخلق الموجودات من ماء، حيث يقول ﷻ: **﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾**(١٨).

ملاحظتان:

الأولى: إن إحدى أهداف الآيات العلمية هي أن يؤمن الإنسان بالله خالق السماوات والأرض.

والثانية: إن هذه الآيات أشارت إلى اهتمام القرآن بالعلوم الطبيعية حيث يكون هدف معرفة الكون والبيئة - علاوة على كشف ارتباط الظواهر - هو الإيمان ومعرفة الله ومضاعفة الإيمان.

٦- الدعوة للعلم

وأشرنا إلى ذلك في موضوع التفكر والتعقل.

---

(١٨) الأنبياء: ٣٠.

٧- إثبات الحقانية عن طريق الإعجاز العلمي للقرآن

وهو يذكر الآيات الإلهية مثل موضوع قوة الجاذبية في الآية الثانية من سورة الرعد، والتي أشير إليها في بحث معرفة الله.

٨- إعطاء رؤية توحيدية للكون

العلم التجريبي مع الرؤية العقلانية والسماوية ودرك ارتباط العالم بالله، واتساع رؤية الإنسان إلى المحسوسات. وهذا ما أشرنا إليه في بحث معرفة الله.

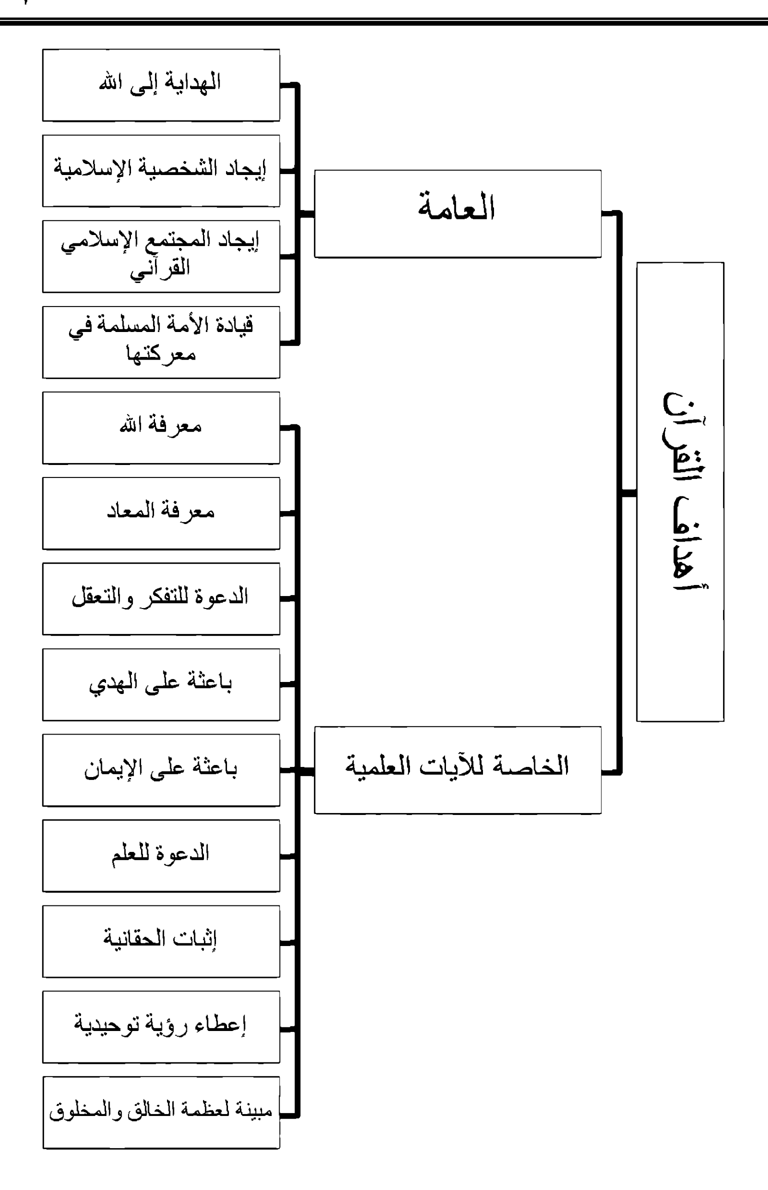
٩- مبينة لعظمة الخالق والمخلوق

عندما يقسم القرآن بأجزاء الطبيعة وعناصرها، فإن في هذا القسم نقطتين أساسيتين:

الأولى: إن الشيء الذي يكون لائقا ومستحقا لأن يقسم به الله، لا بد وأن يكون شيئا مهمّا وذا تأثير في الحياة، كما قال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُوم * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيم﴾[١٩].

الثانية: يريد القسم الرباني أن يبين عظمة الخالق تبارك وتعالى الذي خلق مثل هذا الموجود في الطبيعة والكون.

(١٩) الواقعة: ٧٥، ٧٦.



أهداف القرآن

خلاصة الدرس العاشر:

نستخلص من هذا الدرس ثلاث نقاط مهمّة؛ وهي:

الأولى: الأهداف العامة والأساسية للآيات العلمية؛ هي:

١. الهداية إلى الله.

٢. إيجاد الشخصية الإسلامية المتكاملة المتوازنة.

٣. إيجاد المجتمع الإسلامي القرآني الأصيل.

٤. قيادة الأمة المسلمة في معركتها اللازمة مع الجاهلية من حولها، مع أعدائها المتربصين بها.

الثانية: الأهداف الخاصة للآيات العلمية؛ ومنها:

١. معرفة الله.

٢. معرفة المعاد.

٣. الدعوة للتفكر والتعقل (النضج العلمي والعقلي).

٤. باعثة على الهدى.

٥. باعثة على الإيمان.

الثالثة: توجد ثلاث نظريات بخصوص الهدف من ذكر المسائل العلمية في القرآن:

١. إنها لا تمثّل الهدف الأساسي للقرآن إلا أنه قد يستفاد من المواضيع العلمية كشواهد ومحفزات ومقربات للهداية.

٢. إن المطالب العلمية كذلك تعد من أهداف القرآن الأساسية.

٣. ليس الهدف طرح الموضوع العلمي، وذكرها إنما للتكلم بثقافة مخاطبيه.

٤. إن القرآن له هدف أساسي وأهداف فرعية، والمطالب العلمية من الأهداف الفرعية.

الأسئلة:

١. ما هي الأهداف العامة للقرآن الكريم؟

٢. هناك ثلاث نظريات حول أهداف الآيات العلمية؛ اذكر اثنين منها؟

٣. ما هو الرأي الصائب حول أهداف الآيات العلمية؟

٤. ما هو الفرق بين التفكر والتعقل في القرآن؟

٥. اذكر ثلاثة من أهداف الآيات العلمية الخاصة؟

دعاء نهاية الفصل الأوّل

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَتَمِّمْ عَلَيَّ نِعْمَتَكَ فِيمَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِي حَتَّى تَتَوَفَّانِي وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ وَلَا تُخْرِجْنِي مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ فَإِنِّي اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِكَ فَلَا تَكِلْنِي إِلَى غَيْرِكَ وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَامْلَأْ قَلْبِي عِلْماً وَخَوْفاً مِنْ سَطَوَاتِكَ وَنَقِمَاتِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمُضْطَرِّ إِلَيْكَ الْمُشْفِقِ مِنْ عَذَابِكَ الْخَائِفِ مِنْ عُقُوبَتِكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَحَنَّنَ عَلَيَّ بِرَحْمَتِكَ وَأَنْ تَجُودَ عَلَيَّ بِمَغْفِرَتِكَ وَتُؤَدِّيَ عَنِّي فَرِيضَتَكَ وَتُغْنِيَنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ وَأَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ[٢٠].

(٢٠) علي بن موسى بن طاوس، إقبال الأعمال (ط القديمة): ١/ ٣٦٦.

الفصل الثاني : التفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن الكريم

الحديث الافتتاحي للفصل الثاني:

قال الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالبعليه السلام: إِنَّ فِي الْقُرْآنِ كُلَّ عِلْمٍ إِلَّا الطِّبَّ فَقَالَعليه السلام أَمَا إِنَّ فِي الْقُرْآنِ لَآيَةً تَجْمَعُ الطِّبَّ كُلَّهُ- كُلُوا وَاشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا[٢١].

---

(٢١) الدعوات (للراوندي)/ فصل في خصال يستغنى بها عن الطب ص: ٧٤.

التفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن الكريم



بحول الله وقوته نبدأ بالفصل الثاني والذي سميناه (التفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن الكريم)، لأننا وبعد أن تعرفنا على تعريف العلم والقرآن والعلاقة بينهما والنظريات الخاصة بالعلم ووجوده في القرآن الكريم، نريد أن نعقف البحث على التصورات الموجودة عن مفهوم التفسير العملي وحدوده وآليات الحصول عليه، فلو نظرنا إلى العلاقة بين القرآن والعلوم التجريبية، لوجدنا أنها مرت بعدة بمراحل. فقد كان التطرق لتلك العلوم من خلال كتب التفسير إثر انتشار ترجمة الكتب العلمية للأمم الأخرى الإغريقية والفارسية والسريانية إلى اللغة العربية. ثم جاءت مرحلة كتب الإعجاز العلمي في القرآن تلتها كتب الأبحاث النظرية في العلاقة بين القرآن والعلم. بعدها كانت مرحلة الأبحاث التاريخية في بيان تلك العلاقة. وأخيرا، جاءت مرحلة كتب الأبحاث

التجريبية في بيان تلك العلاقة[٢٢]. فتكون هذا الفصل من جزءين: الأول حول التفسير العلمي وتعريفه وأدلته، وشروط المفسر العلمي، والثاني حول الإعجاز العلمي وضوابطه وأوجهه.

محتويات الفصل الثاني:

١. التفسير العلمي، تعريفه وتاريخه

٢. اقسام التفسير العلمي

٣. أدلة المؤيدين

٤. أدلة المعارضين

٥. التفصيل

٦. شروط المفسر في التفسير العلمي

٧. تعريف ونقد التفاسير العلمية

٨. دور العلم في تطور التفسير

٩. التفسير التربوي

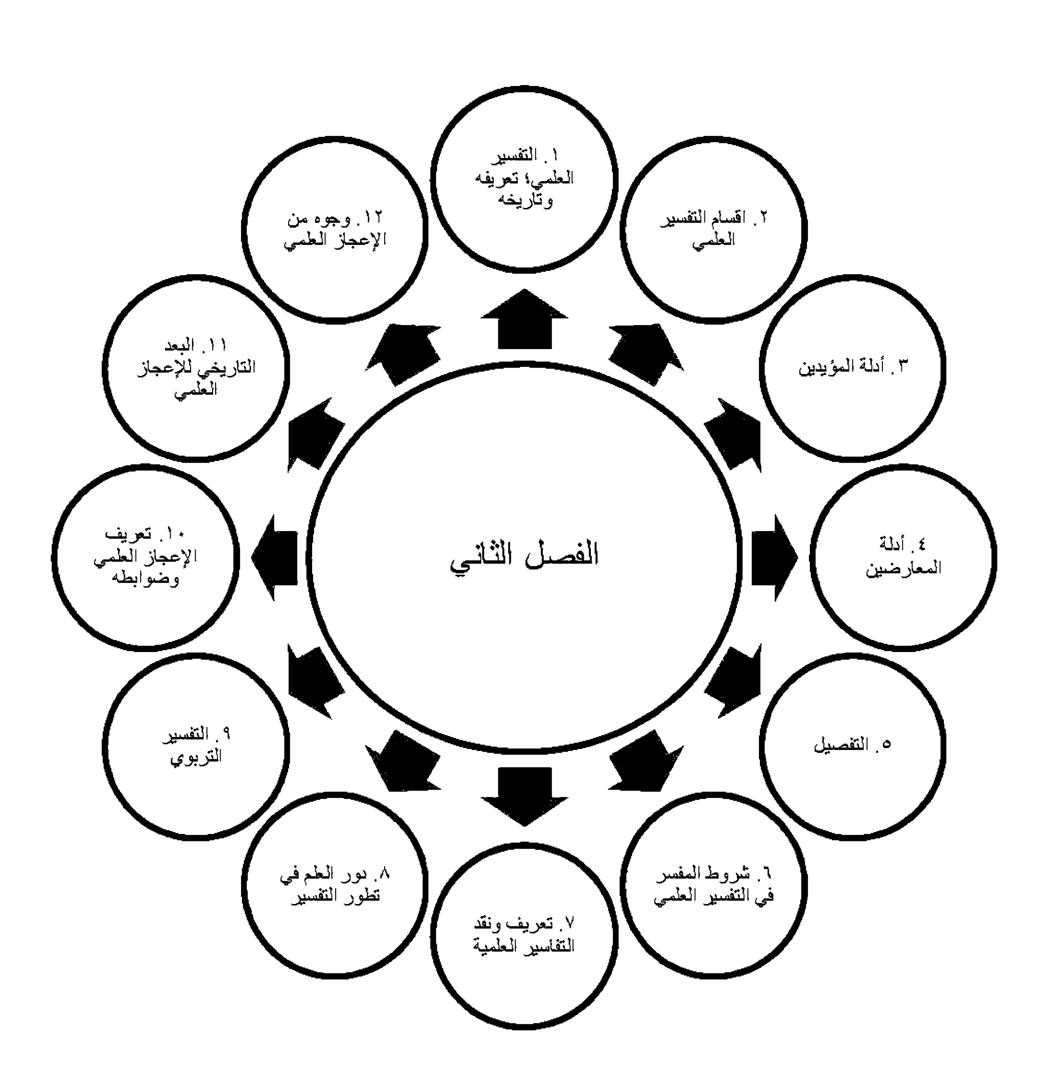
١٠. تعريف الإعجاز العلمي وضوابطه

١١. البعد التاريخي للإعجاز العلمي

١٢. أوجه الإعجاز العلمي

---

(٢٢) العلاقة بين القرآن والعلم، بحث، د. محمد علي رضائي (الأصفهاني). تعريب: السيد حسن مطهر الهاشمي، من إصدارات الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.


الفصل الثاني
١. التفسير العلمي؛ تعريفه وتاريخه
٢. اقسام التفسير العلمي
٣. أدلة المؤيدين
٤. أدلة المعارضين
٥. التفصيل
٦. شروط المفسر في التفسير العلمي
٧. تعريف ونقد التفاسير العلمية
٨. دور العلم في تطور التفسير
٩. التفسير التربوي
١٠. تعريف الإعجاز العلمي وضوابطه
١١. البعد التاريخي للإعجاز العلمي
١٢. وجوه من الإعجاز العلمي

الدرس الحادي عشر: التفسير العلمي
(التعريف ونبذة تاريخية)

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على مفهوم التفسير العلمي.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على المقصود من العلم والتفسير.

٢. التعرف على نبذة تاريخية عن التفسير العلمي.

٣. التعرف على فوائد التفسير العلمي.

المحتوى العلمي

أوّلاً: تعريف التفسير العلمي

تعريف التفسير:

التفسير في الإصطلاح عبارة عن بيان المفاد الإستعمالي لآيات القرآن، وإظهار المراد الجدي لله تعالى منها، طبق قواعد اللغة العربية وأصول المحاورة العقلائية[٢٣].

---

(٢٣) بابائي، روش شناسي تفسير القرآن: ٢٣.

١. المقصود من العلم:

أ. مجموعة قضايا كلية حقيقية لها محور خاص منظمة منطقيا من أجل تحقيق هدف محدد.

وهذا الإصطلاح يطلق على أغلب العلوم، اي عندما تضاف كلمة «علم» إلى كلمة «الطب» ونقول «علم الطب» لا نقصد من كلمة «علم» عندها معنى التصور والتصديق، بل نقصد أنه مجموعة قضايا كلية حقيقية لها محور خاص أو موضوع خاص منظمة منطقيا من أجل تحقيق هدف محدد.

ملاحظة عامة: اصطلاح العلوم الإنسانية يطلق على العلوم التي يكون محور بحثها هو الإنسان وسلوكه مثل التربية، الإقتصاد، السياسة، الإدارة، علم النفس، علم الإجتماع والتاريخ التي أشار إليها القرآن بصورة عامة.

ب. مجموعة قضايا حقيقية يمكن إثباتها عن طريق الحس والتجربة.

وهذا الإصطلاح يستخدمه الوضعيون، وبناء عليه لا يعتبرون العلوم غير التجريبية من ضمن العلم. وهذا الإصطلاح يجد اليوم رواجا في العالم، وطبقا لهذا يضعون العلم قبال الفلسفة[٢٤].

٢. تعريف التفسير العلمي:

ماذا نعني بالعلمي من قولنا: التفسير العلمي؟ هل يعني هذا أن التفاسير الأخرى غير علمية؟

---

(٢٤) العلم في نظر هؤلاء يطابق كلمة science.

الفلسفة التي تعنى بالظواهر والوقائع اليقينية فحسب، مهملة كل تفكير تجريدي في الأسباب المطلقة.

ولا شك أن مدار الخلاف ومركزه في المراد بالعلم هنا. فالعلم كلمة شاملة تشمل شتى أنواع المعارف البشرية القديمة منها والجديدة، ثم تجاذب هذا الإصطلاح أيدي العلماء، كلٌّ يطلقه على ما يدور فلك أبحاثه عليه. فقال الحكماء في تعريفه، أنه صورة الشيء الحاصلة في العقل، أو حصول الصورة في العقل، أو تعلق النفس بالشيء على جهة انكشافه. وقال المتكلمون أنه صفة يتجلى بها الأمر لمن قامت به. وزعم الماديون أنه ليس إلا خصوص اليقينيات التي تستند إلى الحس وحده[٢٥].

والمراد من التفسير العلمي هو توضيح الآيات بواسطة المعطيات العلمية التجريبية، وقد يقود بالتالي إلى كشف الإعجاز العلمي، وبعبارة أخرى هو الإستفادة من مصادر العلوم التجريبية القطعية كوسائل للتفسير وتوضيح الإشارات العلمية في القرآن، علماً بأنه يجب أن تراعي جميع الضوابط والمعايير للتفسير الصحيح لكي لا يقع أيّ تحميل أو استخراج للعلوم من القرآن[٢٦].

وقد تنحصر طرق وأعمال التفسير العلمي بما يلي:

أ. استخدام العلوم التجريبية المختلفة في فهم القرآن.

---

(٢٥) أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٥٤٥. طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

(٢٦) لمزيد من الإطلاع يراجع كتاب: درآمدي بر تفسير علمي قرآن: ٢٧٤- ٢٧٨.

ب. تحميل أو تطبيق [أو إسقاط] النظريات العلمية على القرآن.

ج. استخراج العلوم من القرآن(٢٧).

وعرّفه آخرون بأنه اجتهاد المفسّر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن(٢٨).

تعريف التفسير:

- بيان المفاد الإستعمالي لآيات القرآن، وإظهار المراد الجدي لله تعالى منها، طبق قواعد اللغة العربية وأصول المحاورة العقلائية.

تعاريف العلم:

- المشهور: مجموعة قضايا كلية حقيقية لها محور خاص منظمة منطقيا من أجل تحقيق هدف محدد.
- الوضعيون: مجموعة قضايا حقيقية، يمكن إثباتها عن طريق الحس والتجربة.

التفسير العلمي:

- الإستفادة من مصادر العلوم التجريبية القطعية كوسائل للتفسير وتوضيح الإشارات العلمية في القرآن.

التعاريف في البحث

(٢٧) د. الرضائي، محمد علي، در آمدي بر تفسير علمي قرآن: ٢٧٤- ٢٧٥ (مع التلخيص).

(٢٨) الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرآن الرابع عشر: ٢/ ٥٤٩.

ثانياً: نبذة تاريخية عن التفسير العلمي(٢٩)

عندما أشرقت شمس الإسلام في شبه الجزيرة العربيّة، كان عدد الذين يجيدون القراءة والكتابة لم يتجاوز أصابع اليد، فقد كان القرآن معجزة في كل شيء، فهو الذي دعا الناس إلى العلم والمعرفة، وأيقظهم من الجهل والغفلة بدعوتهم إلى التفكر والتعمق في آيات الله، وخلق السماوات والأرض و...، وعندما بدأ المسلمون بالفتوحات الإسلامية في القرن الأول الهجري تعرّفوا على أفكار جديدة وأديان مختلفة، وبدأ التبادل الثقافي بين الإسلام والحضارات الأخرى كالروم واليونان وإيران، وقد ترجم المسلمون الكثير من العلوم في عهد هارون العباسي والمأمون، كالطبّ والرياضيات والنجوم والعلوم الطبيعية والفلسفة، فأخذوا علوما كثيرة من اليونان وأضافوا عليها، وخلال عدّة قرون أوصلوا هذه العلوم إلى ذروة تطورها، وصنفوا أفضل الكتب في القرن الثالث والرابع الهجري؛ ففي مجال الطب مثلا كتاب القانون لابن سينا وفي الفلسفة كتاب الشفاء لابن سينا كذلك، وكذلك في الرياضيات والنجوم، حتى أن الغربيين اضطروا إلى أن يأخذوا هذه العلوم من المسلمين مرة أخرى بعد أن كان أصلها من اليونان، وذلك بعد أن نشطت حركة الترجمة في القرن الثاني عشر، وظلّت نظريات ابن سينا وابن رشد حاكمة في الجامعات الأوروبية مئات السنين.

---

(٢٩) بحث مستل من كتاب الاستاذ الدكتور رضائي اصفهاني، المناهج والاتجاهات التفسيرية: ١٤٢- ١٤٦.

وقد سعى علماء المسلمين في القرون الأولى إلى رفع التعارض الظاهري بين الدين والعلم، واختاروا طريقين لذلك:

أ. رفض الأفكار الباطلة لهذه العلوم، لأن كثيرا من المباني الفلسفية والعلمية اليونانية غير صحيحة، ومعارضة للدين الإسلامي، وقد كتبت عدّة مؤلفات في هذا الشأن، مثل كتاب تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي.

ب. تطبيق آيات القرآن على العلوم اليونانية، لكي يثبتوا صحة المطالب العلمية للقرآن وحقانيّته، فقالوا بأن المقصود من السيّارات السبعة في علم النجوم اليوناني هو السماوات السبع في القرآن. ومن هنا نشأت وتطورت هذه الطريقة في التفسير والتي تمتاز بجمالها الخاص للشباب المثقف، ومرّت بمراحل مختلفة نتيجة لعدة عوامل.

ويمكن تقسيم التطور التاريخي للتفسير العلمي إلى ثلاثة أدوار:

الدورالأول: ويبدأ من القرن الثاني إلى الخامس الهجري حيث بدأ بترجمة الآثار اليونانية إلى اللغة العربية، وسعى بعض علماء المسلمين إلى تطبيق بعض آيات القرآن على الهيئة البطليموسيّة، كابن سينا(٣٠).

الدورالثاني: بدأ هذا الدور في القرن السادس عندما قام بعض علماء المسلمين باستخراج جميع العلوم من القرآن لاعتقادهم بوجودها

---

(٣٠) هناك بعض الإشارات العلمية في بعض الأحاديث الواردة عن أهل البيت في تفسير آيات القرآن كعدد المشارق والمغارب في سورة المعارج: ٤٠، الشيخ الصدوق، معاني الأخبار: ٢٢١، وأسماء بعض الكواكب في سورة التكوير: ١٥. ١٦، مجمع البيان: ١/ ٦٧٧، و...، ولكن هذا لا يعتبر من التفسير الاصطلاحي لأنه لا يستفيد من الكشوفات العلمية في التفسير، بل يعتبر جزءا من التفسير الروائي، والأسرار العلمية لأهل البيت عليهم السلام.

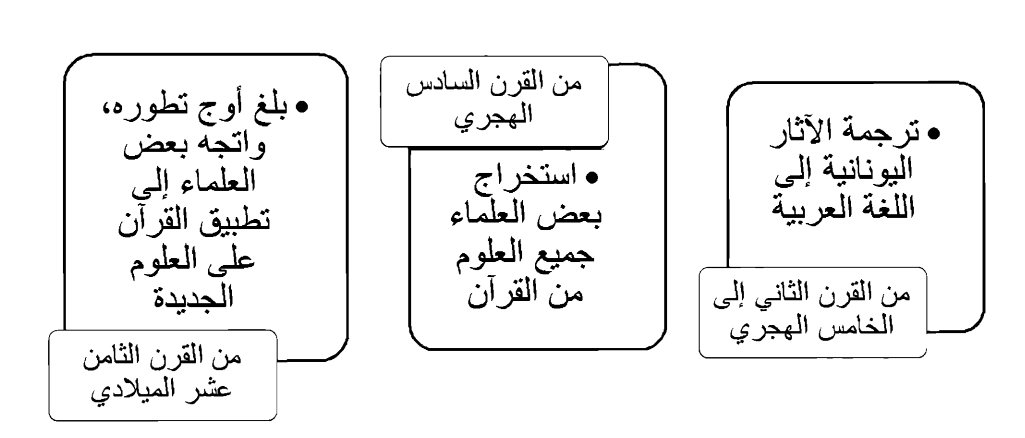
فيه، وكان رائد هذا الإتجاه أبا حامد الغزالي. ولهذين النوعين من التفسير أنصار ومخالفون في كل عصر.

الدورالثالث: بلغ التفسير العلمي في القرن الثامن عشر الميلادي وما بعد، أوجَ تطوره إثر تقدّم العلوم في الغرب وترجمة كتب مختلفة في مجالات كثيرة كالفيزياء والكيمياء والطب. وقد ترك هذا الدور أثرا كبيرا على العالم الإسلامي وخصوصا في الهند ومصر في القرن الأخير، حيث جعل بعض علماء المسلمين يتّجهون إلى تطبيق القرآن على العلوم الجديدة.

الجدير بالذكر أن بداية هذه المسألة نشأت في أوربا عندما بدأ التعارض بين العلم والدين [المسيحي]، مما أدّى إلى انسحاب الكتاب المقدس من الساحة تاركاً المجال للأفكار الإلحادية أن تشقّ طريقها في المجتمع، وكان صدى هذه الأفكار - بالإضافة إلى التفوق التقني الغربي - سببا في انجذاب الشباب المسلم إلى الثقافة الغربية ممّا حدا بعلماء المسلمين إلى الدفاع عن القرآن، ليثبتوا أنه ليس فقط لا يوجد تعارض بين العلم والدين، بل أن هذه المكتشفات هي أكبر دليل على إعجاز القرآن. ولهذا استخدمت العلوم في سبيل فهم القرآن، وكتبت تفاسير علمية متعددة. وقد أفرط البعض تحت تأثير الثقافة الغربية، فوقع في التأويل والتفسير بالرأي المذموم - حيث لم تنقح مباني هذا المنهج بصورة كاملة - مما أدّى إلى إلهاب مشاعر المسلمين ووقوفهم موقفا سلبيا من هذا النوع من التفسير، واعتباره شكلا من أشكال التفسير بالرأي، مما حمل بعض علماء المسلمين في مصر والشام إلى

أن يقفوا موقفا منصفا ويفرّقوا بين التفسير العلمي الصحيح واستغلال البعض - بطريقة غير علمية - له لأهداف خاصة.

ونجد ان أعظم علماء العصر الحديث تشبثا بالنزعة التفسيرية العلمية، وأكثرهم إنتاجا لهذا التفسير العلمي، هو المرحوم الشيخ الطنطاوي الجوهري، إذا أنه أكثر من جمع فى هذا وأطال فى تفسيره الجواهر، الذى يقع فى خمسة وعشرين جزءا كبارا والمطبوع بمصر سنة ١٣٤١- ١٣٥١هـ، وسوف نتطرق لهذا التفسير بما يكشف عن طريقة مؤلفه ومنهجه الذى سلكه فيه وذلك في درس خاص إن شاء اللّه(٣١).



أدوار تطور التفسير العلمي

(٣١) الدكتور الذهبي، التفسير والمفسرون: ٢/ ٥٠٤.

ثالثاً: فوائد التفسير العلمي

ومنها:

١) مسايرة أفكار البشر ومعارفهم، وتفسير القرآن لهم تفسيرا يشبع حاجاتهم من الثقافة الكونية.

٢) إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن من ناحية ما يحويه أو يرمز إليه من علوم الكون والإجتماع.

٣) دفع مزاعم القائلين بأن هناك عداوة بين العلم والدين.

٤) استمالة غير المسلمين إلى الإسلام من هذا الطريق العلمي الذي يخضعون له دون سواه في هذه الأيام.

٥) الحث على الإنتفاع بقوى الكون ومواهبه.

٦) امتلاء النفس إيمانا بعظمة الله وقدرته، حينما يقف الإنسان في تفسير كلام الله على خواصّ الأشياء ودقائق المخلوقات حسب ما تصوّرها علوم الكون.

كما أن لامتزاج العلوم الكونية والآدمية بالتفسير آثارا أخرى مشتركة بينهما فيما يأتي:

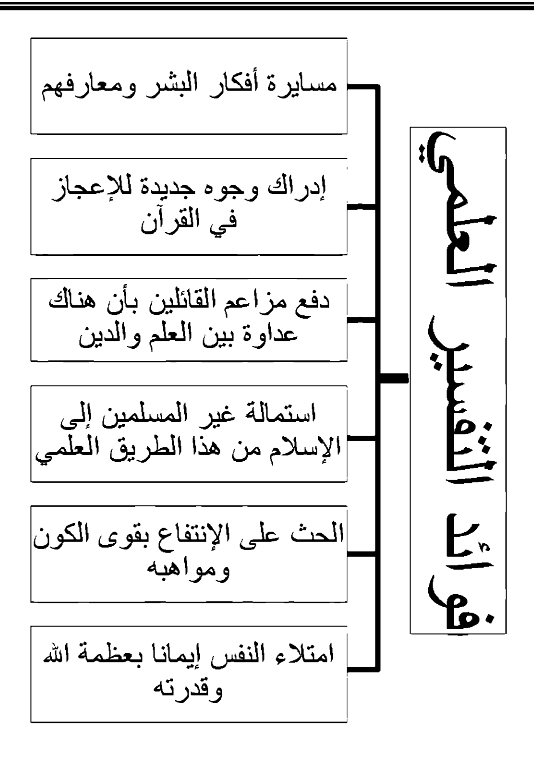
١) زيادة الثقة بالقرآن وعالميته ومعارفه وإعجازه.

٢) الإيمان بأنه كتاب غني بكل ما يحتاجه إليه البشر من ألوان السعادة.

٣) الإيمان بأنه كتاب الساعة ودستور الناس إلى يوم القيامة، يصلح لكل زمان ومكان، ولا يستغني عن كنوزه وذخائره إنسان[٣٢].

---

(٣٢) سامي احمد الموصلي، الأعجاز العلمي في القرآن: ٣٨.



فوائد التفسير العلمي

خلاصة الدرس الحادي عشر:

نستخلص من هذا الدرس عدة أمور:

١. المراد من التفسير العلمي هو الإستفادة من مصادر العلوم التجريبية القطعية كوسائل للتفسير وتوضيح الإشارات العلمية في القرآن.

٢. يتلخّص تطوّر التفسير العلمي في ثلاثة أدوار:

- الدور الأول: من القرن الثاني إلى الخامس الهجري؛ ترجمة الآثار اليونانية إلى اللغة العربية.

- الدور الثاني: في القرن السادس الهجري؛ استخراج بعض العلماء جميع العلوم من القرآن.
- الدور الثالث: من القرن الثامن عشر الميلادي فما بعد؛ بلغ أوج تطوره، واتجه بعض العلماء إلى تطبيق القرآن على العلوم الجديدة.

٣. وهناك عدة فوائد ذكرت للتفسير العلمي:

- مسايرة أفكار البشر ومعارفهم
- إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن
- دفع مزاعم القائلين بأن هناك عداوة بين العلم والدين
- عداوة بين العلم والدين
- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام من هذا الطريق العلمي
- الحث على الإنتفاع بقوى الكون ومواهبه
- امتلاء النفس إيمانا بعظمة الله وقدرته

الأسئلة:

١. ما هو المراد من العلم؟ اذكر التعريف المشهور؟

٢. وضّح المقصود من التفسير العلمي؟

٣. ما هو الطريق الذي سلكه علماء المسلمين إلى رفع التعارض الظاهري بين الدين والعلم؟

٤. يمكن تقسيم التطور التاريخي للتفسير العلمي إلى ثلاثة أدوار؛ اذكرها باختصار؟

٥. اذكر ثلاثة من فوائد التفسير العلمي؟

الدرس الثاني عشر : أقسام التفسير العلمي وضوابطه

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على أقسام التفسير العلمي.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على ضوابط التفسير العلمي المعتبر.

٢. التعرف على جدول لأفكار ومراحل انتزاع التفسير العلمي.

المحتوى العلمي(٣٣)

قد تعدّدت المذاهب والإتجاهات في قضية التفسير العلمي من جهات مختلفة، بدايةً من مسألة صحة هذا النوع من التفسير - الذي جاء متأخرا عن المناهج التفسيرية المشهورة - أوعدم اعتباره، ومن ثَم كيفية استخدام هذا النوع من التفسير وحدوده وغيرها من المسائل المتعلقة بالتفسير العلمي. ولذلك تمّ وضع الضوابط والشرائط التي يلزم توفرها في المفسّر، والتي سوف نتعرّض إلى ذكرها في هذا المبحث بإذن الله تعالى.

---

(٣٣) البحث مستل من كتاب الاستاذ الدكتور رضائي اصفهاني: المناهج والاتجاهات التفسيرية.

المحور الأول: أقسام التفسير العلمي من جهة الشكل والطريقة

يقسّم التفسير العلمي بحسب طريقة تفاعل العلم مع القرآن الكريم إلى أقسام:

١- استخراج كل العلوم من القرآن

سعى بعض القدماء من أصحاب هذا الرأي - مثل ابن أبي الفضل المرسي، والغزالي وغيرهما - إلى استخراج جميع العلوم من القرآن؛ لأنهم يعتقدون بأن القرآن مشتمل على جميع العلوم، فهم يذكرون الآيات التي توافق - ظاهراً - القوانين العلمية، ويأوّلون الآيات التي لا تتوافق معها؛ ولهذا حاولوا استخراج علم الهندسة والحساب والطب والهيئة والجبر والمقابلة وغيرها من القرآن؛ فمثلا قالوا إن الآية: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٣٤] تشير إلى علم الطب[٣٥]، وإن الحروف المقطّعة في القرآن يمكن الإستفادة منها في استخراج علم الجبر[٣٦]، وتنبأوا بحدوث الزلزال في سنة ٧٠٢هـ[٣٧] استنادا إلى الآية: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[٣٨].

ومن الواضح أن هذا النوع من التفسير يؤدي إلى التأويل الفاسد، وذلك بالإبتعاد عن ظواهر القرآن ومعانيه اللغوية، ولهذا السبب اعتبره

---

(٣٤) الشعراء: ٨٠.

(٣٥) أبو حامد الغزالي، جواهر القرآن، الفصل الخامس: ٢٧.

(٣٦) التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٨١، نقلا عن ابن أبي الفضل المرسي.

(٣٧) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ١٨١. ١٨٢.

(٣٨) الزلزلة: ١.

كثير من المخالفين للتفسير العلمي لوناً من ألوان المجاز والتأويل غير الصحيح[٣٩]. وهو كلام يفتقر إلى المباني الصحيحة وإن الحق مع المخالفين له.

٢- تطبيق القرآن على النظريات العلمية

انتشر هذا النوع من التفسير في القرن الأخير، فقد حاول أصحاب هذا الرأي أن يطبّقوا الآيات على آرائهم في بعض القوانين والنظريات العلمية المسلّمة عندهم، ويؤوّلوا الآيات المخالفة، فقد جاء في تفسير الآية: ﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها﴾[٤٠] أن المراد بالنفس هو البروتون والإلكترون، فيكون معنى الآية حينئذ أن جميع الأشياء في الكون والحياة مخلوق من هذه الأجزاء السالبة والموجبة، ولم يراعِ هذا التفسير حتى المعنى اللغوي والإصطلاحي لكلمة النفس[٤١].

وقد انتشر هذا النوع من التفسير في مصر وإيران، وأدّى ببعض العلماء إلى أن ينظروا بسلبية إلى مطلق التفسير العلمي ويعتبروه من التفسير بالرأي، كما اعتبره العلّامة الطباطبائي نوعا من التطبيق؛[٤٢] لأن المفسر لا بدّ أن يبتعد عن كل رأي مسبق عند التفسير، حتي يمكنه أن يصل إلى نتائج صحيحة، وإلّا فإنه يؤدي إلى تحميل بعض النظريات

(٣٩) راجع: التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٥٤، ٤٩٥.

(٤٠) الأعراف: ١٨٩.

(٤١) عبد الرزاق نوفل، القرآن والعلم الحديث: ١٥٦.

(٤٢) راجع: مقدمة تفسير الميزان: ١/ ٦، وما بعدها.

المنتقاة على القرآن من قِبل المفسر، وهي خطوة للوقوع في التفسير بالرأي الذي وعدت الروايات بأشدّ العذاب للذين يمارسونه.

٣- استخدام العلوم لفهم وتبيين القرآن

في هذه الطريقة من التفسير لا بدّ من رعاية الضوابط والشرائط التي يلزم توفرها في المفسّر، فهو يسعى - وبالإستفادة من العلوم القطعية (المدعمة بالطريق النقلي)، والظواهر القرآنية (طبقاً لمعناها اللغوي) الموافقة للعلوم - إلى اكتشاف المعنى المجهول للآية، ووضعه تحت اختيار الإنسان.

هذه الطريقة تعدّ من أفضل الطرق؛ بل هي الطريقة الوحيدة الصحيحة في التفسير العلمي، وسوف نتعرض مفصّلاً لضوابط هذا النوع من التفسير. ونؤكد هنا على ضرورة الإبتعاد عن أيّ نوع من أنواع التفسير بالرأي، والتجنب عن نسبة العلوم بصورة قطعية إلى القرآن؛ لأن العلوم التجريبية - كما قلنا سابقا - ليست قطعية بالقطع الموضوعي المطابق للواقع، باعتبارها مستخرجة بالإستقراء الناقص، فمثلا كان المسلمون يفهمون الحركة في الآية: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾[٤٣] بأنها الحركة الحسّية الظاهرة بين المشرق والمغرب، في حين أن هذه الحركة هي حركة كاذبة تصورناها نتيجة خطأ في بصرنا في هذا الأمر، وأن الذي يتحرك هو الأرض، كما هو الحال عند ركوب القطار فنرى أن البيوت تتحرك خلاف الواقع. ومع تقدم العلوم اتضح أن الشمس تتحرك حركة انتقالية (واقعية)، بل أن جميع المنظومة الشمسية والمجرّات، هي في حالة

---

(٤٣) يس: ٣٨.

حركة دائمة؛[٤٤] فيكون المقصود من الآية حينئذ هي الحركة الواقعية (الإنتقالية). بالإضافة إلى ذلك فإن القرآن يطلق على حركة الشمس بـ «الجريان»، وهو وصف دقيق للشمس التي تتكون من كتلة هائلة من الغازات بسبب الإنفجارات النووية[٤٥]، وتجري في الفضاء كجريان الماء وليس مثل كتلة صلبة، وذلك وفق ما قرّرته النظريات الكونية الجديدة. هذه الطريقة في التفسير هي الطريقة الصحيحة، وهي التي تثبت الإعجاز العلمي للقرآن. كما أشار القرآن مثلا إلى زوجية النباتات، بل إلى زوجية جميع الموجودات[٤٦] منذ عشرة قرون قبل أن يكتشفها العلم في القرن السابع عشر الميلادي.

أقسام التفسير العلمي من جهة الشكل والطريقة

استخراج كل العلوم من القرآن
تطبيق القرآن على النظريات العلمية
استخدام العلوم لفهم وتبيين القرآن

أقسام التفسير العلمي

(٤٤) اريك . اوبلاكر، فيزيك نوين، ترجمة بهروز بيضائي: ٤٥. ٤٨.

(٤٥) المصدر السابق.

(٤٦) يس: ٣٦.

المحور الثاني: ضوابط التفسير العلمي المعتبر

هناك نوعان من الضوابط في التفسير العلمي؛ الضوابط العامة التي لا بدّ من وجودها في جميع أنواع المناهج التفسيرية، وضوابط خاصة لا بدّ من توفرها في هذا القسم من التفسير.

أوّلاً: الضوابط العامة:

١. رعاية ضوابط التفسير المعتبر؛ مثل: إتباع الطريقة الصحيحة للتفسير، عدم منافاة التفسير مع السنّة القطعية، الإبتعاد عن التأثر بالأفكار المسبقة، عدم تعارض التفسير مع الآيات الأخرى وحكم العقل القطعي، والإستفادة من المصادر الصحيحة في التفسير(٤٧).

٢. الإبتعاد عن التفسير بالرأي وتقليد بقية المفسرين؛ اي لا بدّ للمفسر من أخذ القرائن العقلية والنقلية بنظر الإعتبار قبل الإقدام على التفسير.

ثانياً: الضوابط الخاصة في منهج التفسير العلمي:

١. لا بد في التفسير بالعلوم التجريبية، أن تكون النظرية العلمية إما قطعية ويقينية - سبق(٤٨) أن أوضحنا المقصود من قطعية العلوم التجريبية - و مقبولة عند العلماء، ولكن يجب حينئذ عدم نسبتها إلى القرآن نسبة قطعية.

---

(٤٧) راجع كتاب: الكاتب، درآمدي بر تفسير علمي قرآن: ٥٣. ٧٤.

(٤٨) في الدرس الأوّل.

وأما إذا كانت النظرية غير قطعية وغير مقبولة عند العلماء، فلا يمكن نسبتها حينئذ إلى القرآن لا بصورة قطعية ولا بصورة احتمالية؛(٤٩) لأنها في معرض التغيير، ولعل معظم إشكالات المخالفين نابعة من هذا الأمر(٥٠).

٢. لا بدّ أن تكون دلالة ظاهر الآية واضحة بالنسبة إلى المطلب العلمي ولا تكون بصورة تحميلية. وبعبارة أخرى لا بدّ أن نتجنب التوجيه غير المبرّر والتفسير المخالف للظاهر(٥١).

---

(٤٩) توجد عدة احتمالات بالنسبة إلى القضايا العلمية:

ألف) القضية العلمية التي تورث اليقين المطابق للواقع، وذلك إذا كانت التجربة مصحوبة بالاستدلال العقلي (الوصول إلى مرحلة البداهة).

ب) القضية التي تورث الاطمئنان ولكن لا تُعدم الاحتمال المخالف، وهي كأكثر القضايا التجريبية.

ج) النظرية العلمية الظنية التي لم تصل إلى مرحلة الثبوت بعد.

أمّا بالنسبة إلى الحالة الأولى، فيكون التفسير العلمي جائزا؛ لأنه لا يوجد تعارض أصلا بين القرآن والقطع العلمي (الذي يرجع إلى القطع العقلي)، أمّا بالنسبة إلى الصورة الثانية، فلا إشكال في نسبة العلوم إلى القرآن بصورة احتمالية؛ حيث أن ظاهر الآية . مثلا . يؤيد الحركة الانتقالية للشمس، فهناك احتمال قوي بأنّ المراد من الآية هو هذه المسألة العلمية، أمّا في الصورة الثالثة فإن التفسير به غير جائز؛ لأن أكثر الإشكالات الواردة على هذا التفسير - مثل تطبيق العلوم على القرآن، واستخراج العلوم من القرآن، وشك الناس بالقرآن - تكون غير منتفية.

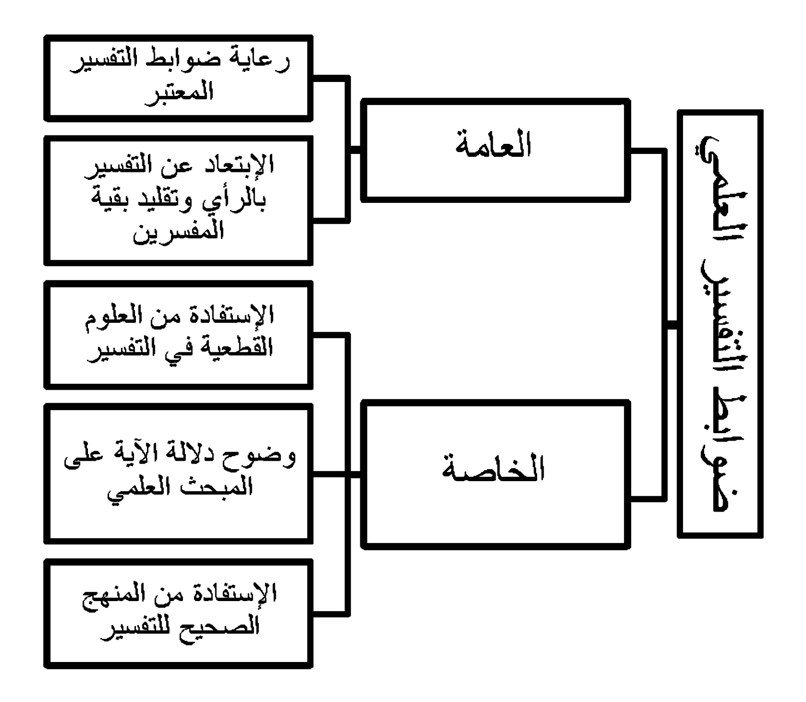
(٥٠) محتوى هذه الضابطة أورده آية الله مكارم الشيرازي في كتاب قرآن وآخرين **پيامبر**: ١٤٧، ويوجد كذلك في كلمات كثير من القائلين بهذا النوع من التفسير.

(٥١) عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده: ٢٢٤؛ عميد الزنجاني، مبانى و روش تفسير قرآن: ٢٥٦.

٣. الإستفادة من المنهج الصحيح للتفسير - وهو استخدام العلوم في فهم وتبيين القرآن - والإجتناب عن كل الأنواع غير الصحيحة، اي استخراج العلوم من القرآن، وتحميل النظريات على القرآن.

ملاحظة:

لا بدّ من رعاية الإحتياط في التفسير العلمي وتجنب الجزم بصورة قطعية؛ اي لا بدّ للمفسر أن يتهم فهمه للقرآن باستمرار، وكذا المقدمات المستخدمة فيه؛ ولا بدّ أن يتكلم بصورة احتمالية وأن يتجنب تطبيق العلوم التجريبية على القرآن بصورة قطعية.



ضوابط التفسير العلمي

معايير أخرى

ذكر بعض المتخصصين في علوم القرآن والمفسرين مجموعة من المعايير للتفسير العلمي، وهي:

١) لا بدّ أن يكون تفسير الآيات مطابقا لمعنى النظم القرآني.

٢) يجب أن لا نضع القرآن في معرض النظريات العلمية المتناقضة.

٣) يجب أن يتجنب المفسّر إثبات الإشارات العلمية للقرآن بواسطة النظريات العلمية.

٤) لا بدّ أن تكون الآيات القرآنية هي الأصل والمحور في التفسير، وليس النظريات العلمية.

٥) أن يلتزم بالمعاني اللغوية - في اللغة العربية - للآيات.

٦) أن لا يخالف التفسير العلمي المسائل الشرعية.

٧) أن يكون تفسيره مطابقا للمفسَّر من غير زيادة ولا نقصان.

٨) مراعاة الوحدة الموضوعية والتوافق والتناسب بين الآيات(٥٢).

المناقشة

بعض المعايير المذكورة هنا يرجع إلى المعايير الثلاثة المذكورة سابقا؛ فمثلا المعيار رقم ١، ٤، ٧، ٨ ترجع إلى المعيار الثاني، وأمّا بالنسبة إلى المعيار رقم ٢ فهو يرجع إلى المعيار الأوّل. في حين أن المعيار رقم ٥، ٦ يرجعان إلى الشرائط العامة للتفسير.

---

(٥٢) عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده: ٢٢٤.

أما بالنسبة إلى المعيار رقم ٣؛ فإذا كان المقصود به هو النظريات العلمية والفرضيات غير الثابتة فهو غير صحيح، وأمّا إذا كان المقصود به هو العلوم التجريبية القطعية فيعتبر صحيحا ومقبولا، فهذا المعيار أيضا يرجع إلى المعيار الأول.

معايير معرفة التفسير العلمي غير المعتبر

ومع الإلتفات إلى ضوابط التفسير العلمي الصحيح وأخذها بعين الإعتبار، سوف يكون كل تفسير خارج عن دائرتها وخال عن رعايتها تفسيرا غيرصحيح و غيرمعتبر، ومن أمثلة ذلك ومصاديقه ما يلي:

١. التفسير بالرأي: فيما لو اعتد المفسر برأيه الحدسي بعيدا عن الأدلة.

٢. تحميل النظرية العلمية أو نظر المفسر على القرآن: بحيث لا توجد قرينة لفظية أو سياقية أو روائية، ويعقف المفسر ظاهر الآية نحو رأيه والذي هو بالحقيقة تأويل غير صحيح.

٣. العمل على استخراج العلوم من القرآن أخذا وعملا بالتأويل غير الصحيح.

٤. التفسير العلمي لأشخاص غير متخصصين: فقد يكون المفسر غير متخصص بالقرآن ومعارفه أو غير متخصص بعلم من العلوم التي يريد أن يستخدمه في تفسير القرآن وقد يكون غير متخصص بهما. عندها سيكون عار عن الإعتبار؛ لخلوه عن المنهجية والتخصص والمهنية.

٥. تفسير القرآن اعتمادا على الظن: سواء كانت نظريات لم تصل إلـى حـد الحقـائق العلميـة أم اكتشـافات جديـدة لـم تصـل لليقـين أم معلومات ظنية.

٦. التفسير بالقضايا اليقينية القطعية الناتجة من العلوم التجريبية (اليقين بالمعنى الأعم اي بمعنى وجود احتمال الخلاف ولو ضعيفا كما في العلم الحاصل من العلوم التجريبية التي هي استقراء ناقص في حال لم تحصل على تأييد عقلي)، نعم يمكن القول بأن هذا المعنى محتمل أن يكون هو المقصود الجدي لله تبارك وتعالى.

مراحل إنجاز التفسير العلمي

إنما يمكن إنجاز التفسير العلمي والحصول عليه من خلال أفكار وطرق ومراحل، سنبيّنها برسم بياني يشتمل على عرض عناصر بعض العلوم كمثال؛ ويمكن تطبيقه على بقية العلوم البشرية، فيمكن من خلال هذا الجدول أن نتصور المحور الذي يتمكّن من خلاله الحصول على التفسير العلمي.

العلم	السياسة	التربية	الاقتصاد	الطب
مباني العلم في القرآن	مباني علم السياسة في القرآن	مباني علم التربية في القرآن	مباني علم الاقتصاد في القرآن	مباني علم الطب في القرآن
أهداف العلم في القرآن	أهداف علم السياسة في القرآن	أهداف علم التربية في القرآن	أهداف علم الاقتصاد في القرآن	أهداف علم الطب في القرآن
منهج العلم في القرآن	منهج علم السياسة في القرآن	منهج علم التربية في القرآن	منهج علم الاقتصاد في القرآن	منهج علم الطب في القرآن
أصول العلم في القرآن	أصول علم السياسة في القرآن	أصول علم التربية في القرآن	أصول علم الاقتصاد في القرآن	أصول علم الطب في القرآن
النظريات الخاصة بهذا العلم في القرآن	النظريات السياسية في القرآن	النظريات التربوية في القرآن	النظريات الاقتصادية في القرآن	النظريات الطبية في القرآن
التفسير العلمي التخصصي للقرآن (الأسس، الأساليب، الاتجاهات، السلبيات)	التفسير السياسي للقرآن	التفسير التربوي للقرآن	التفسير الاقتصادي للقرآن	التفسير الطبي للقرآن
الإعجاز العلمي الخاص في القرآن	الإعجاز السياسي في القرآن	الإعجاز التربوي في القرآن	الإعجاز الاقتصادي في القرآن	الإعجاز الطبي في القرآن
إحصاء الآيات العلمية الخاصة وتصنيفها	إحصاء الآيات السياسية وتصنيفها	إحصاء الآيات التربوية وتصنيفها	إحصاء الآيات الاقتصادية وتصنيفها	إحصاء الآيات الطبية وتصنيفها
مواضيع بينية (القرآن والعلم الخاص)	علم السياسة القرآني	علم التربية القرآني	علم الاقتصاد القرآني	علم الطب القرآني

مراحل إنجاز التفسير العلمي للقرآن

خلاصة الدرس الثاني عشر:

اتضحت من هذا الدرس نقاط مهمّة وهي:

١. إن التفسير العلمي على ثلاثة أقسام: استخراج العلوم من القرآن، تحميل وتطبيق النظريات العلمية على القرآن، استخدام العلوم في فهم وبيان الإشارات العلمية لآيات القرآن؛ وأن القسم الصحيح والمعتبر من هذه الأقسام هو القسم الثالث. أمّا القسمان الآخران فليسا بصحيحين، وإن معظم إشكالات المخالفين ترجع إلى هذين القسمين.

٢. هناك نوعان من ضوابط التفسير العلمي: العامة والخاصة.

الأول: الضوابط العامة:

أ. رعاية ضوابط التفسير المعتبر

ب. الإبتعاد عن التفسير بالرأي وتقليد بقية المفسرين

الثاني: الضوابط الخاصة:

أ. الإستفادة من العلوم القطعية في التفسير

ب. وضوح دلالة الآية على المبحث العلمي

ج. الإستفادة من المنهج الصحيح للتفسير

٣. معايير التفسير العلمي: هي عبارة عن الإستفادة من العلوم القطعية في التفسير، وضوح دلالة الآية على المبحث العلمي، والإستفادة من المنهج الصحيح للتفسير العلمي؛ اي استخدام العلوم في فهم وبيان الآية، لا تحميل المسألة العلمية على الآية.

الأسئلة:

١. ما هي ضوابط التفسير العلمي المعتبر؟
٢. ما هي معايير التفسير العلمي؟
٣. اذكر مراحل إنجاز التفسير العلمي.
٤. ما هي الضوابط الخاصة لمنهج التفسير العلمي؟
٥. ما هي الضوابط العامة لمنهج التفسير العلمي؟

الدرس الثالث عشر: آراء المفسّرين والعلماء حول التفسير العلمي

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على الآراء المؤيدة للتفسير العلمي.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على أهم المؤيدين للتفسير العلمي وعلى أدلتهم.

٢. التعرف على مناقشة بعض تلك الأدلة وبيان نقاط ضعفها.

المحتوى العلمي

هناك آراء متباينة ورؤى مختلفة حول التفسير العلمي، فمنهم من قبله مطلقا، وهناك من رفضه مطلقا، وفريق فصّل بين أنواعه فقبل البعض ورفض الآخر. وها نحن نقدمها أليكم باختصار.

أوّلاً: الآراء المؤيدة للتفسير العلمي

نذكر هنا أهم الشخصيات المؤيدة للتفسير العلمي من المتخصصين بعلوم القرآن والمفسّرين والفلاسفة من الذين استخدموا بعض أقسام التفسير العلمي، وهم:

١. **الشيخ الرئيس ابن سينا** (٣٧٠- ٤٢٨هـ): الطبيب والفيلسوف الايراني الشهير: قال في تفسير كلمة «العرش» في قوله تعالى ﴿وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ﴾[٥٣] العرش هو فلك الأفلاك (الفلك التاسع في هيئة بطليموس)، أمّا «الملائكة» فهي الأفلاك الثمانية (القمر - الشمس - الزهرة - عطارد - زحل - المُشتري - المرّيخ - والفلك الثابت)[٥٤].

٢. **أبو حامد الغزالي** (ت ٥٠٥هـ)؛ يعتقد بوجود علوم كثيرة في القرآن، كما ذكر ذلك في كتابه إحياء علوم الدين، ونقل عن بعض العلماء أن القرآن يحوي سبعة وسبعين ألفا ومائتي علم، إذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحدّ ومطلع[٥٥]. وذكر في كتاب جواهر القرآن أن كثيرا من العلوم كعلم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه وعلم السحر والطلسمات وغير ذلك، يوجد لها أصل في القرآن، وضرب أمثلة عديدة من آيات القرآن وبيّن علاقتها بالعلوم الأخرى[٥٦].

٣. **الفخر الرازي** (م ٦٠٦هـ)؛ طبّق بعض المسائل العلمية على القرآن، فاستدل على سكون الأرض[٥٧] بالآية الكريمة: ﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ

---

(٥٣) الحاقّة: ١٧

(٥٤) راجع: رسائل ابن سينا: ١٢٤- ١٢٥، طبعة الهند، ١٩٠٨؛ الذهبي، التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٢٦.

(٥٥) الغزالي، إحياء علوم الدين: ١/ ٢٨٩، (باب ٤ من أبواب آداب تلاوة القرآن).

(٥٦) جواهر القرآن، الفصل الخامس: ٢٥.

(٥٧) مفاتيح الغيب: ٢/ ٩٤.

الأَرْضَ فِراشا﴾[١] وناقش الآراء الفلكيّة القديمة لبطليموس وقدماء الهند الهند والصين وبابل ومصر والروم والشام في تفسير الآية الكريمة ١٦٤ من سورة البقرة.

٤. **ابن أبي الفضل المرسي** (٥٧٠- ٦٥٥هـ)؛ يعتقد بأن القرآن يضمّ علوم الأوّلين والآخرين، وقد حاول استخراج علم الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة من القرآن، واستشهد بآيات القرآن على وجود الخياطة، والنجارة، والصيد، والحدادة، والزراعة وغير ذلك[٢].

٥. **بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي** (ت ٧٦٤هـ)؛ صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن، يرى إمكانيّة استخراج جميع العلوم من القرآن، فيقول: إن عمر عيسى ثلاث وثلاثون سنة، استنادا إلى الآية الكريمة: **﴿قالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَني نَبِيًّا﴾**[٣] التي تحتوي على ثلاثة وثلاثين حرفا[٤].

٦. **جلال الدين السيوطي** (ت ٩١١هـ)؛ صاحب كتاب الإتقان في علوم القرآن، يعتقد أيضا بأن القرآن يشتمل على جميع العلوم، وضرب لذلك مثلا من القرآن، فقال: إن عمر النبي محمدﷺ ثلاث وستون سنة، لأن الآية الكريمة: **﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾**[٥] تقع في

---

(١) البقرة: ٢٢.

(٢) أنظر: الذهبي، التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٧٨- ٤٨٢؛ أحمد عمر أبو حجر، التفسير العلمي للقرآن: ١٥٩.

(٣) مريم: ٣٠.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ١٨١.

(٥) المنافقون: ١١.

في أواخر سورة المنافقين وهي السورة الثالثة والستون في القرآن[١].

٧. **العلّامة المجلسي** (ت ١١١١هـ)؛ صاحب كتاب بحار الأنوار، تعرّض لهذا النوع من التفسير في بعض أجزاء هذا الكتاب، وذكر أنه لا يوجد تعارض بين السماوات السبعة - الموجودة في القرآن في الآية ٢٩ من سورة البقرة - وما ثبت في علوم النجوم من الأفلاك التسعة؛ لأن الفلك الثامن والتاسع في لغة القرآن هو الكرسي والعرش[٢].

٨. **الملّا صدرا الشيرازي** (ت ١٠٥٠هـ)؛ الفيلسوف الشهير، أكّد على هذا الاحتمال في تفسيره[٣]. وكذلك الملّا هادي السبزواري في شرح المنظومة[٤].

٩. **السيد عبد الرحمن الكواكبي** (ت ١٣٢٠هـ)؛ قام بتطبيق القرآن على العلوم التجريبيّة في موارد متعددة من كتاب طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، فاستدل على انفصال القمر عن الأرض - طبقا للنظريات الحديثة - بالآية ٤١ من سورة الرعد والآية ١ من سورة القمر[٥].

١٠. **السيد أحمد خان الهندي** (١٨١٧- ١٨٩٨م) **والسيد أمير علي** (١٢٦٥- ١٣٤٧هـ) من علماء الهند؛ أكّدا على الفوائد الإجتماعية والجسمية

---

(١) أنظر: الاتقان: ٢/ ٢٧١، ٢٨٢؛ والإكليل في استنباط التنزيل: ٢.

(٢) بحار الأنوار: ٥٧/ ٥.

(٣) محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي، تفسير القرآن الكريم: ٢/ ٢٨٩، ٢٩٣.

(٤) شرح المنظومة، قسم الفلسفة: ٢٦٩.

(٥) طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: ٤٣ـ ٤٦؛ بهاء الدين خرمشاهى، تفسير وتفاسير جديد: ٥٩، ٧١.

لكل من الصلاة والصيام والزكاة والحج، واعتبروا القوى الطبيعيّة كالماء والرياح والغيوم نوعا من أنواع الملائكة، وأنكروا إمكان وقوع المعجزة وتأثير الدعاء. وخالفهم السيد جمال الدين الأسدآبادي في الهند[١].

١١. **الطنطاوي** (ت ١٨٦٢م)؛ بالغ في الاستفادة من العلوم في تفسيره الجواهر في تفسير القرآن، فقام باستخراج علم تحضير الأرواح بالإستناد إلى الآيات ٦٧- ٧٢ من سورة البقرة، وكان يستفيد من المستجدّات العلمية خلال بحثه التفسيري[٢].

١٢. **عبد الرزاق نوفل؛ الكاتب المصري المعروف.** له مؤلفات كثيرة في التفسير العلمي، منها: القرآن والعلم الحديث، الله والعلم الحديث، الإسلام والعلم الحديث، بين الدين والعلم.

١٣. **السيد هبة الدين الشهرستاني** (١٣٠١- ١٣٦٨هـ)؛ استدل على حركة الأرض في كتابه الإسلام والهيئة بالآية الكريمة: **﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً﴾**[٣]، وكان يعتقد بأن تأييد وتصديق العلوم والإكتشافات العلمية عن طريق الدين والعلماء هو سبب من أسباب تقوية إيمان الناس[٤].

المناقشة

يمكن تقسيم المفسرين المذكورين آنفا إلى عدّة أقسام، حسب

---

(١) بهاء الدين خرمشاهى، تفسير وتفاسير جديد: ٥٩- ٧١؛ تاريخ نهضتهاى دينى اسلامى معاصر: ١٤٣، ١٤٦.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن: ١/ ٨٤، ٨٩.

(٣) البقرة: ٢٢.

(٤) الشهرستاني، إسلام وهيئت، ترجمة: خرمشاهي: ١١٠.

أهداف كل منهم:

١. كان بعضهم يسعى إلى استخراج العلوم من القرآن، منهم الغزالي، المُرسي، الزركشي، السيوطي، الطنطاوي(١). وعمدة أدلتهم أن القرآن يحتوي على جميع أنواع العلوم، ويمكن استخراجها عن طريق التأمل في الآيات بطريقة خاصة وبالإستعانة بالعلوم المختلفة(٢).

٢. القسم الثاني يسعى إلى تطبيق نظريات العلوم الظنية على القرآن، كالفخر الرازي (استفاد من الآية ٢٢ من سورة البقرة للتدليل على أن الأرض ساكنة)، المجلسي، الملّا صدرا الشيرازي، عبد الرحمن الكواكبي، عبد الرزاق نوفل(٣).

وقام بعض هؤلاء بتحميل النظريات العلمية على القرآن، كما فعل الأستاذ عبد الرزاق نوفل في تفسير الآية: **﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها﴾**(٤)، فقال: المقصود من النفس الواحدة هو البروتون، وزوجها الإلكترون، وكلاهما يشكّلان عنصر الذرّة، وقد اعتبر ذلك نوعا من أنواع الإعجاز العلمي(٥).

وهذا بلا شك من التفسير بالرأي الممنوع شرعا؛ لأنه بعيد عن الظاهر وعن المعاني اللغوية والإصطلاحية المستخدمة في القرآن.

---

(١) ذكرنا بعض الأمثلة سابقاً.

(٢) ذكرنا بعض الأمثلة سابقاً.

(٣) ذكرنا بعض الأمثلة سابقاً.

(٤) الأعراف: ١٨٩.

(٥) القرآن والعلم الحديث: ١٥٦.

٣. وكان بعض هؤلاء بصدد إثبات الإعجاز العلمي للقرآن، مثل مصطفى صادق الرافعي (ت ١٩٣٨م) في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية[١]، فقد ادّعى الإعجاز العلمي في الآيات التي تتطرق إلى الزوجية العامة وزوجية النباتات[٢].

٤. كان اهتمام بعضهم في إظهار أهميّة العلم في الإسلام، كالطنطاوي، وهبة الدين الشهرستاني.

٥. وكان بعضهم يسعى ومن خلال الإستفادة من العلوم التجريبيّة لترويج أفكاره الإنحرافية وإنكار معجزات الأنبياء، كالسيد أحمد خان الهندي وسيد أمير علي، أو توجيه بعض المعجزات، مثل رشيد رضا (١٨٦٥- ١٩٣٥م) حيث فسّر معنى «الموت» في الآية ٢٤٣ من سورة البقرة بالهزيمة وضياع الإستقلال، و«الحياة» بالإستقلال وعودة القوة لهم[٣]، وأنه ليس المقصود من الإحياء في قصة إبراهيم في الآية ٢٦٠ من سورة البقرة، هو الإحياء الحقيقي بل بمعني التربية والإستئناس[٤].

وبسبب وجود مثل هذه التفاسير رفض العلّامة الطباطبائي تطبيق القرآن على العلوم وردّ هذا النوع من التفسير[٥].

---

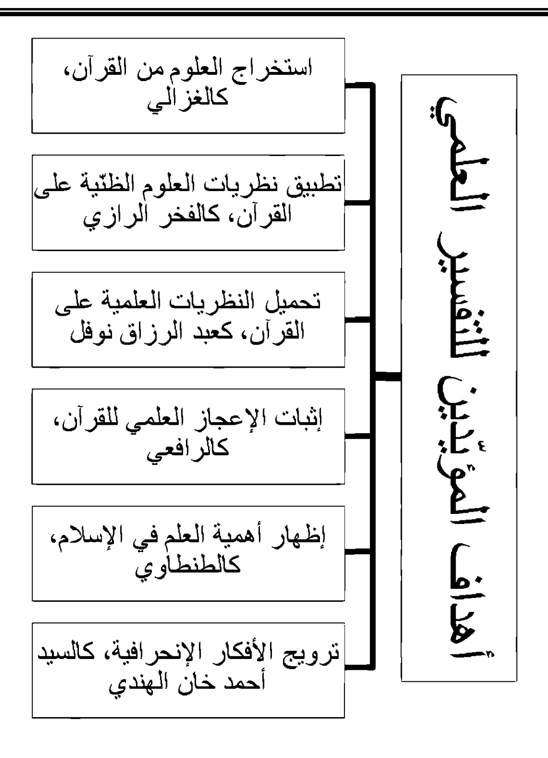
(١) بحثنا هذا الأمر في كتابنا: **پژوهشى** در إعجاز علمي قرآن (منشورات الكتاب المبين، ١٣٨٠ هـ. ش) في مجلدين وقد قبلنا ستة موارد فقط تدل على الاعجاز العلمي من بين (٣٠٠) آية ورفضنا الباقي.

(٢) سبق أن عرضنا كلامه في تعريف التفسير العلمي. راجع: الميزان: ١/ ٧.

(٣) المنار: ٢/ ٤٥٨.

(٤) المصدر السابق: ٥٥.

(٥) سبق أن عرضنا كلامه في تعريف التفسير العلمي، راجع: الميزان: ١/ ٧.



أهداف المؤيّدين للتفسير العلمي

أدلة المصححين للتفسير العلمي

وسبق أن أشرنا إلى بعض أدلّتهم، والآن نتناولها بشيء من التفصيل.

١. إن استخدام العلوم في تفسير القرآن يؤدي إلى فهم أفضل لآياته، ويبيّن إشاراته العلمية، فعندما يتحدث القرآن عن منافع ومضار الخمر في الآية الكريمة: ﴿**قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾[1]، فإن الإكتشافات الطبّية الحديثة توضح مفهوم الآية والمراد من المنافع والمضار فيها. حتى أنه يشكل فهم بعض الآيات دون الرجوع إلى العلوم، فنحن بحاجة ماسّة إلى الإكتشافات الطبّية في «علم الأجنة» - مثلا -

(١) البقرة: ٢١٩.

لفهم وتفسير الآيات ١٢- ١٤ من سورة المؤمنون، وكذلك الآية الخامسة من سورة الحج لمعرفة مراحل خلق الإنسان، مثلما نحن بحاجة إلى «علم اللغة» لفهم ألفاظ القرآن.

ملاحظة: لا بدّ من الحذر من تحميل النظريات العلمية على القرآن واستخراج العلوم منه، بل يجب استخدام العلوم التجريبيّة كوسيلة ومصدر في خدمة التفسير.

٢. يساهم التفسير العلمي في إثبات إعجاز القرآن، فعندما يبيّن القرآن بعض المسائل العلمية قبل أربعة عشر قرنا والتي لم تكن معروفة في ذلك الزمان ويعجز البشر عن الإتيان بمثل هذه المسائل، ثم تتبين صحتها بواسطة العلوم التجريبيّة بعد مرور عدة قرون، فهذا يعني أن القرآن معجزة إلهية وليس كلاما بشريّا. فقد استدل ببعض الآيات على الإعجاز العلمي للقرآن[١]، مثل: الزوجية العامّة للموجودات والنباتات[٢]، قوّة الجاذبية[٣]، حركة الشمس[٤]، فلسفة حرمة شرب الخمر[٥]، مراحل خلق الإنسان[٦]، تلقيح السحاب والنباتات[٧].

ملاحظة: لا بدّ من تمييز الموارد الصحيحة من غيرها؛ لأن هناك من يقوم بتحميل العلوم غير القطعية على القرآن.

---

(١) راجع: **پژوهشي** در اعجاز علمي قرآن.

(٢) يس: ٣٦.

(٣) الرعد: ٢؛ لقمان: ١٠.

(٤) يس: ٣٨.

(٥) البقرة: ٢١٩.

(٦) الحج: ٥؛ المؤمنون: ١٢. ١٤.

(٧) الحجر: ٢٢.

٣. التفسير العلمي يؤدي إلى إقبال غير المسلمين على القرآن، وخصوصا من فئة الشباب عندما تثبت الكشوف العلمية حقانيّة الإشارات المذكورة في القرآن. وهذا ما اعترف به بعض المنصفين في الغرب، فقد اعترف العالم «موريس بوكاي» في كتابه التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث بصدق وإعجاز القرآن ومخالفة التوراة والإنجيل للكثير من المطالب العلمية(١).

٤. اعتبر بعض الأفراد أنّ تقدم الفلسفة والعلوم التجريبيّة في الغرب دليل على بطلان منهج القدماء (المنهج العقلي الأرسطي)، ثم إنه لا يمكن الاعتماد على الروايات في التفسير لاختلاطها بالإسرائيليات، ووجود الوضع وكثرة الكذب، فلم يبق إلا التفسير العلمي، اي تفسير القرآن على ضوء النظريات والفرضيات العلمية(٢).

٥. لا بدّ من استخدام التفسير العلمي لرفع التعارض بين آيات القرآن والكشوف العلمية، فمثلا كانت نظرية بطليموس - التي تقول بالأفلاك التسعة - تعارض آيات القرآن في وجود سبع سماوات، فلا بدّ من تأويل العرش والكرسي بعنوان الفلك الثامن والتاسع لكي يرتفع التعارض بين ظاهر الآيات والعلم في ذلك الزمن(٣).

---

(١) The bible the quran and science. maurice bucaille
تُرجم هذا الكتاب عدّة مرات بالفارسية والعربية، فقد ترجمه بالفارسية الاستاذ حسن حبيبى بعنوان عهدين، قرآن وعلم (منشورات سلمان، ١٣٥٧هـ. ش)، وكذلك المهندس ذبيح الله دبير، باسم مقايسه اى ميان توراة، انجيل، قرآن وعلم (منشورات الثقافة الإسلامية، ١٣٦٥هـ. ش). أمّا إلى العربية فقد ترجم مرّتين، مرّة باسم التوراة والانجيل والقرآن والعلم الحديثة، والثانية بإسم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة.

(٢) راجع: الميزان: ١/ ٧.

(٣) ذكرنا هذا التفسير لابن سينا والمجلسي في البحوث السابقة.

٦. قال بعض الكتّاب المصريين: كان الإعجاز القرآني في ذلك الزمان هو الإعجاز الأدبي من خلال الألفاظ والجمل البليغة وغيرها، المستخدمة في زمنهم، وقد تحدّاهم بأن يأتوا القرآن بسورة واحدة، ومع مرور أربعة عشر قرنا لم يستطع أيّ شخص أن يأتي بسورة من مثله. أمّا بالنسبة إلى الأقوام الآخرين فلا يثبت هذا النوع من الإعجاز في حقّهم؛ لأنهم لا يدركونه، فلا بدّ من تفسير القرآن تفسيرا علميا؛ لإن الإعجاز العلمي يؤدي إلى إقناع غير المسلمين وجذبهم إلى الإسلام(١).

٧. ادّعى بعض العلماء اشتمال القرآن على جميع العلوم، واستدلوا بالآية: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(٢) لإثبات وجود هذه العلوم، كعلم الطب والهندسة والهيئة وغيرها.

أدلة المصححين للتفسير العلمي

- التفسير العلمي يؤدي إلى فهم أفضل لآياته، ويبيّن إشاراته العلمية
- يساهم التفسير العلمي في إثبات إعجاز القرآن
- التفسير العلمي يؤدي إلى إقبال غير المسلمين على القرآن
- لا بدّ من التفسير العلمي، لبطلان المنهج العقلي وعدم الإعتماد على الروايات في التفسير
- لرفع التعارض بين آيات القرآن والكشوف العلمية
- لإثبات الإعجاز العلمي للقرآن لمن لا يدرك الإعجاز الأدبي
- لإثبات وجود جميع العلوم في القرآن

أدلة المصححين للتفسير العلمي

---

(١) القرآن والعلم الحديث: ٢٦، عبد الرزاق نوفل (طبعة دار الكتاب العربي، ١٩٧٣م) (بتصرف).

(٢) النحل: ٨٩.

مناقشة أدلّة القائلين بالتفسير العلمي

١. الدليل الرابع غير تام؛ لأن بطلان المنهج العقلي عن طريق فلسفة الغرب قابل للمناقشة، ولا يقبله الكثيرون ولو في بعض فروع المعرفة البشرية؛ لأنه حتى العلوم التي أحرزت تقدّما كبيرا نتيجة لاستخدام المنهج التجريبي كالفيزياء والكيمياء، تكون بحاجة إلى الإستدلال العقلي(١) لتعميم قوانينها العلمية التي نتجت عن طريق الإستقراء الناقص، أمّا التجربة فلها دور ثانوي. وكذلك لا يمكن قبول قولهم بالنسبة إلى الروايات مطلقا؛ لأن الروايات على عدة أقسام:

أ. خبر الواحد الضعيف.

ب. خبر الواحد الصحيح.

ج. خبر الواحد المقترن بقرينة تورث اليقين أو الإطمئنان.

د. الخبر المتواتر الموجب للإطمئنان.

ونحن نستفيد من القسمين الأخيرين في مجال التفسير، أمّا الأخبار الضعيفة والموضوعة فليس لها أيّ دور في التفسير(٢).

٢. أمّا بالنسبة إلى الدليل الخامس، فنقول إنه لا يوجد أصلا تعارض بين القرآن والعلوم القطعية(٣)، ولا يمكن رفع اليد عن الدليل القطعي في القرآن إذا كانت العلوم ظنّية.

---

(١) انظر: در آمدى بر تفسير علمى: ١٨٥ـ ٢٠٠؛ الأسس المنطقية للاستقراء: ١٣٥، ٣٨٣ـ ٤٠٠؛ المظفر، المنطق: ٢٦٤.

(٢) تعرضنا إلى الآراء حول دور الخبر الصحيح في التفسير في مبحث التفسير الروائي.

(٣) انظر: در آمدى بر تفسير علمى، بحث التفسير العلمي والتعارض بين العلم والدين: ٣٩١ـ ٤١٢.

٣. أمّا بالنسبة إلى الإشكال السادس، فإنه يصدق في بعض الموارد؛ لأن كثيرا من غير العرب يمتلكون ثقافة أدبيّة كبيرة ويمكن أن يدركوا الإعجاز الأدبي للقرآن بتعلم آداب اللغة العربية.

٤. والدليل السابع غير تام أيضا؛ لأنه:

أوّلا: هناك قرينة لبّية في المراد من الآية: ﴿تِبياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[١]، فيكون المراد من كلمة تبيان، هو تبيان كل شيء يصبّ في الهدف الأصلي للقرآن وهو الهداية. فإذا ألّف طبيب من الأطباء كتابا وقال إنه يتضمن كل شيء، فهو لا يقصد بالطبع أنه يشمل جميع العلوم من الفيزياء وغيرها، وإنما يقصد أنه يتضمن جميع المسائل التي تتعلق بعلم الطب. وكذلك هنا، فليس من هدف القرآن بيان المسائل الطبّية والفيزيائية وغيرها حتى يشمل جميع المعادلات والمسائل الجزئية للعلوم، بل هو تبيان كل شيء متعلق بهداية البشر[٢]، وحتى الإشارات العلمية فإنها تصبّ في نفس الهدف الأصلي للقرآن.

ثانياً: ظهور هذه الآية والآيات الأخرى تكذّب هذا الفهم، فنحن نعلم بالبداهة أن جميع العلوم والمعادلات لا توجد في القرآن،ولهذا فقد أنكر بعض المفسرين هذا الفهم"الظهور"[٣] الذي يوهم بوجود جميع العلوم.

٥. يعتبر الدليل الأول والثاني من أقوى الأدلة لإثبات ضرورة التفسير العلمي، ولكن ليس بمعنى الاستغناء عن باقي المناهج، فكما

---

(١) النحل: ٨٩.

(٢) الأمور المتعلقة بهداية البشر غالباً ما تأتي بصورة كليّة، وتتعهد السنّة ببيان الجزئيات.

(٣) راجع: المنار: ٧/ ٣٩٥؛ الطنطاوي، الجواهر: ٨/ ١٣٠؛ الميزان: ١٤/ ٣٢٥؛ نمونه: ١١/ ٣٨١.

نستخدم القرائن العقلية والنقلية في التفسير فكذلك يمكن الإستفادة من القرائن العلمية.

٦. الدليل الثالث لا يمكن اعتباره دليلا مستقلا؛ لأنه نتيجة الأول والثاني[1].

خلاصة الدرس الثالث عشر:

قد فهمنا خلال هذا الدرس مسألتين:

الأولى: بعض أدلة المصححين للتفسير العلمي، التي منها:

١. إن استخدام العلوم في تفسير القرآن يؤدي إلى فهم أفضل لآياته، ويبيّن إشاراته العلمية.

٢. يساهم التفسير العلمي في إثبات إعجاز القرآن.

٣. التفسير العلمي يؤدي إلى إقبال غير المسلمين على القرآن، وخصوصا من فئة الشباب عندما تثبت الكشوف العلمية حقانيّة الإشارات المذكورة في القرآن.

وقد سُجّلت عدّة ملاحظات على الأدلة، حيث أن بعضها غير تامّ وقابل للنقاش والرد.

الثانية: تقسيم المفسرين المؤيّدين للتفسير العلمي إلى عدّة أقسام حسب أهدافهم:

١. استخراج العلوم من القرآن. منهم الغزالي، المُرسي، الزركشي، السيوطي، الطنطاوي.

---

(١) استل هذا الدرس من كتاب الاستاذ الدكتور رضائي اصفهاني: المناهج والاتجاهات التفسيرية.

٢. تطبيق نظريات العلوم الظنّية على القرآن، كالفخر الرازي.

٣. تحميل النظريات العلمية على القرآن، كما فعل الأستاذ عبد الرزاق نوفل.

٤. إثبات الإعجاز العلمي للقرآن، مثل مصطفى صادق الرافعي.

٥. إظهار أهمية العلم في الإسلام، كالطنطاوي، وهبة الدين الشهرستاني.

٦. ترويج الأفكار الإنحرافية من خلال الإستفادة من العلوم التجريبيّة، وإنكار معجزات الأنبياء، كالسيد أحمد خان الهندي وسيد أمير علي.

الأسئلة:

١. اذكر خمس شخصيات من المؤيّدين للتفسير العلمي؟

٢. اذكر ثلاثة من أهداف المؤيّدين للتفسير العلمي؟

٣. اذكر بعض الشخصيات المنحرفة في التفسير العلمي؟

٤. هناك أدلة للمصحّحين للتفسير العلمي، اذكر بعضا منها؟

٥. ما هوالإشكال الوارد في الدليل الرابع من أدلة القائلين بالتفسير العلمي؟

الدرس الرابع عشر: المعارضون للتفسير العلمي

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على الآراء المعارضة للتفسير العلمي.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على أهم المعارضين للتفسير العلمي وعلى أدلتهم.

٢. التعرف على مناقشة بعض تلك الأدلة وبيان نقاط ضعفها.

المحتوى العلمي

قد بيّنا الآراء المؤيدة للتفسير العلمي حيث طالعنا أهم المؤيدين للتفسير العلمي وأدلتهم، وقمنا بمناقشة بعض تلك الأدلة وبيان نقاط ضعفها. كلّ ذلك مثل الطائفة الأولى من العلماء، إذ هناك ثلاثة آراء حول هذه المسألة وكان ذلك أوّلاً.

ثانياً: المعارضون للتفسير العلمي

١. أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)؛ الفقيه المالكي الأندلسي، أنكر في كتابه الموافقات التفسير العلمي وردّ أدلتهم وقال: كان للعرب علوم في زمن نزول القرآن كالنجوم، معرفة أوقات نزول المطر، علم الطب،

البلاغة، الفصاحة، الكهانة، الرمل، الجفر وغيرها، وقد قسّم الإسلام هذه العلوم إلى قسمين: علوم صحيحة وحقّة، وأضاف إليها إضافات كثيرة، وعلوم باطلة مثل الكهانة والرمل، وقد بيّن منافع ومضار كلّ منهما، ثم جاء بأمثلة من القرآن على كل مجموعة[١].

وقال بعد ذلك: إن كثيرا من الناس تجاوزوا الحدّ في الدعوى على القرآن؛ فأضافوا إليه كلّ علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين، من علوم الطبيعيّات كالهندسة وغيرها من الرياضيات والمنطق وعلم الحروف، وهذا غير صحيح. ثم استدل على ذلك فقال: إنه لم يدّع أحد من السلف الصالح مثل هذه الدعوى، وإن القرآن إنّما جاء لبيان أحكام الآخرة وما يتعلق بها[٢]. وثمّ رفض أدلة القائلين بالتفسير العلمي، الذين استدلوا بالآية: ﴿تِبيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٣]، والآية: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي مِنْ شَيْءٍ﴾[٤]، وقال: إن هذه الآيات ترتبط بحال التكليف والتعبّد، والمراد من الكتاب في الآية الثانية هو اللوح المحفوظ. وأمّا فيما يتعلق بفواتح السور فقال: إن عدد الجمل (اي تطبيق الحروف الأبجدية على القرآن) لم يثبت، وإن هذه المعارف مأخوذة من أهل الكتاب، وفواتح السور من المتشابهات[٥].

---

(١) التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٥٨، نقلا عن الموافقات: ٢/ ٦٩. ٧٦، بتلخيص.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٤٨٨، بتلخيص.

(٣) النحل: ٨٩.

(٤) الأنعام: ٣٨.

(٥) المصدر السابق: ٤٨٩.

٢. الشيخ محمود شلتوت (١٨٩٣- ١٩٦٤م)؛ وهو من علماء الأزهر، شنّ حملة قوية على هذا النوع من التفسير من خلال المقالات التي نشرها في مجلة الرسالة الصادرة سنة ١٩٤١م، وقال: إن هذه النظرة للقرآن خاطئة من غير شك؛ لأن الله سبحانه لم ينزّل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وأنواع المعارف، وهي خاطئة من غير شك لأنها تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافي مع الإعجاز، ولا يسيغه الذوق السليم، وهي خاطئة لأنها تعرّض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كلّ زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات، فلو طبّقنا القرآن على هذه المسائل العلمية المتقلبة لعرّضناه للتقلب معها وتحمّل تبعات الخطأ فيها، ولأوقفنا أنفسنا بذلك موقفا حرجا في الدفاع عنه(٦).

ثم ذكر خلال ذلك موارد من الأخطاء في التفسير العلمي الذي يحاول استخراج بعض المسائل العجيبة من القرآن.

٣. الدكتور الذهبي؛ وهو من أساتذة علوم القرآن والحديث في جامعة الأزهر، وصاحب الكتاب المشهور التفسير والمفسرون، ويعتبر من العلماء المتأخرين، فقد اقتفى أثر الشاطبي في رفضه للتفسير العلمي، قال: أمّا أنا فاعتقادي أن الحق مع الشاطبيرحمه الله؛ لأن الأدلة التي ساقها لتصحيح مدّعاه أدلة قوية لا يعتريها الضعف ولا يتطرق إليها الخلل،

---

(٦) مجلة الرسالة، العددين ٤٠٧ و ٤٠٨، سنة ١٩٤١م، نقلا عن كتاب التفسير العلمي في الميزان، أحمد عمر أبو حجر: ٢٩٩، ٣٠٢، طبعة دار قتيبة.

ولأن ما أجاب على أدلة مخالفيه أجوبة سديدة دامغة لا تثبت أمامها حججهم ولا يبقى معها مدّعاهم[٧]. ثم ذكر أدلة أخرى لتقوية قول الشاطبي، سنذكرها في بحث الأدلة.

ملاحظة: أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) من أقطاب المخالفين لهذا النوع من التفسير في ذلك العصر.

هناك بعض الشخصيات ذكرتهم بعض الكتب في مخالفي التفسير العلمي، وهم:[٨]

١) الأستاذ أمين الخولي (١٩٥٦م).

٢) الأستاذ محمود العقّاد (١٩٦٤م).

٣) الأستاذ محمد عزة دروزة (ت ١٨٨٨م).

٤) الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني؛ مؤلف كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن.

وعند مراجعة أدلتهم لم نجدهم قد أضافوا شيئًا إلى ما قاله الشاطبي، بل كرّروا أدلته بأسلوب آخر، ولهذا لم نذكرهم بالتفصيل. بالإضافة إلى ذلك فلا يمكن اعتبار الأستاذ عباس محمود العقاد من المخالفين؛ لأنه استخدم التفسير العلمي في كتابَيه الإنسان في القرآن، والقرآن ونظريّة التطور.

---

(٧) التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٩١- ٤٩٤، الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٦م (طبعة دار الكتب الحديثة، بتلخيص وتصرف في العبارة).

(٨) التفسير العلمي في الميزان: ٢٩٧ وما بعدها.

أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)

- لعدم اتخاذ السلف الصالح هذا المنهج.
- لأن القرآن إنّما جاء لبيان أحكام الآخرة وما يتعلق بها.

الشيخ محمود شلتوت (١٨٩٣ـ ١٩٦٤م)

- لأن هذه النظرية تحمل أصحابها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الإعجاز، ولا يسيغه الذوق السليم.
- لأنها تعرّض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كلّ زمان ومكان.

الدكتور الذهبي

- اقتفى أثر الشاطبي في رفضه للتفسير العلمي.

أشهر المعارضين للتفسير العلمي

أدلة المخالفين

استند القائلون بعدم ضرورة التفسير العلمي وعدم جدواه، بالأدلة التالية:

١. القرآن لم ينزل من أجل بيان مسائل العلوم، بل هو مختص بالأحكام والمسائل التعبديّة، والآيات ظاهرة في ذلك، فالآيات: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٩] و﴿ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[١٠]، المقصود منهما هو المسائل التعبدية، ومعنى الكتاب في الآية الثانية هو اللوح المحفوظ[١١].

---

(٩) النحل: ٨٩.

(١٠) الأنعام: ٣٨.

(١١) ذكر الشاطبي والذهبي هذا الدليل. أنظر: الموافقات: ٢/ ٦٩ـ ٧٦؛ الذهبي، التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٨٩.

٢. يعتبر وجود جميع العلوم في القرآن من المسائل المهمة، ولا بدّ من الإشارة إليها من قِبل الصحابة والتابعين إن صحّت، وبما أنهم لم يدّعوا ذلك فيثبت بطلان هذه المسألة[١٢].

٣. من أهم الأدلة في رد التفسير العلمي، هو أن العلوم التجريبية غير قطعية والنظريات غير ثابتة، فليس من الصحيح تفسير القرآن بها؛ لأنها في تغيّر مستمر، وهو ما يؤدي إلى شك الناس بالقرآن. فعندما قام بعض المفسرين بتطبيق القرآن على الأفلاك التسعة في الهيئة البطليموسية القديمة ثم تبيّن خطؤها بعد مدة من الزمن، ظنّ بعضهم أن القرآن يتعارض مع النظريات الفلكية الجديدة (الكوبرنيكيّة)، وهو ما حدث في الغرب في العصور الوسطي عندما وقع الخصام بين علماء الطبيعة والقساوسة في مسألة التعارض بين العلم والدين، وأدّى إلى نشوء المدارس الإلحاديّة، فيجب عدم تكرار هذه التجربة؛ لأنها تؤدي إلى نفس النتائج[١٣].

٤. يؤدي التفسير العلمي في بعض الموارد إلى التفسير بالرأي المنهي عنه بالروايات، وذلك بسبب:

١) فقدان التخصّص الكافي للأشخاص الذين يتصدون للتفسير، وعدم وجود الشرائط التي لا بد من توفرها في المفسّر.

٢) يسعى بعض الأشخاص وبالإستفادة من آيات القرآن إلى ترويج نظرياتهم الخاصة، والتي ربّما تكون إلحادية، وهذا ما يعتبر أحد مصاديق

---

(١٢) المصدر السابق: ٤٨٨.

(١٣) راجع: الذهبي، التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٩١. ٤٩٤.

التفسير بالرأي. فهناك من قام بتأويل آيات القرآن وتطبيق الحقائق الغيبية القرآنية على الأمور الماديّة، فيقولون مثلا أن المراد بالملائكة في القرآن هو المكروبات التي كشف عنها العلم مؤخّرا[١]، وفي موضع آخر قاموا بتطبيق الآيات التي تتحدث عن قابيل وهابيل على المجتمع الشيوعي والإقطاعي، حتى تتماشى مع آرائهم في النظرية الماركسية[٢].

٥. يؤدي هذا النوع من التفسير إلى النزعة المادية (أصالة المادة ونفي وجود الله)؛ لأن بعض المجموعات المنحرفة وبالإستفادة من هذا التفسير تقوم بتسويق أفكارها الإنحرافيّة وجذب بعض الشباب البسطاء إلى الإلحاد، فالتفسير العلمي جسر بين الكفر والإسلام.

٦. من نتائج هذا التفسير، التأويل الفاسد؛ لأن أصحابه يتجاوزون ظواهر الألفاظ ويأوّلون الآيات بما يتناسب مع آرائهم ونظرياتهم حتى يمكنهم نسبة هذه النظريات والآراء إلى القرآن[٣]. ومن التأويلات الطريفة في هذا الشأن هو قيام بعض المؤلفين بوضع كتاب حول نظرية التطور للعالم الطبيعي «داروين»[٤]، فذكر جميع الآيات التي تؤيد هذه

---

(١) دروس سنن الكائنات:٤٥١، نقلا عن: أحمد عمر أبوحجر، التفسيرالعلمي في الميزان: ٢٢٨. ٢٢٨.

(٢) مكارم الشيرازي، تفسير به رأى: ٧٨.

(٣) تعتبر هذه التأويلات غير جائزة وتحميلا على القرآن ونوعا من التفسير بالرأي.

(٤) تشارلز داروين (١٨٠٩. ١٨٨٢م) عالم الطبيعة الإنجليزي، درس الطب والعلوم وشغف بالتاريخ بالتاريخ الطبيعي. وضع نظريته المعروفة في التطور والتي عرفت باسم «الداروينية» والتي نشرها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي في كتابيه: أصل الأنواع (١٨٥٩م)

النظرية، وأوّل جميع الآيات التي تخالفها، ومن جانب آخر قام بعض الرافضين لهذه النظرية بعكس هذا العمل، فذكر جميع الآيات المخالفة، وأوّل الآيات المؤيدة لنظرية التطور[١]. وقد ذكرنا نماذج من هذه التأويلات في البحوث السابقة مثل العرش والكرسيّ، وتطبيقه على الفلك الثامن والتاسع، وتأويل قصة إبراهيم التي قيل أن المراد منها هو حياة وموت المجتمع[٢]. ولعلّ مقصود العلّامة الطباطبائي من إطلاق كلمة «التطبيق» على التفسير هو هذا النوع من التحميل والتأويل لآيات القرآن[٣].

٧. لا توجد ضابطة خاصّة للتفسير العلمي؛ لأنه أمر ذوقيّ، فكلّ شخص يستطيع أن يفسّر القرآن طبقاً لذوقه.

٨. إن استخدام التفسير العلمي وذكر مسائل علمية كثيرة خلال هذا التفسير يؤديان إلى ضياع الهدف الأصلي للقرآن وهو التزكية والهداية، كما حدث في تفسير الطنطاوي. وبعبارة أخرى إن التفسير العلمي يؤدي إلى سوء الظن بالقرآن ووظيفته، ويُظنّ أنه جاء لبيان المسائل العلمية[٤].

٩. القرآن كتاب هداية ونور وبيان، واستخدام التفسير العلمي يعني

وأصل الإنسان (١٨٧١م)، وقد ظلّت هذه النظرية موضع نقد وتحوير وإضافة وحذف مع كل تقدم علمي. (الموسوعة العربية الميسرة: ٥٢٩. ٧٧٤) «المترجم».

(١) للاطلاع أكثر راجع: مسيح مهاجري، نظرية تكامل از ديدكاه قرآن؛ الأستاذ مشكيني، تكامل در قرآن؛ الدكتور يدالله سحابي، خلقت انسان در بيان قرآن.

(٢) راجع نظريات ابن سينا، والمجلسي، ورشيد رضا في بحث الآراء حول التفسير العلمي.

(٣) الميزان: ١/ ٦.

(٤) في ظلال القرآن: ١/ ٢٦١. ٢٦٣. (بتصرف).

الاحتياج إلى الغير في تفسيره. فبدلاً من أن يكون نورا وهداية فإنه سوف يكون تابعا إلى الآخر في الهداية والبيان، وهذا الآخر - الذي هو محل الإختلاف - لا يمكن أن يكون ملجأ ووسيلة للنجاة عند الإختلاف، ولهذا فلا يمكن أن يكون مصدر هداية.

١٠. التفسير العلمي - وعدم تفسير القرآن على أساس لغة العرب - يؤدي إلى أن تصبح الحقائق القرآنية مجازا، وهذا يعني ضياع معانيه الأصليّة؛ وعندئذ لا يمكن أن يكون هذا التفسير صحيحا.

قال الدكتور الذهبي في هذا الشأن: التفسير العلمي ليس معقولا من الناحية اللغويّة، وذلك أن الألفاظ اللغوية لم تقف عند معنى واحد من لدن استعمالها إلى اليوم، بل تدرجت حياة الألفاظ وتدرجت دلالالتها، فكان لكثير من الألفاظ دلالات مختلفة، فهل يُعقل أن نتوسع في فهم ألفاظ القرآن وجعلها تدل على معان جدت باصطلاح حادث ولم تعرف للعرب الذي نزل القرآن عليهم؟ وهل يعقل أن الله تعالى إنّما أراد بهذه الألفاظ القرآنية هذه المعاني التي حدثت بعد نزول القرآن بأجيال؟ إن هذا الأمر لا يعقله إلا من سفّه نفسه وأنكر عقله(١).

١١. إن الاعتقاد بالتفسير العلمي يؤدي إلى إنكار بلاغة القرآن؛ لأن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فإذا قلنا بالتفسير العلمي فهذا يعني أن الله يخاطب أقواما بكلام لا يفهمونه، ويجهلون معناه، ولم

---

(١) التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٩١، ٤٩٤. (بتصرف).

يراع حال المخاطب ومستواه الفكري، وهو إنكار لبلاغة القرآن[١].

١٢. هناك طرق كثيرة لإثبات إعجاز القرآن، فلا بدّ من صرف النظر عن هذه الطريقة مع كل تلك النتائج السلبيّة[٢].

١٣. إن التفسير العلمي يتنافي مع الإعجاز القرآني وتحدّيه للعرب؛ لأن المخاطبين بالقرآن هم العرب، حيث أن أكثرهم لا يقرأون ولا يكتبون، فإذا قلنا أن القرآن جاء لبيان المسائل العلمية فإن من المسلّم أن المخاطبين يعجزون عن الإتيان بمثل هذه المسائل لجهلهم بها، وهذا ما يبطل التحدّي، لأنهم لو كانوا يملكون وسائل التقدم العلمي فقد يأتون بمثل القرآن. فأصحاب هذا الرأي أرادوا أن يثبتوا إعجاز القرآن ولم يشعروا بأن عملهم هذا يؤدي إلى إبطال تحدّيه.

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

	أدلة المخالفين للتفسير العلمي
١	القرآن مختص بالأحكام والمسائل التعبديّة، ولم ينزل من أجل بيان مسائل العلوم
٢	وجود جميع العلوم في القرآن باطل؛ لعدم الإشارة إليه من قبل الصحابة والتابعين
٣	تفسير القرآن بالعلوم غير القطعية والنظريات غير ثابتة يؤدي إلى شك الناس بالقرآن
٤	التفسير العلمي يؤدي في بعض الموارد إلى التفسير بالرأي؛ وهو منهي عنه بالروايات
٥	التفسير العلمي يؤدي إلى النزعة المادية والأفكار الإنحرافية
٦	التفسير العلمي يؤدي إلى التأويل الفاسد
٧	لا توجد ضابطة خاصة للتفسير العلمي، بل هو أمر ذوقي
٨	التفسير العلمي يؤدي إلى ضياع الهدف الأصلي للقرآن وهو التزكية والهداية
٩	احتياج القرآن إلى التفسير العلمي يتنافى مع كونه هداية ونورا وبيانا
١٠	تفسير القرآن بالعلوم ولا على أساس لغة العرب، يؤدي إلى ضياع معانيه الأصلية
١١	احتياج القرآن إلى التفسير العلمي يؤدي إلى إنكار بلاغة القرآن
١٢	هناك طرق كثيرة لإثبات إعجاز القرآن، فلابدّ من صرف النظر عن هذه الطريقة مع كل تلك النتائج السلبيّة
١٣	إن التفسير العلمي يتنافي مع الإعجاز القرآني وتحدّيه للعرب

أدلة المخالفين

مناقشة أدلة المخالفين للتفسير العلمي

١. بالنسبة إلى الدليل الأول نقول أنه لا توجد منافاة بين أن يكون القرآن جاء لبيان مسائل الأحكام والأمور الأخروية وكونه يحتوي على بعض المطالب العلمية التي اكتشفها العلم مؤخرا، بل إن ذلك دليل عظمة القرآن.

نعم، ليس الهدف الأصلي للقرآن هو بيان العلوم وذكر المعادلات الفيزيائية والكيميائية وأمثال ذلك، ولكن يمكن أن يقال أن القرآن يتضمن إشارات علمية استفاد منها في طول الأهداف التربوية، وثانياً إذا جاء القرآن لبيان أحكام الآخرة فقط فما هي فائدة ذكر الأمثلة العلمية؟ ألا تعتبر جزءا من القرآن؟ وهل تحتاج إلى تفسير؟

أمّا بالنسبة إلى رأي الشاطبي في عدم صحة استخراج كل العلوم من القرآن (قسم خاص من التفسير العلمي)، فإنه يعتبر رأيا صحيحا ونحن نوافقه عليه.

٢. الدليل الثاني غير تام؛ لانه ينظر إلى قسم خاص من أقسام التفسير العلمي (استخراج العلوم من القرآن).

٣. الدليل الثالث يصدق في بعض الموارد، وذلك إذا قمنا بتفسير القرآن طبقاً للنظريات العلمية غير الثابتة، لأنه يؤدي إلى التعارض بين الدين والعلم، وبالتالي تزلزل عقائد الناس. أمّا إذا فسّرنا القرآن استنادا إلى حقائق العلوم فسوف يرتفع هذا الإشكال.

٤. الدليل الرابع والخامس يصدق بصورة جزئية أيضا فيما إذا تورط بعض الأفراد في التفسير بالرأي بسوء أو بحسن نية، أو عندما

يسـيء أحـد الاشـخاص اسـتخدام هـذه الطريقـة فـي التفسـير، ولكـن التفسـير العلمـي لـيس هكذا دائمـا، فـإذا مـا تحققـت الشـرائط فـي أحـد المفسرين وقام بتفسير ظاهر الآية الموافق مع الحقيقة العلمية القطعية طبقاً للضـوابط فـإنّ ذلـك يسـاهم فـي توضـيح مفهـوم الآيـة، ولا يكـون تفسيرا بالرأي. وبعبارة أخرى إن هذا الإشكال يرجع إلى المفسّر وليس إلـى المـنهج التفسـيري، فإنـه مـن الممكـن أن يبتلـى بالتفسـير بـالرأي أصحاب المنهج الروائي أو تفسير القرآن بالقرآن أيضا، ولكن هذا الأمر يثبت خطأ المفسّر، لا إدانة المنهج التفسيري.

٥. الدليل السادس يصدق بصورة جزئية كذلك فيما إذا قام بعض الأفراد بتأويل آيات القرآن بدون قرينـة عقلية أو نقلية، لترويج أفكارهم وتحميلها على القرآن. ولكن التفسير العلمي لا يؤدي إلـى التأويل الفاسد فـي كل الأحـوال، فـإن استخدام القـرائن العلميـة القطعيـة لا إشكال فيـه فحسب، بل إنه يؤدي إلـى فهم القرآن فهما صحيحا، كما يكون التأويل صحيحا باستخدام القرينة القطعيّة[1].

٦. الدليل السابع ليس صحيحا أيضا؛ لأن التفسير العلمي ليس أمـرا ذوقيـا، بل لـه معـايير وضـوابط لا بدّ مـن توفرهـا لكـي يكـون مقبـولا، وإن الإقـدام علـى التفسـير بعـد تـوفر الشـرائط هـو أحـد طـرق التفسـير التـي يمكن أن تبيّن وتوضّح معاني ومقاصد القرآن.

---

(١) لمعرفـة معـاني التأويـل وجـوازه وعـدم جـوازه، أنظـر: آيـة الله معرفـة، التفسـير والمفسـرون؛ الكاتب، در آمدي بر تفسير علمي قرآن، مبحث التأويل.

٧. أمّا بالنسبة إلى الدليل الثامن المتعلق بإفراط البعض في استخدام العلوم في التفسير وغفلتهم عن أهداف الهداية والتربية (الطنطاوي مثلا)، نقول: إن هذا يرجع إلى المفسّر أيضا، ولا ينسحب إلى منهج التفسير، إذ من الممكن بجانب تبيين هذه الأهداف ذكر بعض المسائل والمطالب العلمية بصورة معتدلة.

٨. الدليل التاسع ليس كافيا في ردّ هذا التفسير؛ لأنه لا يوجد تناف بين أن يكون القرآن نورا وبيانا وهداية وبين الإستعانة ببعض المسائل العلمية المختلفة كالنحو والصرف والأصول ونتائج العلوم التجريبية. فحقيقة القرآن أنه في نفسه واضح ونور وبيان، ولكن يمكن الإستعانة بالعلوم المختلفة لتكميل فهمنا للقرآن وسدّ نقصنا فيه. وعلى هذا فنحن نستعين بالعلوم لفهم القرآن، والقرآن لا يحتاج إلى شيء.

٩. الدليل العاشر يصدق على بعض أنواع التفسير كاستخراج العلوم من القرآن وتطبيق العلوم على القرآن، كما صنع عبد الرزاق نوفل في تفسير النفس الواحدة بالبروتون، وأخرج الآية عن معناها الظاهري واللغوي. وهذا الشيء لا يصدق على استخدام العلوم في فهم القرآن، اي عندما نقول أن معنى «العمد» في الآية: ﴿**رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها**﴾[٢] هو المعنى الظاهر، وإن قوة الجاذبية أحد مصاديقها، وكذلك تفسير معنى «الزوجيّة» بالكشوف العلمية الجديدة، والإبتعاد عن اعتبارها مجازا، فلاشك أنه لا إشكال في ذلك.

---

(٢) الرعد: ٢.

١٠. أمّا بالنسبة إلى الدليل الحادي عشر، فيمكن القول بأن القرآن لم ينزل لجيل خاص، بل إن كشف معان ومصاديق جديدة للقرآن بمرور الزمن يكون دليلا على عظمة القرآن وبلاغته؛ حيث أن كل شخص وكل جيل يأخذ من القرآن بمقدار علمه وفهمه، ولكن يجب فهم ألفاظ القرآن على أساس لغة العرب. إضافة إلى ذلك، فإن العرب في صدر الإسلام لم يكونوا يفهمون جميع آيات القرآن ومعانيه السامية، ألم يأت في الخبر أن أناسا في آخر الزمان سوف يختصّون بفهم الآيات الأولى من سورة الحديد وسورة التوحيد؟ ألم يكن الصحابة يسألون الرسولﷺ وابن عباس عن تفسير بعض الألفاظ والآيات القرآنية؟

١١. بالنسبة إلى الدليل الثاني عشر نقول أنه لا يوجد مانع من استحداث طريق آخر لإثبات إعجاز القرآن بالإضافة إلى الطرق الأخرى، ولا يوجد إشكال في ظهور أبعاد أخرى للإعجاز مع تقدم العلم والمعرفة.

١٢. أمّا بالنسبة إلى الدليل الأخير، فإنه أشبه ما يكون بالمغالطة؛ لأن الإعجاز العلمي مازال موجودا حتى هذه الساعة، حيث وصل الإنسان إلى أقصى التطور العلمي، ومع ذلك لم يستطع أيّ شخص أن يأتي بمثل القرآن. وثانياً إن جهل الناس بالعلوم القطعية لا يبطل الإعجاز العلمي، بل يكون دليلا على إعجاز القرآن؛ لأن النبيﷺ جاء بمثل هذه العلوم التي يجهلها حتى العلماء في العصر الحاضر، وأنه كلما تقدم العلم تتضح هذه المسائل العلمية في القرآن أكثر من ذي قبل.

النتيجة

يتبين ممّا تقدم أن جميع الأدلة في ردّ التفسير العلمي ترجع إمّا إلى رفض نوع خاص من أنواع التفسير مثل استخراج العلوم وتطبيقها

على القرآن، أو من خلال سوء استفادة البعض من هذا المنهج في سبيل ترويج أفكارهم الخاصّة، والوقوع في التفسير بالرأي الذي وردت الروايات في المنع عنه، وهذا الإشكال يمكن أن يرجع إلى جميع المناهج التفسيرية وليس إلى التفسير العلمي فقط[٣].

خلاصة الدرس الرابع عشر:

قد تعرّفنا عبر هذا الدرس إلى عدة أمور:

الأول: بعض الآراء المعارضة للتفسير العلمي؛ التي منها:

أ. القرآن مختص بالأحكام والمسائل التعبديّة، ولم ينزل من أجل بيان مسائل العلوم

ب. تفسير القرآن بالعلوم غير القطعية والنظريات غير ثابتة يؤدي إلى شك الناس بالقرآن.

ج. التفسير العلمي يؤدي في بعض الموارد إلى التفسير بالرأي؛ وهو منهي عنه بالروايات.

د. التفسير العلمي يؤدي إلى التأويل الفاسد.

ه. لا توجد ضابطة خاصة للتفسير العلمي، بل هو أمر ذوقي.

الثاني: بعض أهمّ المعارضين للتفسير العلمي:

١. الفقيه المالكي الأندلسي أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)؛ استدلّ بعدم اتخاذ السلف الصالح هذا المنهج، والقرآن جاء لبيان أحكام الآخرة وما يتعلق بها، ثم استمرّ في إنكار أدلة القائلين بالتفسير العلمي.

٢. الشيخ محمود شلتوت (١٨٩٣- ١٩٦٤م) من علماء الأزهر؛ وقد شنّ حملة قوية على هذا النوع من التفسير من خلال المقالات التي

---

(٣) استل هذا الدرس من كتاب الاستاذ الدكتور رضائي اصفهاني: المناهج والاتجاهات التفسيرية.

نشرها في مجلة الرسالة الصادرة سنة (١٩٤١م)، بدليل أن هذه النظرية تحمل أصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الإعجاز ويخالف الذوق السليم، ولأنها تعرّض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كلّ زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الأخير.

٣. الدكتور الذهبي؛ وهو من أساتذة علوم القرآن والحديث في جامعة الأزهر، اقتفى أثر الشاطبي في رفضه للتفسير العلمي.

وهناك شخصيات أخرى تخالف التفسير العلمي، واستدلّوا بأدلة كثيرة ترجع كلها إلى رفض نوع خاص من أنواع التفسير مثل استخراج العلوم وتطبيقها على القرآن، أو من خلال سوء استفادة البعض من هذا المنهج في سبيل ترويج أفكارهم الخاصّة.

الأسئلة:

١. اذكر ثلاث شخصيات من المخالفين للتفسير العلمي؟

٢. ما هي أدلة الشيخ محمد شلتوت في رفض التفسير العلمي؟

٣. اذكر ثلاثة من أدلة المعارضين للتفسير العلمي؟

٤. كيف تجيب على الإشكال التالي: إن العلوم التجريبية غير قطعية والنظريات غير ثابتة، فليس من الصحيح تفسير القرآن بها؛ لأنها في تغيّر مستمر، وهو ما يؤدي إلى شك الناس بالقرآن؟

٥. كيف تجيب على الإشكال التالي: التفسير العلمي يؤدي إلى ضياع الهدف الأصلي للقرآن وهو التزكية والهداية؟

الدرس الخامس عشر: القائلين بالتفصيل في التفسير العلمي

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على الآراء القائلة بالتفصيل بحجية التفسير العلمي.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على أهم القائين بالتفصيل بحجية التفسير العلمي وعلى أدلتهم.

٢. التعرف على مناقشة بعض تلك الأدلة وبيان نقاط ضعفها.

المحتوى العلمي

قد بيّنا الآراء المؤيدة والمخالفة للتفسير العلمي حيث طالعنا أهم المؤيدين والمعارضين للتفسير العلمي وأدلتهم، وقمنا بمناقشة بعض تلك الأدلة وبيان نقاط ضعفها. كلّ ذلك مثل الطائفة الأولى والثانية من العلماء، اذ هناك ثلاثة آراء حول هذه المسألة وكان ذلك أوّلاً وثانياً.

ثالثاً: القائلين بالتفصيل في التفسير العلمي

إن الأخطاء والإنحرافات التي وقعت في بعض التفسيرات العلمية والمعاصرة، لم تقم على أساس مبدئي أو تأصيلي، وإنما وجدت بسبب

عدم الألتزام بالضوابط العامة لأيّ تفسير، وكل تفسير أو مفسر لا يلتزم بالضوابط العامة الموضوعة من قِبل علماء الإسلام لكل تفسير فإنه سينحرف عن مسيرته سواء كان تفسيرا علميا أو صوفيا أو باطنيا أو كلاميا، لذا فإن جميع الملاحظات الواردة على النماذج المذكورة في جانب التفسير العلمي والعصري لا تختص بتفسير دون تفسير، فهي ملاحظات منهجية يخطئ بها كل من يتجاوزها في أثناء عملية التفسير، لذا فلن تكون حجة أو دليل حاكم لإهمال وترك التفسير العلمي للقرآن، بل والإعجاز العلمي الجديد الذي قد يظهر وينكشف اعتمادا على ذلك التفسير(٤).

هناك عدد من العلماء قَبِل صنفا خاصا من التفسير العلمي تحت شرائط معيّنة، ورفض باقي الأقسام، منهم:

١. سيد قطب (١٩٠٦- ١٩٦٦م)؛ المفكر الإسلامي، صاحب تفسير في ظلال القرآن؛ أشكل على هذا اللون من التفسير وقال: إني لأعجب من بساطة بعض الأفراد الذين ينسبون إلى القرآن بعض الأشياء وهو بريء منها، ويحاولون استخراج جزئيات العلوم الطبّية والكيميائية والنجوم وغيرها، وهم يظنون أنهم يعظّمون القرآن بذلك.

ثمّ عدّ نوعين من أنواع التفسير، وقَبِل الأول وردّ الآخر(٥). ثم ضرب مثلا على النوع غير الجائز وذلك بتطبيق نظرية التطور على الآية: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾(٦)، وأمّا النوع الجائز فمثاله

---

(٤) سامي أحمد الموصلي، الإعجاز العلمي في القرآن: ٣٦.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن: ١/ ٢٦٠.

(٦) المؤمنون: ١٢.

الآية الكريمة: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[٧]، حيث إن كل شيء في الوجود مخلوق بمقدار وتناسب دقيق، من شكل الأرض وبُعدها عن الشمس والقمر، وحجم الشمس والقمر، وسرعة حركتهما والنسبة بينهما، ولا يمكن أن تكون كل هذه الأمور صدفة من الصدف، وعلى هذا يمكن التوسّع في مفهوم هذه الآية بلا إشكال[٨].

٢. محمد مصطفى المراغي (١٨٨١- ١٩٤٥م)؛ شيخ الأزهر، وهو من علماء مصر والسودان الكبار، له موقفان مختلفان بالنسبة إلى التفسير العلمي.

قال في مقدمته لكتاب الإسلام والطب الحديث لعبد العزيز إسماعيل:

لست أريد من هذا أن أقول أنّ الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمي المعروف، وإنما أريد أن أقول أنه أتى بأصول عامّة لكل ما يهمّ الإنسان معرفته به، ليبلغ درجة الكمال جسدا وروحا، وترك الباب مفتوحا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة، ليبيّنوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها في الزمان الذي هم عائشون فيه. ثم قال: يجب أن لا نجرّ الآية إلى العلوم كي نفسّرها، ولا العلوم إلى الآية، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسّرناها بها[٩].

---

(٧) الفرقان: ٢.

(٨) أنظر: في ظلال القرآن: ١/ ٢٦١. ٢٦٣.

(٩) مقدمة الشيخ المراغي لكتاب: الإسلام والطب الحديث، نقلا عن: التفسير والمفسرون: ٢/ ٥١٩.

وقد استخدم المراغي التفسير العلمي عدة مرّات، فقد فسّر «العمد» في الآية: ﴿خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾[(١٠)] بقوة الجاذبيّة[(١١)].

٣. أحمد عمر أبو حجر؛ صاحب كتاب التفسير العلمي في الميزان، فقد أورد أدلة الطرفين واختار الرأي القائل بالتفصيل، وقال: والذي تطمئن إليه النفس - بعد النظر في وجهة نظر الفريقين - هو أن الذين ينادون بإبعاد القرآن عن التفسير العلمي مصيبون كل الإصابة، إذ كان هذا التفسير قائما على الظنّ والوهم أو التعسف في التأويل، أمّا إذا كان مستندا إلى الصريح من القول، معتمدا على اليقين الثابت من العلم، فليس هناك ما يمنع من الاستفادة بنور العلم في إيضاح حقائق القرآن[(١٢)]. وقال في موضع آخر: وإنما نذهب المذهب الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط؛ لأنه مادام القرآن كلام الله، والكون خلق الله، فلا بدّ أن تنسجم آيات القرآن مع حقائق العلم[(١٣)].

٤. العلّامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)؛ وهو من الفلاسفة والمفسرين المعاصرين، وصاحب تفسير الميزان الشهير، قال في هذا المورد: وقد نشأ في هذه الأعصار مسلك جديد في التفسير، وذلك أن قوما من منتحلي الإسلام في أثر توغّلهم في العلوم الطبيعية وما يشابهها المبتنية على الحسّ والتجربة، مالوا إلى مذهب الحسّيين من فلاسفة

---

(١٠) لقمان: ١٠.

(١١) الدروس الدينية: ٦١. ٦٤، نقلا عن: التفسير العلمي في الميزان: ٢٣١.

(١٢) التفسير العلمي في الميزان: ١١٣، (ط ١٩٩١م، ١٤١١هـ)، دار قتيبة، بيروت.

(١٣) المصدر السابق: ١١٨.

أوربا سابقا أو إلى مذهب أصالة العمل (لا قيمة للإدراكات إلا إذا ترتب عليها عمل)، فذكروا أن المعارف الدينية لا يمكن أن تخالف الطريق الذي تصدّقه العلوم، ولا بدّ من تأويل الآيات المخالفة لها، بل أنهم طبّقوا القوانين المادية حتى على المعاد، وقالوا إن الروح مادية ولها خواص مادية، وإن النبوّة نبوغ اجتماعي خاص تُبنى قوانينه على الأفكار الصالحة، ثم ذكروا أنه لا يمكن الاعتماد على الروايات؛ لاختلاطها، وأمّا الكتاب فلا يجوز أن يُبنى في تفسيره على الطريق العقلي - وهو ما قام به المفسرون السابقون - الذي أبطله العلم؛ حيث أن العلم أبطل المنهج العقلي، فلا بدّ أن يفسّر القرآن بالعلم فقط. ثم قالرحمه الله: إنما الكلام في أن ما أوردوه على مسالك السلف من المفسرين - أن ذلك تطبيق وليس بتفسير - وارد بعينه على طريقتهم في التفسير(١٤).

ومع هذا فقد استفاد العلّامة من نتائج العلوم التجريبية في تفسير بعض الآيات القرآنية، كما قال في ذيل الآية **﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾**(١٥): والمراد أن للماء دخلا تامّا في وجود ذوي الحياة، وقد اتضح إرتباط الحياة بالماء بالأبحاث العلمية الحديثة(١٦). وقال في تفسير الآية الشريفة **﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾**(١٧): المراد من التوسعة في الآية هي توسعة خلق السماء، كما تميل إليه الأبحاث الرياضية اليوم(١٨).

---

(١٤) الميزان: ١/ ٧. ٨. بتلخيص.

(١٥) الأنبياء: ٣٠.

(١٦) الميزان: ١٤/ ٢٧٩. (طبعة اسماعيليان).

(١٧) الذاريات: ٤٧.

(١٨) الميزان: ١٨/ ٣٨٢.

وسوف يتبين في البحوث الآتية أن موقف العلّامة من التفسير العلمي يختلف حسب أنواعه؛ فهو من القائلين بالتفصيل.

٥. آية الله مكارم الشيرازي؛ صاحب تفسير الأمثل، وهو من المعتدلين في موقفه من التفسير العلمي، فقبل بعض أنواعه واستفاد منه عدة مرات لإثبات الإعجاز العلمي(١٩)، ورفض الآخر واعتبره من أنواع التفسير بالرأي؛(٢٠) فقال في معرض حديثه عن التفسير العلمي: يلاحظ أن العلم قد دخل الميدان وفُسّر به القرآن، ونحن نؤكد هنا بأن المقصود من العلوم هي العلوم القطعية وليست الفرضيات المتغيّرة بتغيّر الزمان، فإنه لا يمكن تطبيق القرآن الثابت على الفرضيات المتغيرة، فإن زوجية النباتات التي اكتشفت في القرن السابع عشر الميلادي، وحركة الأرض حول نفسها، هي حقائق علمية وليست فرضيّات تقبل التغير(٢١).

٦. آية الله معرفة؛ قال: إن الشريعة ليست علوما طبيعية، والقرآن ليس كتاب علم، وقد بيّنت الإشارات العلمية بجانب المطالب الأصلية (الحكمة، الهداية، التربية، الإرشاد وغيرها) بصورة إجمالية يدركها الراسخون في العلم؛ لأنه ليس بصدد بيان هذه المواضيع، فهي تشير إلى عظمة العلم الإلهي غير المتناهية(٢٢).

---

(١٩) تفسير نمونه (بالفارسية): ١/ ١٣١؛ ١١/ ٤١٠؛ ١٢/ ٢٧٥؛ ١٥/ ٥٦٨.

(٢٠) الاستاذ مكارم الشيرازي، تفسير به رأى: ٦٩. ٧٩.

(٢١) مجلة **پيام** قرآن، العدد التجريبي: ٤٨. (منشورات دار القرآن الكريم، قم).

(٢٢) التمهيد: ٦/ ٣١، وما بعدها.

فهو يعتقد بأن العلوم القطعية ضرورية لفهم القرآن ولا يمكن الإحاطة بهذه الإشارات الموجودة في القرآن دون الإستفادة من نتائج هذه العلوم. وبما أن العلوم غير قطعية والقرآن قطعيّ، فلا بدّ أن نقوم بتطبيق العلوم على القرآن وليس العكس؛ يعني قد نفهم مطلبا من بعض الآيات في ضوء الكشوف العلمية ولكن لا نقول إن الآية تؤكد هذه المسألة بصورة قطعية، فإذا قطع الشخص بهذا الأمر فهو تحميل للقرآن وغير جائز شرعا(٢٣).

فسماحته إذن من القائلين بالتفصيل بين إسناد العلوم بصورة قطعية وبين النسبة الإحتمالية. وقد جاءت مباحث الإعجاز العلمي والتفسير العلمي في المجلد السادس من كتاب التمهيد.

٧. آية الله السبحاني؛ يُعدّ من الأفراد المعتدلين في تناوله التفسير العلمي، إذ أنه في تناوله لشروط المفسّر يقول: الإطلاع على الآراء العلمية له دور كبير في تفتّح ذهنية الإنسان، والحصول على فهم حيّ للقرآن، فقد أحرز البشر اليوم خطوات كبيرة في مجالات علمية متعددة كعلم طبقات الأرض، والكون، والحيوان، وكشف آفاق جديدة في علم الإجتماع وعلم النفس. صحيح أنه لا يمكن القول بأن جميع هذه الآراء دقيقة، ولكن إدراك هذه العلوم سبب في قوة الفكر الفلسفي والعلمي للإنسان وانفتاح ذهن المفسّر، ويعطيه قدرة كاملة للإستفادة من القرآن، وهذا لا يعني أنّنا نفسّر القرآن بمساعدة الفلسفة اليونانية والإسلامية والعلوم الجديدة القابلة للخطأ ونطبّقها على القرآن؛ لأن ذلك يؤدي إلى التفسير بالرأي الممنوع منه شرعا وعقلا(٢٤).

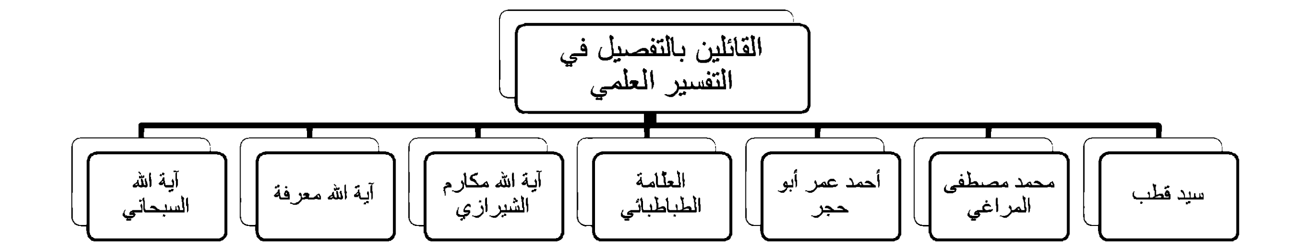
---

(٢٣) در آمدي بر تفسير علمي قرآن: ٣٤٠.

(٢٤) الاستاذ سبحانى، تفسير صحيح آيات مشكله قرآن، (تنظيم سيد هادي خسروشاهى): ٣١٥.

وقد أشار في كتابه برهان رسالت إلى كثير من المسائل العلميّة مثل: الجاذبية العامّة، كرويّة الأرض وحركتها، حركة الأجرام السماوية، وزوجية النباتات، لإثبات إعجاز القرآن[٢٥]. فهو وإن كان مخالفا لتطبيق العلوم على القرآن، ولكنه يؤكّد على لزوم الإستفادة من الكشوف العلمية في تفسير القرآن، فهو إذن من الموافقين على استخدام العلوم في فهم القرآن ظاهرا.

(٢٥) برهان رسالت: ٢٥٢. ٢٨٣. (منشورات مكتبة الصدر، طهران، ١٣٩٨هـ).



القائلين بالتفصيل في التفسير العلمي

أدلة القائلين بالتفصيل

يرى كثير من مفسّري السنّة والشيعة - وخصوصا المتأخرين منهم - التفصيل في موارد التفسير العلمي؛ لأن له أقساما وأنواعا مختلفة، بعضها صحيح ومعتبر والآخر غير صحيح وغير معتبر. ونحن نسعى هنا إلى إدغام هذه الآراء مع أدلتها وإيجاد التناسق فيما بينها.

١. التفصيل بين التطبيق وغيره

رفض بعض المفسرين طريقة التطبيق والتي تعني إنتخاب الآيات التي توافق رأي المفسر وتأويل الآيات المخالفة، وهو ما يؤدي إلى التفسير بالرأي. وأمّا إذا كان ظاهر الآية موافقا للمسلّمات العلمية فلا إشكال في ذلك. ويمكن نسبة هذا الرأي للسيد الطباطبائي(٢٦)، والأستاذ مصباح اليزدي(٢٧)، والأستاذ السبحاني(٢٨).

٢. التفصيل بين استخدام العلوم القطعية وغير القطعية

في هذه الرؤية يمكن الإستفادة من العلوم القطعية إذا كانت موافقة لظاهر الآية، أمّا إذا كانت العلوم غير قطعية كالنظريات غير الثابتة والتي يمكن أن تتغير بمرور الزمن، فلا بدّ من الإبتعاد عنها في التفسير؛ لأنها تؤدي إلى تشكيك الناس بالقرآن. ونستطيع أن نعتبر الأستاذ آية الله مكارم الشيرازي من أصحاب هذا الرأي؛ فقد استخدم

---

(٢٦) راجع: الميزان: ١/ ٧. ٨.

(٢٧) راجع: معارف القرآن: ٢٢٩.

(٢٨) تفسير صحيح آيات مشكل قرآن، (تنظيم سيد هادي الخسروشاهي): ٣١٥.

هذا الرأي عدّة مرّات في تفسير نمونه[٢٩]، ووصّى به في كتاب " قرآن وآخرين **پيامبر**"[٣٠] فقال: توجد هنا آراء مختلفة؛ فقد أفرط بعضهم في تطبيق النظريات العلمية على القرآن وكانوا يظنّون أنهم يقدّمون خدمة كبيرة للقرآن، فإن تطبيق النظريات العلمية غير الثابتة على القرآن اشتباه كبير وخطر كبير، ولا يؤدي خدمة لا إلى القرآن ولا إلى العلم، فإذا قمنا بتطبيق نظرية «بلاس» في نشوء المنظومة الشمسيّة على القرآن فإن هذا يعتبر أمرا خاطئا؛ فماذا نفعل إذا جاء يوم تبيّن فيه خطأ هذه النظرية - كما حدث مع الكثير من الفرضيات العلمية -؟ وهناك من سلك طريق التفريط والتعصّب والجمود، فكان يعتقد بأنه لا يحق لنا تطبيق النظريات العلمية مهما كانت قطعية ومسلّمة. فأيّ إشكال يرد على تطبيق العلوم القطعية على القرآن، كدوران الأرض حول نفسها، أو دوران الأرض حول الشمس، وكذا الزوجية والتلقيح في عالم النباتات وأمثالها؟ خصوصا إذا كانت الآيات صريحة في هذا الأمر، وهو ما يدلّ على عظمة هذا الكتاب الإلهي. ومن هنا تتبيّن حدود ومقدار التطبيق الجائز وغير الجائز[٣١].

ويعتبر آية الله لطف الله الصافي **الكلپايكاني** من أصحاب هذا الرأي، كما جاء في كتابه بسوي **آفريدگار**[٣٢].

---

(٢٩) تفسير نمونه: ١/ ١٣١؛ ١١/ ٤١٠؛ ١٢/ ٢٧٥، وفي مواضع أخرى.

(٣٠) قرآن وآخرين **پيامبر**: ١٤٧، فما بعد.

(٣١) المصدر السابق: ١٤٧، وما بعدها.

(٣٢) لطف الله الصافي، بسوي **آفريدگار**: ٨٥.

٣. التفصيل بين النسبة الإحتمالية والقطعية

يقول أصحاب هذا الرأي إن العلوم التجريبية لا يمكن أن تكون قطعية؛ لأنها استنتجت بالإستقراء الناقص، وحيث أنه ثبت في فلسفة العلم أن القطع في العلوم التجريبية لا يمكن أن يورث اليقين بالمعنى الأخص (الإطمئنان المطابق للواقع) ولكنه يورث القطع الذاتي، ولذلك فلا يحقّ لنا نسبة هذه العلوم إلى الحقائق القطعية ألى القرآن ونقول بأن القرآن يؤكد هذا الأمر حتما؛ لأنه من التفسير بالرأي، ولكن يمكن نسبة هذا المطلب إلى القرآن بصورة إحتمالية، فإذا ما نسب أحد الأشخاص شيئا ما إلى القرآن بصورة قطعية فهو يعتبر نوعا من التحميل غير الجائز؛ لأنه تطبيق وتفسير بالرأي؛ فلا بدّ إذن من عرض العلوم على القرآن وليس العكس. ويمكن اعتبار آية الله الأستاذ محمد هادي معرفة من أصحاب هذا الرأي.

ولبيان هذا الأمر بصورة أكثر وضوحا نقول: لقد توصّلنا بعد دراسة مباني قوانين العلوم التجريبية أنها قابلة للإبطال فقط ولا يمكن أن تورث اليقين بالمعنى الأخص (الإطمئنان المطابق للواقع)، في حين أن الوحي في نظر المؤمنين هو المبيّن لحقائق العالم، وهو منزّه عن كل اشتباه وخطأ.

٤. التفصيل بين تحميل النظريات على القرآن واستخدام العلوم في فهم القرآن.

ذكر سيد قطب (١٩٠٦- ١٩٦٦م) هذا الرأي وقال: لأن المسائل العلمية غير مطلقة، وهي في معرض التغيير، فلا يمكن نسبتها إلى

الحقائق القرآنية المطلقة، ولكن يمكن الإستفادة من النظريات والحقائق العلمية من أجل فهم مداليل القرآن[٣٣]. وقد ذكر أمثلة لكلا النوعين من التفسير.

٥. التفصيل بين التفسير الإفراطي وغير الإفراطي

قسّم الأستاذ رفيعي التفسير العلمي إلى ثلاثة أقسام:

أ. استخدام العلوم في فهم القرآن.

ب. تحميل المطالب العلمية على القرآن.

ج. استخراج العلوم من القرآن[٣٤].

ثم ذكر تقسيما آخر وهو التفسير الإفراطي والتفسير المعتدل، وضرب أمثلة لكل نوع منها[٣٥].

المناقشة

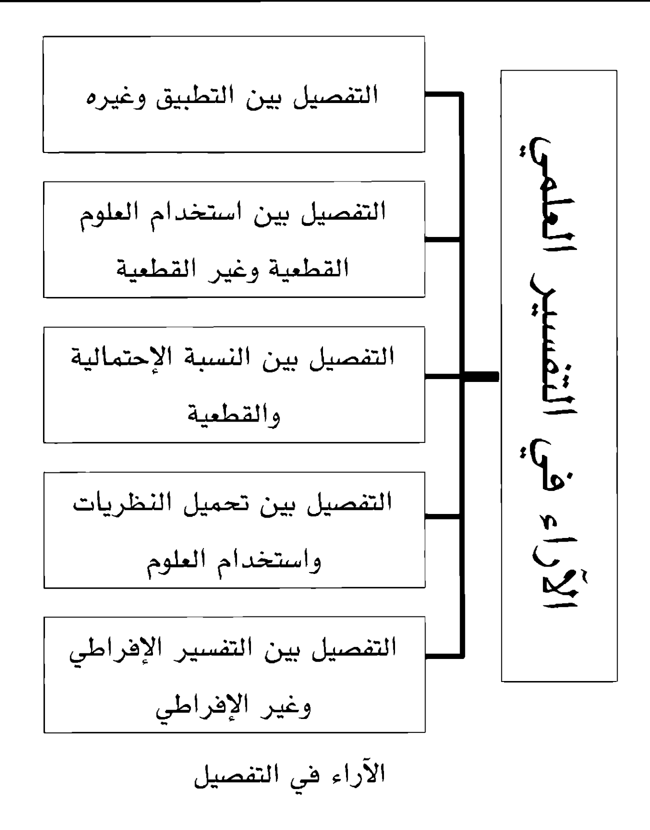
أعتقدُ أنه لا يمكن الإستغناء عن أيّ نوع من الأنواع المذكورة، فكلّ من الأقسام المذكورة مكمّلة للأخرى، وعدم الإنتباه إلى هذا الأمر يؤدي إلى الوقوع في التفسير بالرأي.

---

(٣٣) سيد قطب، في ظلال القرآن: ١/ ٢٦٠، وما بعدها. بتلخيص وتصرف.

(٣٤) هذا ما اخترناه في كتاب در آمدي بر تفسير علمي قرآن، وسوف نتعرض لها فيما بعد بصورة مفصلة.

(٣٥) تفسير علمي قرآن: ١/ ١٤٥. ١٤٦.



الآراء في التفصيل

خلاصة الدرس الخامس عشر:

تعرّفنا من هذا الدرس على أمرين مهمّين، وهما:

الأول: أهمّ الآراء في التفسير العلمي، وهي: التفصيل بين التطبيق وغيره، والتفصيل بين استخدام العلوم القطعية وغير القطعية، والتفصيل بين النسبة الإحتمالية والقطعية، والتفصيل بين تحميل النظريات واستخدام العلوم، وكذلك التفصيل بين التفسير الإفراطي وغير الإفراطي.

الثاني: أهمّ القائلين بالتفصيل في التفسير العلمي، وهم: سيد قطب، محمد مصطفى المراغي، أحمد عمر أبو حجر، العلّامة الطباطبائي، آية الله مكارم الشيرازي، آية الله معرفة، وآية الله السبحاني.

وقد سُجّلت بعض المناقشات لبعض الآراء، كما في رأي الأستاذ الرفيعي في تفصيله بين التفسير الإفراطي وغير الإفراطي، حيث لوحِظ أنه لا يمكن الإستغناء عن أيّ نوع من الأنواع المذكورة، فكلّ من الأقسام المذكورة مكمّل للأخرى، وعدم الإنتباه إلى هذا الأمر يؤدي إلى الوقوع في التفسير بالرأي.

الأسئلة:

١. اذكر أهمّ الآراء في التفسير العلمي؟

٢. مَن هم أهمّ القائلين بالتفصيل في التفسير العلمي؟

٣. ما هو دليل القائلين بعدم صحّة طريقة التطبيق؟

٤. ما هو المقصود من التفصيل بين استخدام العلوم القطعية وغير القطعية؟

٥. بيّن النظرية القائلة بالتفصيل بين النسبة الإحتمالية والقطعية؟

٦. ما هو الفرق بين تحميل النظريات على القرآن واستخدام العلوم في فهم القرآن؟

الدرس السادس عشر: شروط المفسر العلمي

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على شروط المفسّر العلمي.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على الشروط العامة - الضرورية والكمالية - لمفسر القرآن (المفسر التقليدي).

٢. التعرف على الشروط التخصصية للمفسر العلمي.

المحتوى العلمي(٣٦)

المفسر هو الشخص الذي يسعى إلى استنباط معاني الآيات وليتوصل إلى درك المراد الإلهي من النصوص القرآنية، معتمدا في ذلك على المصادر والشواهد والقرائن المعتبرة والأسلوب الصحيح في التعامل معها.

---

(٣٦) هذا الدرس مستل من كتاب أصول وقواعد التفسير (منطق تفسير القرآن١)، ومن كتاب القرآن والعلوم، للدكتور رضائي اصفهاني.

وبناء على هذا لا بدّ أن يكون ذا تخصص كاف في العلوم، ولديه المعلومات اللازمة، ويمتلك روحية وأخلاقا مناسبة حتى يتمكن من تقديم تفسير معتبر، وإلّا سيكون تفسيره بالرأي أو يقدم تفسيرا غير معتبر.

وقد توصّل المحققون في العلوم القرآنية منذ القديم إلى ضرورة هذا الأمر وأحصوا شروط مفسر القرآن؛ من بينهم الطوسي (م ٥٤٨ق) في مقدمة مجمع البيان، والسيوطي (م ٩١١ق) في الإتقان في علوم القرآن، فذكر السيوطي من شروط المفسر إطلاعه على العلم باللغة والصرف والنحو والتصريف والإشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات وأصول الدين وأصول الفقه والناسخ والمنسوخ والفقه والأحاديث وعلم الموهبة[٣٧].

وتناول بعض المحققين المعاصرين هذه الشروط؛ منهم الشيخ جعفر السبحاني في التفسير الصحيح للآيات المشكلة في القرآن[٣٨]، وكامران ايزدي في شروط وآداب تفسير ومفسر، وبابائي وآخرون في منهج تفسير القرآن[٣٩]، والمؤلف في المدخل إلى التفسير العملي للقرآن[٤٠].

تقسيمات شروط المفسر

توجد شروط عامة للمفسر التقليدي وشروط خاصة للمفسر العلمي، وشروط المفسر قابلة للتقسيم من جهات مختلفة، فيمكن تقسيمها إلى

(٣٧) أنظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٣٥٩، ٣٦١.

(٣٨) تفسير صحيح آيات مشكلة قرآن.

(٣٩) روش شناسي تفسير قرآن.

(٤٠) درآمدي بر تفسير علمي قرآن.

الشروط العلمية والعملية والأخلاقية والنفسية (الروحية)، وكذلك يمكن تقسيمها إلى شروط ضرورية (شروط تحقق التفسير) وغير ضرورية (شروط كمال التفسير).

الأول: الشروط العامة لمفسّر القرآن

المقصود من شروط المفسر هنا - التي يرتبط الكثير منها بمبحث مصادر وأصول التفسير - هو تحقق الحد الأدنى من الشروط، التي تمكّنه من تبيين المعاني والمراد الإلهي (التفسير الظاهري للآيات). ومن هنا نحن نميّز بين الشروط الضرورية واللازمة في التفسير والمفسر، وبين شروط كماله.

أ. الشروط الضرورية

وهي الشروط الدخيلة في تحقق التفسير، التي لا يتمكن المفسر عملياً من تقديم تفسير معتبر بدونها.

١. الإطلاع على اللغة العربية وآدابها (الصرف والنحو والمعاني وغيرها)؛ وقد بين في المصادر التفسيرية دور ذلك في التفسير وفصل الكلام فيها.

٢. معرفة علوم القرآن؛ وبالخصوص مباحث المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وتاريخ القرآن والقراءات.

بالطبع أن لكل مبحث من هذه المباحث - وبالخصوص القراءات - تأثيرا في التفسير، كما له شروط خاصة ونكات لطيفة قد بينت في قسم مصادر التفسير أو في مبحث قواعد التفسير.

٣. المعلومات التاريخية والجغرافية؛ لمعرفة أسباب النزول ومواضع نزول الآيات وتاريخ القرآن وتاريخ عرب الجاهلية وصدر الإسلام. والإطلاع كذلك على الكتاب المقدس؛ التوراة، والإنجيل وملحقاتهما. ولكل مورد من هذه الموارد مصادر وشروط وضوابط.

٤. العلم بأصول الفقه؛ فهذا العلم يبين بالحقيقة الضوابط والقواعد التي يتمكن بواسطتها الإستنباط من النص، من هنا استخدم في فهم النص القرآني والروائي.

فكما أن علم الفقه يعدّ مقدمة لعلم التفسير فكذلك علم أصول الفقه، بل لا يمكن فهم القرآن وتفسيره دون العلم بقواعد العام والخاص والمطلق والمقيد، ودراسة المباني المهمة مثل حجية الظهور، وغيرها من المطالب والأبحاث التي تطرح في علم أصول الفقه، وسنبيّن الكثير من هذه القواعد في مبحث قواعد التفسير.

٥. معرفة علم الفقه؛ إذ يحتوي القرآن على عدد كبير من آيات الأحكام (قيل عددها يبلغ من ٥٠٠ إلى ألفي آية)[٤١] ولفهم هذه الآيات وتفسيرها نحتاج إلى علم الفقه، حيث يتم بواسطة علم الفقه استنباط الأحكام الإلهية من مصادرها المعتبرة (القرآن والسنّة والعقل).

ولا نقصد أن الإجتهاد المطلق شرط للتفسير، ولكن العلم بطريقة الإستنباط الفقهي على حد الإجتهاد المتجزئ ضروري للمفسر إلا إذا لم يرد المفسر تقديم رأيه النهائي في خصوص آيات الأحكام ويكتفي

---

(٤١) أنظر: فقه القرآن، فاكر الميبدي: ٣٧.

بنقل أقوال المفسرين والفقهاء، ولعل هذا هو سبب حذف بعض المعاصرين هذا الشرط من شروط المفسر(٤٢).

٦. معرفة علوم الحديث؛ تعدّ سنة النبيﷺ وأهل بيتهعليهم السلام من مصادر التفسير، وظهرت على مرور الزمن علوم ذات صلة وثيقة بالحديث، مثل علم الرجال والدراية وفقه الحديث، والتي لها تأثير كبير في فهم وتقييم السنّة؛ فبما أن السنة مفسرة للقرآن، وهذه العلوم لها دور في فهمها وتفسيرها، فصار العلم بها لازما على المفسر حتى يتمكن عند اللزوم من تقييم سند الحديث ومتنه.

٧. معرفة المفسر بمصادر التفسير والقدرة على تقييمها علميا، بنحو يستطيع تشخيص المصدر المعتبر منها من غير المعتبر.

٨. معرفة مناهج تفسير القرآن؛ فلزاما على المفسر - حتى يقوم بالتفسير - أن يعرف منهج تفسير القرآن بالقرآن ومنهج التفسير الروائي والعقلي والعلمي والإشاري (الباطني)، وبعبارة أخرى أن يعرف منهج التفسير الإجتهادي الجامع حتى يتمكن من الأساليب الصحيحة في التفسير ويبتعد عن الأساليب المؤدية في النهاية إلى التفسير بالرأي(٤٣).

---

(٤٢) أنظر: تفسير صحيح آيات مشكلة قرآن (التفسير الصحيح للآيات المشكلة للقرآن)، السبحاني: ٢٩٢.

(٤٣) للتعرف على مناهج التفسير راجع: منطق تفسير القرآن (٢)؛ و: روشها **وگرايشهاي** تفسير قرآن (المناهج والاتجاهات التفسيرية)، للمؤلف؛ وكذلك: مباني وروشهاي تفسير قرآن (أصول ومناهج تفسير القرآن)، عميد الزنجاني؛ و: روشهاي تفسير قرآن (المناهج التفسيرية للقرآن)، مؤدب؛ و: روشهاي تفسيري (المناهج التفسيرية)، علوي مهر.

٩. العلم بالأصول المبنائية (الأصول الموضوعة) للتفسير، والإلتفات إليها عند التفسير. وقد مضى الحديث عنها في المباحث السابقة.

١٠. العلم بقواعد التفسير وتطبيقها وكيفية استخدامها فيه؛ إذ إن عدم أخذ المباني وقواعد التفسير بنظر الإعتبار سيؤدي إلى عدم تحقق التفسير أو تقديم تفسير ناقص غير معتبر.

١١. الحياد العلمي، واجتناب الأحكام المسبقة والفرضيات غير الضرورية (اجتناب التفسير بالرأي).

على مفسّر القرآن أن يتبع القرآن، لا رأيه الشخصي الذي اختاره مسبقاً؛ يعني على المفسر أن يأخذ عقائده من القرآن لا أن يقوم بتحميل القرآن معتقداته المسبقة بعنوان فرضيات ذهنية، حيث إنه في هذه الصورة سيبتلى بالتفسير بالرأي الذي هو من الذنوب الكبيرة[٤٤]. والعلّامة الطباطبائي يسمي هذا الأسلوب بالتطبيق لا التفسير[٤٥]، كما أكد بعض المعاصرين كذلك على حياد المفسر[٤٦].

ملاحظة: يرتبط الكثير من هذه الشروط بمبحث مصادر وأصول التفسير ويكفي معرفة المفسر واطلاعه الإجمالي عليها، بأن يكون عالما بها بالقوة ويمكنه عند اللزوم الرجوع إلى مصادرها وتحصيل العلم التفصيلي بها بالفعل. من باب المثال: ليس من الضروري أن تكون كل

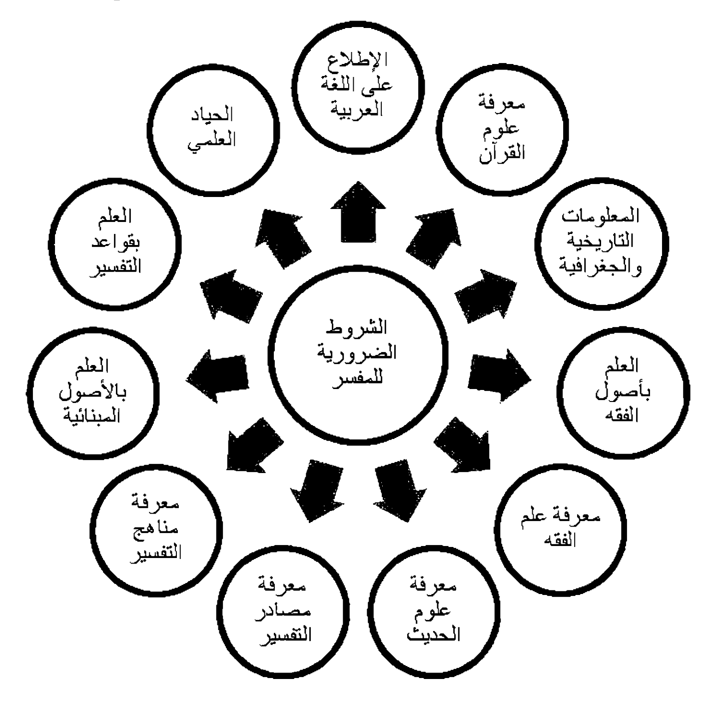
---

(٤٤) نقل عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام أحاديث عديدة في المنع من التفسير بالرأي. راجع: سنن الترمذي: ٥/ ١٩٩؛ و: بحار الأنوار: ٨٩/ ١٠٧.

(٤٥) الميزان: ١/ ٤، مقدمة.

(٤٦) روش شناسي تفسير قران (منهج تفسير القرآن)، بابائي وآخرون: ٣٨١.

جزئيات الأدب العربي وعلوم القرآن والحديث والمطالب التاريخية وهكذا مسائل الفقه والأصول حاضرة في ذهن المفسر، بل يكفي الإطلاع على الكليات والضوابط والمصادر وكيفية الرجوع إليها.



الشروط الضرورية للمفسر

ب. الشروط الكمالية

إن بعض الشروط ليس لها دور في أصل وجود التفسير؛ اي أن المفسّر يمكنه أن يقدم تفسيرا مهما كانت قيمته العلمية، أما هذه الشروط الكمالية فدورها يكمن في الإتيان بتفسير كامل عميق ومؤثر، اي يمكن للمفسر بواسطتها من الإتيان بأعلى حد من التفسير، أو يقرب منه.

١. الإطلاع على علم أصول الدين؛ يسمّى الإطلاع على أبحاث الرؤية الكونية الإسلامية ومعرفة العقائد الصحيحة حول الله تعالى والنبوة

والمعاد - والإمامة والعدل عند الشيعة - علم أصول الدين. واصطلاحاً يطلق عليه علم الكلام أو العقائد والرؤية الكونية في عالمنا المعاصر.

٢. الإيمان؛ يذكر الطبري هذا الشرط في أوائل تفسيره[٤٧]، ويرى بعض العلماء المعاصرين وجوبه في المفسّر وقالوا: المفسر الذي هو في صدد فهم القرآن ومراده، إن كان بلا إيمان كامل فلا شكّ بعدم قدرته على أداء رسالة القرآن ودعوته وفهمه بالنحو الصحيح. ثم يستشهد بالآية المباركة ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤٨] قائلا: هكذا القلب الخالي من نور الإيمان والعقل المشوّه بالإنحرافات وآثارها الناتجة عن الشرك وعدم الإيمان لا يمكنه أن يتحرر من قيود تلك الإنحرافات ولا يكون قادرا على منع تسلل الآراء الضالة إلى رأيه ولا يتمكن من نيل مقاصد القرآن بصورة مباشرة حرة[٤٩].

ولكنه شرط غير ثابت، فالإيمان لازم لـ «أ» وموجب لكمال تفسيره، ولكنه غير لازم لـ «ب»، ومثاله: إذا قام غير المسلم المعتدل (دون أن يكون من أهل الفواحش) من غير سوء قصد، بدراسة القرآن والتفاسير مع امتلاكه لكل شروط المفسر، فهل لا يتمكن من فهم ماذا تقول سورة الإيلاف مثلا؟ وما هدفها؟ وأين نزلت؟ وما تفسيرها؟

---

(٤٧) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٢/ ٢٠٠. ينقل عن الطبري انه يقول: اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أوّلاً ولزوم سنة الدين.

(٤٨) البقرة: ٢.

(٤٩) مباني وروشهاي تفسيري (أصول ومناهج التفسير)، الأستاذ عميد الزنجاني: ٢٠٩.

٣. علم الموهبة؛ ذكر بعض المحققين والمفسرين كالراغب الأصفهاني في مقدمة تفسيره[٥٠] والزركشي[٥١] وعبد الرحمن العلك[٥٢] والسيوطي[٥٣] علم الموهبة كأحد شروط المفسر، كما ذهب إلى ذلك بعض المتأخرين أيضا[٥٤]، فذكروه أحيانا بعنوان العلوم الضرورية للمفسر وأحيانا كمصدر للتفسير. ولكن ينبغي الإلتفات إلى أن علم الموهبة إن كان من سنخ الشهود فلا يقبل إلا من المعصومين عليهم السلام[٥٥].

وعرّفه السيوطي بأنه علم يمنحه الله تعالى لأشخاص يعملون بكل ما يعلمون[٥٦]. وذكر أدلة وشواهد على لزوم علم الموهبة؛[٥٧] من بينها قوله تعالى: **﴿لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾**[٥٨] وقوله تعالى: **﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾**[٥٩] وقوله تعالى: **﴿هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ﴾**[٦٠] وبعض الأحاديث، منها: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم[٦١].

---

(٥٠) مقدمة جامع التفاسير: ٦٥.

(٥١) البرهان، الزركشي: ٢/ ٣١٩.

(٥٢) أصول التفسير وقواعده: ١٨٨.

(٥٣) أنظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٢١٣.

(٥٤) أنظر: آداب وشرايط تفسير ومفسران (آداب وشروط التفسير والمفسرين)، ايزدي: ١٧٩؛ و: روش شناسي تفسير قرآن (منهج تفسير القرآن)، بابائي وآخرون: ٢٧٣.

(٥٥) روش شناسي تفسير قرآن (منهج تفسير القرآن)، بابائي وآخرون: ٥- ٢٧٦.

(٥٦) الإتقان، نفس المصدر.

(٥٧) أنظر: الإتقان، نفس الصفحة.

(٥٨) الواقعة: ٧٩.

(٥٩) البقرة: ٢.

(٦٠) لقمان: ٣.

(٦١) بحار الأنوار: ٤٠/ ١٢٨.

٤. ممارسة وتمرين التفسير؛ التفسير كما هو علم فهو فنّ أيضا، فمن جهة كونه علما فهو يحتاج إلى تعليم، فالمفسّر يحتاج إلى تعلّم علوم تمهيدية، ومن جهة كونه فنّا فهو كالسياقة يحتاج إلى تمرين. وعلى المفسر أن يتعرف على تفاسير من قبله وينقد تفسيره، ويستفيد من آراء أهل التخصص في هذا المجال، حتى يتكامل تفسيره ويكون هو مفسر متمكن.

فالتمرين في التفسير يعدّ من شرائط كمال المفسّر، فالإستفادة من تجارب المفسرين وتفاسيرهم في تفسير القرآن الكريم هو أمر مفيد، لكن لا ينبغي أن يكون تقليدا لهم.

ومن المفيد للمفسّر الإلمام بما يلي من العلوم:

١) علم المنطق؛ لمعرفة أسلوب الإستدلال الصحيح.

٢) المدارس الفلسفية الشرقية (كالمشائية والإشراقية والحكمة المتعالية) والغربية.

٣) المدارس الأخلاقية (بالأخص في فلسفة الأخلاق).

٤) المذاهب الحقوقية الرائجة في علم الحقوق.

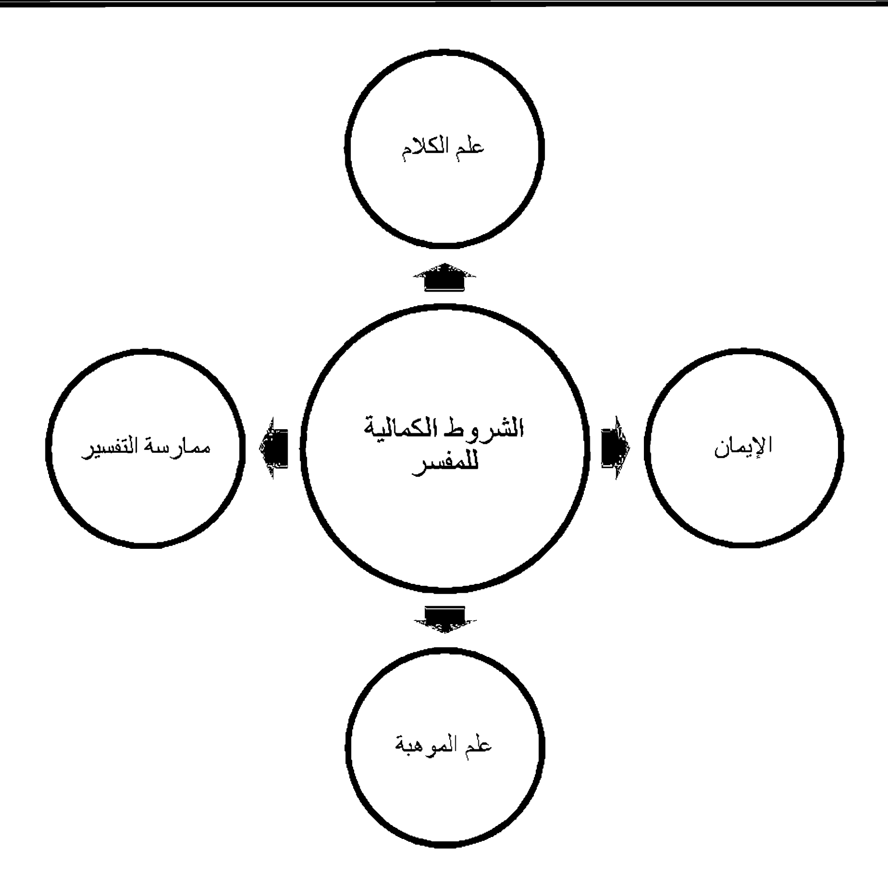
٥) مدارس ومباني علم الإجتماع.

٦) مدارس ومباني علم النفس.

٧) مدارس ومباني علم التربية.

٨) فلسفة العلم ومدارسها.

٩) العلوم الطبيعية، بالأخص الطب والفلك.



الشروط الضرورية للمفسر

الثاني: شروط المفسر العلمي

كما أن تفسير القرآن يحتاج إلى تخصص وشروط في المفسّر، كذلك التفسير العلمي الذي يبحث عن المسائل المشتركة بين القرآن والعلوم تشترط فيه شروط خاصة تخصصية؛ ومن هنا فإن شروط المفسر العلمي تنقسم إلى قسمين عامة وخاصة؛ أشرنا الى العامة بشكل سريع، والذي يهمنا هنا هو الشروط الخاصة نحاول أن نعرضها لكم إن شاء الله تعالى.

الشروط الخاصة في المفسر العلمي:

١. المفسر لا بد أن يتعرف على العلوم التي يبحثها في التفسير العلمي. مثلا إذا أراد أن يعطي تفسيرا حول علم الكواكب، لا بدّ أن يطلع بصورة كافية وصحيحة على علم النجوم.

٢. يلزم المفسر العلمي للقرآن التعرف على علم الفلسفة، ومعرفة النظريات القديمة والجديدة في مجال الكيف وماهية العلم.

٣. يلزم للمفسر العلمي للقرآن التعرف على المباحث النظرية للقرآن والعلوم، من قبيل علاقة القرآن والعلم أو ادعاء تعارض القرآن والعلم وطريق الخروج من هذا الاشكال، سعة وحدود دائرة المعرفة بين القرآن والعلم، أهداف الآيات العلمية وأقسامها، والمفاهيم مثل الإعجاز العلمي والتفسير العلمي وضوابطها.

٤. يلزم لمفسّر القرآن الإطلاع الكامل على طرق المباحث البينية وضوابطها ومراحلها؛ يعني معرفة طرق التفسير الموضوعي ذات التخصصَين وأصوله ومعرفة أضراره.

٥. يلزم لكل مفسر علمي معرفة الطرق المختلفة العلمية (الإستخراج، التحميل، الإستخدام، التنظير) واستخدام النموذج الصحيح في التفسير العلمي.

٦. معرفة الطرق القطعية أو الأمور القطعية في العلوم واستخدامها في التفسير العلمي، والإبتعاد عن المعلومات الظنية والإحتمالية أو حتى القطعية غير المستقرة وغير المشهورة.

٧. الإحتياط في نسبة الأمور العلمية للقرآن - نظرا إلى عدم ثبات النظريات في مجال العلوم - وتجنّب تحميل النظريات العلمية على القرآن. لذا فمن المهم وجود روحية النقد في المجال العلمي.

الشروط الخاصة في المفسر العلمي
١. التعرف على العلوم التي يبحثها في التفسير العلمي
٢. التعرف على علم الفلسفة
٣. التعرف على المباحث النظرية للقرآن والعلوم
٤. الإطلاع الكامل على طرق المباحث البينية وضوابطها ومراحلها
٥. معرفة الطرق المختلفة العلمية واستخدام النموذج الصحيح
٦. استخدام المعلومات القطعية، والإبتعاد عن المعلومات الظنية وغير المستقرة وغير المشهورة
٧. الإحتياط في نسبة الأمور العلمية إلى القرآن، والتجنب من تحميل النظريات العلمية عليه

الشروط الخاصة في المفسر العلمي

خلاصة الدرس السادس عشر:

من أهمّ الأمور التي تعلّمناه من هذا الدرس:

الأول: الشروط الخاصة في المفسر العلمي، التي هي:

- التعرف على العلوم التي يبحثها في التفسير العلمي.
- التعرف على علم الفلسفة.
- التعرف على المباحث النظرية للقرآن والعلوم.
- الإطلاع الكامل على طرق المباحث البينية وضوابطها ومراحلها.

- معرفة الطرق المختلفة العلمية واستخدام النموذج الصحيح.
- استخدام المعلومات القطعية، والإبتعاد عن المعلومات الظنية وغير المستقرة وغير المشهورة.
- الإحتياط في نسبة الأمور العلمية إلى القرآن، والتجنب من تحميل النظريات العلمية عليه.

الثاني: شروط المفسّر العامّة والتي يمكن التعرّف عليها من حيثيات وجهات مختلفة:

- قد تقسّم إلى الشروط العلمية والعملية والأخلاقية والنفسية (الروحية).
- وكذلك يمكن تقسيمها إلى شروط لازمة (شروط تحقق التفسير) كالإطلاع على اللغة العربية وآدابها، ومعرفة علوم القرآن وهلمّ جرا، وشروط كمالية (شروط كمال التفسير) كالإطلاع على علم الكلام، والإيمان، وممارسة التفسير وغيرها.
- وقد تقسّم إلى شروط عامة للمفسر التقليدي، وشروط خاصة للمفسر العلمي.

الأسئلة:

١. اذكر خمسة من الشروط الضرورية للمفسّر؟
٢. ما هي الشروط الكمالية للمفسّر؟
٣. اذكر أربعة من الشروط الخاصة في المفسر العلمي؟
٤. ما هو المراد من الحياد العلمي في الشروط الضرورية للمفسر؟
٥. ما المقصود من العلم بالأصول المبنائية في الشروط الضرورية للمفسر؟

الدرس السابع عشر: أهم التفاسير التي عنيت بالمنهج العلمي

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على أهم التفاسير التي عنيت بالمنهج العلمي.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعريف بأهم المفسرين بالمنهج العلمي وأسلوبهم.

٢. التعرف على نقاط القوة والضعف في تلك التفاسير ونقدها.

المحتوى العلمي

من أهمّ الكتب التي ظهرت فيها هذه النزعة التفسيرية:

أوّلاً: كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية؛ للطبيب الفاضل محمد بن أحمد الإسكندراني.

وهو أحد رجال القرن الثالث عشر الهجري، برع في الطب الروحاني والجسماني، وكانت له علاقة شديدة في دفع شبهات الأجانب التي كانت تثار ضد الدين، وكان له إلمام بالعلوم الحديثة التي كانت معروفة على عهده، من الطب والصناعة والعلوم الطبيعية والكيمياء وطبقات الأرض

والحيوان والنبات، ومن ثمّ حاول إثبات أن لا منافاة بين الدين والعلم، بل أن أحدهما ليكمّل الآخر ويؤيّده. توفي سنة ١٣٠٦هـ.

وكتابه هذا من أوّليات الكتب التي ظهرت في هذا الشأن، وهو كتاب كبير الحجم، يقع في ثلاثة مجلدات، لكن من غير أن يستوعب جميع آي القرآن، سوى ما يتعلق بموضوع دراسته الخاصة. بحث في الجزء الأول عن الحياة وخلق الأحياء في الأرض، وفي الجزء الثاني عن الأجرام السماويّة وعن مظاهر الكون في الأرض والسماء، وفي الجزء الثالث عن أسرار النباتات والمعادن، وما إلى ذلك.

وقد ذكر الإسكندراني في هذا الكتاب أن القرآن يحتوي على علوم جمّة؛ وعلى وما جدّ من نظريات علميّة تؤيد إعجاز القرآن ويثبت أن عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بيّنه القرآن في صورة حقائق الكون وخلق الحيوان وأسرار النباتات والمعادن.

وأبان في المقدمة غرضه من هذا التأليف، قائلا: وكنت منذ زالت عني تمائم الطفولية، ونيطت بي عمائم الرجولية، ممن شغف بتعلم الطب ليالي وأياما، أنهمك في دراسته على قدر الطاقة سنين وأعواما، ثم أقمت بدمشق الشام معتنيا بمداواة أهلها الأماثل الأعلام، إلى أن اجتمعت في محفل سنة ١٢٩٠هـ كان حافلا ببعض الأطباء المسيحيّين، فشرعوا يتحادثون في كيفية تكوّن الأحجار الفحميّة، وفي أنها هل أشير إليها في التوراة والإنجيل أم لا، فلم يحصلوا على شيء، لا صريحا ولا إشارة، ثم وجّهوا إليّ السؤال عن القرآن الكريم؛ هل فيه إشارة إلى ذلك؟ فتصدّرت للجواب وتلطّفت في التفهيم والخطاب - قدر طاقتي

ووسعي - وتتبّعت كلام كثير من العلماء، وتفرّدت في طلبه من كتب التفسير والطب، مع زيادة الإجتهاد.

وهو كتاب لطيف في بابه، طريف في أسلوبه، اعتمد فيه آراء القدماء والمحدثين، وجدّ في ذلك حسب إمكانه، وأفاد، جزاه الله خيرا.

وهناك مختصرات كثيرة في هذا الشأن جرت على نفس المنوال، فهناك الأطباء والمهندسون وعلماء اختصاصيون كانت لهم عناية بالدين وبالقرآن الكريم، حاول كلّ - حسب وسعه وطاقته العلمية - في الإبانة عن وجه إعجاز القرآن، من ناحية اختصاصه. والكتب والرسائل من هذا القبيل كثيرة ومنبثّة، ربّما تفوق الحصر، ولا تزال تزداد حسب اطّراد الزمان.

وفي العلماء الدينيين أيضا كثير ممن قام بهذا الأمر، وكتب في جوانب علمية من القرآن الكريم، أمثال العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني المتوفى سنة ١٣٨٦هـ، قام بتأليف رسالة يقارن فيها بعض مسائل الهيئة والفلكيات حسب إشارات جاءت في الشريعة وفي نصوص القرآن الكريم. طبعت طبعتها الأولى في بغداد سنة ١٣٢٨هـ، وترجمت عدة ترجمات منها بالفارسية، مما يدل على إعجاب العلماء بهذا الكتاب.

ورسالة الأستاذ عبد الله باشا فكري في مقارنة بعض مباحث الهيئة. طبعت بالقاهرة سنة ١٣١٥هـ.

ورسالة السيد عبد الرحمن الكواكبي، وهي عبارة عن مجموعة مقالات له، نشرها في بعض الصحف عند ما زار مصر سنة ١٣١٨هـ، ثم جمعت ضمن كتاب باسم طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد.

ورسالة إعجاز القرآن للأستاذ مصطفى صادق الرافعي، عقد فيه بحثا عن القرآن والعلوم.

ورسالة الأستاذ رشيد رشدي العابري، مدرس الجغرافية في ثانوية التفيّض ببغداد، قام بنشرها سنة ١٩٥١م.

ورسائل من هذا القبيل مبثوثة فوق حد الإحصاء.

هذا، وأكثر علماء العصر الحديث نزعة إلى التفسير العلمي، وأكبرهم إنتاجا هو الشيخ طنطاوي جوهري؛ فإنه أكثر من جمع في هذا المجال وأطال في تفسيره الجواهر، وربما أسهب بما يخرجه عن طور التفسير أحيانا. يقع في خمسة وعشرين جزءا، وألحقه بجزء آخر هو المتمم للجزء السادس والعشرين. وإليك بعض الكلام عن هذا التفسير العجيب.

ثانيا: الجواهر في تفسير القرآن الكريم؛ للطنطاوي.

هو الشيخ طنطاوي بن جوهري المصري. توفي سنة ١٣٥٨هـ. وهو أول من فسّر القرآن الكريم في ضوء العلم الحديث - كما يعتبر تفسيره هذا أطول ما في هذا الشأن -، ومن قبله محمد أحمد الإسكندراني، ولكنه بصورة غير شاملة، وكذلك جاء بعده محمد عبد المنعم الجمال مفسرا للقرآن بطريقة علمية حديثة في صورة أوجز، حسبما يأتي.

ويرى الشيخ الجوهري أن معجزات القرآن العلمية لا زالت تنكشف يوما بعد يوم، كلما تقدمت العلوم والإكتشافات، وأن كثيرا من كنوز القرآن العلمية ما زالت مذخورة، يكشف عنها العلم شيئا فشيئا على مرّ العصور.

والشيخ الجوهري كان منذ صباه مولعا بهكذا كشائف علمية دينية، مغرما بالعجائب الكونية، معجبا بالبدائع الطبيعية، مشوّقا إلى ما في السماء والأرض من جمال وكمال وبهاء.

وقال في مقدمة تفسيره: لمّا تأملت الأمّة الإسلامية وتعاليمها الدينية، ألفيت أكثر العقلاء وبعض أجلة العلماء عن تلك المعاني معرضين، وعن التفرّج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم من فكر في خلق العوالم وما أودع فيها من الغرائب. فأخذت أؤلّف كتبا لذلك شتّى، ك: نظام العالم والأمم، وجواهر العلوم، والتاج المرصّع، وجمال العالم، والنظام والإسلام، ونهضة الأمة وحياتها، وغير ذلك من الرسائل والكتب، ومزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وجعلت آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنع(٦٢).

لكنه وجد أن هذه الكتب رغم كثرتها وانتشارها وترجمتها إلى اللغات الأخرى كالأوردية والقازانية الروسية لم تشف غليله، فتوجّه إلى الله أن يوفّقه إلى تفسير القرآن تفسيرا ينطوي على كل ما وصل إليه البشر من علوم، فوفّقه الله لتحرير هذا التفسير الجليل.

ومفسرنا هذا يقرّر في تفسيره أن في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، في حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية(٦٣).

ونجده كثيرا ما يهيب بالمسلمين أن يتأمّلوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون، ويحثهم على العمل بما فيها، ويندّد بمن يغفل هذه الآيات على كثرتها، وينعى على من أغفلها من السابقين الأوّلين.

---

(٦٢) الجواهر في تفسير القرآن: ١/ ٢.

(٦٣) الجواهر في تفسير القرآن: ١/ ٣.

منهج المؤلف في التفسير

إنه يذكر الآيات فيفسّرها أوّلاً لفظيا مختصرا، لا يكاد يخرج بذلك عمّا في كتب التفسير المألوفة، لكنه سرعان ما يخلص من هذا التفسير الذي يسمّيه تفسيرا لفظيا ويدخل في أبحاث علمية مستفيضة، يسمّيها لطائف أو جواهر. هذه الأبحاث عبارة عن مجموعة آراء علماء الشرق والغرب في العصر الحديث، ليبين للمسلمين وغيرهم أن القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث، ونبّه على تلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء. ونجده يضع لنا في تفسيره كثيرا من صور النباتات والحيوانات ومناظر الطبيعة وصور تجارب العلوم، بقصد أن يوضّح للقارئ ما يقول، توضيحا يجعل الحقيقة أمامه كالأمر المشاهد المحسوس، ولقد أفرط في ذلك وجاز الحدّ المجاز.

ومما يؤخذ عليه، أنه قد يشرح بعض الحقائق الدينيّة بما جاء عن أفلاطون في جمهوريّته، أو بما جاء عن إخوان الصفا في رسائلهم، وهو حين ينقلها يبدي رضاه عنها وتصديقه بها، في حين أنها تخالف في ظاهرها ما عليه أصحابه السلفيّون الأشاعرة[٦٤]. هذا التفسير أحد التفاسير التي كتبت بالإتجاه العلمي المفرط، فقد بيّن المؤلف منحاه التفسيري في مقدماته القصيرة، واضعاً الآية الشريفة: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾**[٦٥]، فيشير أن القرآن يدعو إلى العلوم المختلفة

---

(٦٤) الأمر الذي جعل الحكومة السعودية أن أصدرت الأمر بمصادرة الكتاب وعدم السماح بدخوله إلى الحجاز. يجد القارئ ذلك في نص الكتاب المرسل من المؤلف إلى الملك عبد العزيز آل سعود، في الجزء ٢٥، ص٢٣٨.

(٦٥) النحل: ٨٩.

السماوية والأرضية، ومن جملة ذلك الزراعة والطب والمعادن والحساب والهندسة والفلك وغيرها[٦٦]. ولهذا السبب هو يرى أن في القرآن ٧٥٠ آية لها علاقة بالعلوم التجريبية، والحال أن الآيات المرتبطة بالفقه لا تتجاوز ١٥٠ آية، ثمّ إنه يزعم بأن الموضوعات التي يطرحها هي إلهام وإشارات قدسيّة[٦٧].

كما أن المؤلف من بداية تفسيره سورة الفاتحة يطرح الموضوعات العلمية التي أخذها عن علماء العلوم التجريبية في الغرب.

وأما أسلوبه العملي في التفسير، فهو يقوم على أساس تصنيف السورة إلى أبواب، ثمّ فصول، ثمّ إلى عدّة مقاصد، وبعد ذلك يشرع بالعمل مع كلّ مقصد، فيذكر الآية ويفسّرها لفظيا ويعطي معانيها، ثمّ يبيّن الغرض من الآية كذلك، ثمّ يطرح الموضوعات المرتبطة بالعلوم المختلفة التي هي أعمّ من النقل والعقل والتجربة، ويوضحها، وأحيانا يطيل في الشرح إلى الحدّ الذي يتعب القارئ.

ويعتبر الطنطاوي أكثر الأشخاص تطرّفاً بين المعتقدين بالتفسير العلميّ للقرآن الكريم، فقد بذل جهدا كبيرا لأجل تطبيق القضايا العلمية المعاصرة على الآيات القرآنية، ويعتقد أن جميع العلوم - حتّى علم تحضير الأرواح - لها وجود في القرآن كذلك، وقد سعى المؤلف إلى المزج والربط بين آيات القرآن وازدهار الطبيعة والصناعة والعلوم الحديثه[٦٨].

---

(٦٦) الجواهر: ١/ ٣.

(٦٧) المصدر.

(٦٨) الجواهر في تفسير القرآن: ١/ ٢.

وهكذا نراه قد يستخرج كثيرا من علوم القرآن بواسطة حساب الجمل، الذي لا نكاد نصدّق بأنه يوصل إلى حقيقة ثابتة. قال الذهبي: وإنما هي عدوى تسرّبت من اليهود إلى المسلمين، فتسلّطت على عقول الكثير منهم.

هذا، وإنا نجد المؤلف يفسّر آيات القرآن تفسيرا يقوم على نظريات علمية حديثة، غير مستقرة في ذاتها، ولم تمض فترة التثبّت منها، وهذا ضرب من التكلف ارتكبه المؤلف، وهوما إن لم يكن يذهب بغرض القرآن أحيانا، فلا أقلّ من أن يذهب بروائه وبهائه.

وتكفيك مراجعة عابرة إلى هذا التفسير لكي تعرف مغزى هذا النقد الخطير، فقد أتى الذهبي بنماذج من هذا النمط العليل، واستنتج أخيرا أن الكتاب في ذاته موسوعة علمية، ضربت في كل فن من فنون العلم بسهم وافر، مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الإمام الرازي؛ إذ قيل عنه: "فيه كل شيء إلّا التفسير"، بل هو أحقّ من تفسير الرازي بهذا الوصف وأولى به. وإن دلّ الكتاب على شيء، فهو أن المؤلف إنما يحلّق في أجواء خياله، ويسبح حسب زعمه في ملكوت السماوات والأرض، ويطوف في نواح شتّى من العلم بفكره وعقله، ليجلّي للناس آيات الله في الآفاق والأنفس، وليظهر لهم أن القرآن قد جاء بكلّ ما جاء به الإنسان من علوم ونظريات، تحقيقا لقوله تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾(٦٩)، ولكن هذا خروج بالقرآن عن قصده، وانحراف به عن هدفه، ولعله إطاحة بشأنه في كثير من الأحيان. ويبدو من خلال

---

(٦٩) الأنعام: ٣٨.

التفسير أنه لاقى الكثير من لوم العلماء على ما سلكه في تفسيره، ولم تلق هذه النزعة التفسيرية قبولا لدى كثير من المثقّفين.

ثالثاً: التفسير الفريد؛ للفقيه محمد عبد المنعم الجمال.

ويتلو تفسير الجواهر تفسير علمي آخر أوجز منه، هو التفسير الفريد تأليف العالم الفقيه محمد عبد المنعم الجمال، من مفسّري القرن الرابع عشر. تفسير تحليلي موجز، شامل لجميع آيات القرآن. اهتم مؤلفه بالتوفيق بين الدين والعلم، وأن يفسّر القرآن على ضوء العلم الحديث، مسترشدا في ذلك بأبحاث من العلماء والمفسرين، من دون بسط واستطراد.

يقول في المقدمة: في سنة ١٩٤٩م اجتمعت في مدينة لندرة ببعض الإنجليز الذين أسلموا حديثا، وكانوا يلحّون عليّ في أن أوافيهم ببعض التفاسير القرآنية، فاضطررت إلى اقتناء بعض الكتب التي اهتمت بترجمة وتفسير الآيات القرآنية. وقد لاحظت على كثير منها، أنها لا تستجلي معاني القرآن أو لا تستوعب النواحي العلمية. فسألت الله أن يوفقني إلى تفسير كتابه على ضوء العلم الحديث.

ثم بيّن معيار التوفيق بين الدين والعلم، وحدوده قائلا: ولا مشاحّة في أن العلوم مهما تقدّمت فهي عرضة للزلل، فينبغي أن لا يطبّق على آياته الكريمة إلّا ما يكون قد ثبت منها قطعيا. وكلّ نظرية علمية تختلف مع آية من آي الذكر الحكيم، لا بدّ أنها لم تصل بعد إلى سبر غور الحقيقة. فلا زالت معجزات القرآن الكريم يكشفها العلم، ولا زالت العلوم كلما تقدمت تجلو الغشاوات التي تحجب النور عن عيون الغافلين.

هـذا، وقـد سـلك المؤلـف فـي تفسـيره المسـلك العلمـي الإجتمـاعي، الملائم للثقافة العربية في وقته، بما يتيسر للناشئة من الشباب المثقّف التعـرف إلـى ديـن الإسـلام، والوقـوف علـى أسـرار القـرآن وعظمتـه. وهـو تفسير جيّد في ذاته، سهل التنـاول لـذوي الثقافات المختلفـة، خـال عـن الإطالة والاستطرادات المملّة، جزى الله المؤلف خيرا. والتفسير يقع في أربعة مجلدات، وطبع في القاهرة سنة ١٩٧٠م، (١٣٩٠هـ)(٧٠).

رابعاً: تفسير القرآن؛ للشعراوي.

حياة المؤلف

هو فضيلة الشيخ الفقيه محمد متولي الشعراوي، أحد العلماء في اللغة العربيـة ومفسّـر للقـرآن الكـريم فـي وقتنـا الحاضـر. عيّـن وزيـرا للأوقـاف وشـؤون الأزهـر عـام ١٩٧٦ ومكث بـالوزارة عـامين ثـم استقال. عيّـن عضـوا بمجمع البحوث الإسلامية ومجلس الشورى. اختير عضوا بالهيئة التأسيسية لـرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. توفي سنة ١٩٩٨.

تعريف عام

تفسـير بأسـلوب فريـد جـذب قلـوب الخاصـة والعامـة، الـذي انفـرد بالتنـاول وأسـلوب العـرض مـن خـلال مراعـاة حاجـات المسـلم العـادي والنهـوض بـه ليعـرف كتابـه وعظمـة هـذا الـدين، فهـو تفسـير غيـر شـامل لجميع آيات القـرآن بـاللون التربـوي والإصـلاحي، ولا يسـمّى عنـوان كتابـه

---

(٧٠) استل هذا المبحث من كتاب الاستاذ الشيخ محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٤٥- ٤٥١.

باسم التفسير، بل يعرّفه بعنوان خواطر الشعراوي. كما أنه اهتم بالكشف عن جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، سواء البلاغي أو الغيبي أو العلمي أو غيرها.

وكتابه يقوم على دعامتين:

الدعامة الأولى: الإعتماد على الإسلام باعتبار أنه وسيلة الإصلاح لما لحق بالمسلمين من تردّ،وخاصة في مجال الإعتقاد والفكر.

والدعامة الأخرى: العصرنة، التي يميّز بها منهجه في تفسير كل آية بل كل كلمة بل كل حرف من القرآن الكريم، في قبال ما يستفاد من الحضارة الغربية.

ومن جهة أخرى، كان الشعراوي يهتمّ بتثبيت الترابط بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية، ويعتقد أن كل نظرية علمية لا تتوافق مع القرآن الكريم فإنها ليست صحيحة ناهيك عن عدم كونها حقيقة علمية، فإنها حينئذ لا تتعارض أبداً مع آيات القرآن الكريم.

وعدد مجلدات التفسير وصل إلى تسعة وعشرين جزءا إلى سورة النساء آية ٥٧، وطبعت أجزاء أخرى بصورة متفرقة وفي المجلات والصحف وبصورة مختارة من أواخر سور القرآن. ووصلت طبعة أخرى إلى سورة هود في تسعة عشر مجلدا.

قد ابتدأ بمقدمة في عظمة القرآن وفضله وتاريخه وإعجازه وتحدّيه، وقال الشعراوي في وصف تفسيره: خواطري حول القرآن الكريم لا تعني تفسيرا للقرآن، وإنما هي هبات صفائية تخطر على قلب مؤمن في آية أو بضع آيات.

منهجه

وطريقته في التفسير بعد ذكر المقدمة وبيان معنى الإستعاذة وترتيب نزول القرآن، أنه يبدأ بذكر معنى السورة والحكمة في معناها وترتيبها - في الإطار العام الذي يتعقبه في السورة - والإستفادة من الآيات المرتبطة بالآية في معنى الآية، ولهذا كان ممّن يفسر الآيات القرآنية بالقرآن، وأمثلته كثيرة لا تحتاج إلى ذكر مثال.

يهتم الشيخ باللغة العربية، ويعتقد بأن القرآن الكريم وحدة متماسكة، ولهذا يربط في تفسيره بين الآيات القرآنية المتشابهة أو التي تتكلم عن أمر واحد، وقد يرى أن في بعض السور وحدة كاملة.

وكذا نجد الشيخ يفنّد افتراءات المشركين المضلين ويبيّن كذبهم وإضلالهم في بيان شيق يثير الأذهان ويشحذ الأفكار.

والشعراوي كان ممن يهتم بالإعجاز العلمي في هذا الزمان، ويربط دائماً بين الآيات القرآنية والعلوم الحديثة، ولهذا ألف كتابا خاصا في معجزة القرآن الكريم (ثلاثة مجلدات) وبيّن أن الإعجاز العلمي في القرآن هو أبرز وجوه الإعجاز لأهل هذا الزمان يفوق الوجوه الأخرى، لكنه لا يعلق القرآن بالنظريات العلمية، بل يعتقد أن القرآن ليس كتاب علم، بل أنه كتاب عبادة وهداية ومنهج للبشر، وأن سبحانه تعالى وضع في كتابه الكريم من الأمور الغيبية والمعجزات التي فاقت قدرة البشر على مرّ العصور والأزمنة، والتي ردّت كيد الذين يحاربون هذا الدين إلى نحورهم وجعلتهم صاغرين. فإنه بعدما طرح سؤالا في محاولة ربط القرآن بالنظريات العلمية، قال: وهذا أخطر ما نواجهه؛ ذلك أن بعض العلماء في اندفاعهم في التفسير وفي محاولاتهم ربط القرآن بالتقدّم

العلمي، يندفعون في محاولة ربط كلام الله بنظريات علمية مكتشفة. ويثبت بعد ذلك أنها غير صحيحة، وهم في اندفاعهم هذا يتخذون خطوات متسرعة، ويحاولون إثبات القرآن بالعلم، والقرآن ليس في حاجة إلى العلم ليثبت؛ فالقرآن ليس كتاب علم ولكنه كتاب عبادة ومنهج. ولكن الله ﷻ في علمه علم أنه بعد عدة قرون من نزول هذا الكتاب الكريم سيأتي عدد من الناس ويقولون انتهى عصر الإيمان وبدأ عصر العلم، ولذلك وضع في قرآنه ما يعجز هؤلاء الناس ويثبت أن عصر العلم الذي يتحدثون عنه قد بيّنه القرآن كحقائق كونية منذ أربعة عشر قرنا، ولم يكشف العقل البشري معناها إلا في السنوات الماضية.

ومن أبرز ما في تفسيره العناية بحل المشكلات المجتمع الإسلامي في ضوء تفسيره، ومن ثم نجده يحاول إصلاح ما أفسده الدهر في مجتمعه، محاولة منه في علاج ما أصاب المجتمع - خاصة المجتمع الإسلامي - ويتعرض لبعض آفات المجتمع، محاولا تارة وصف العلاج الحقيقي للقضاء عليها، وأخرى وضع الإصلاحات التي يوجه النظر فيها إلى المؤمنين عامة والحكام خاصة.

ومن أمثلة ما يهتم ببيانه في القضايا الإسلامية المعاصرة، مشكلة فلسطين والأراضي المقدسة، والعزو الثقافي، ومسألة الاختلاف بين المسلمين والدعوة إلى وحدة المسلمين، والحفاظ على أسرار أوطانهم وبلادهم، ووجوب انتصار المسلمين في مختلف المعارك في استخلاص أراضيهم.

خامساً: تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان؛ للسير سيّد أحمد خان الهندي.

لقد سعى في جهده لتطبيق الموازين الشرعيّة على النتائج العلمية الحديثة؛ ولكونه متأثرا ومنبهرا بعلوم الغرب، فقد أسّس جامعة وفق هذه الأفكار سنة ١٨٧٥م[٧١]. دعا سير سيّد أحمد خان إلى تأويل الآيات بما يوافق الإتجاه الفكري المعاصر، الذين آل بهم الأمر إلى أن يأوّلوا الآيات المصرّحة بمعاجز الأنبياء، والروح، والجن، والبرزخ، بتأويل يوافق الأسس المادّية والطبيعية. هذه الظاهرة المادية تبرز بوضوح في تفسير السيد أحمد خان[٧٢]. وتوفي سنة ١٨٩٨.



أهم التفاسير العلمية

---

(٧١) تاريخ نهضتهاي ديني اسلامي معاصر: ١٤٣.

(٧٢) مفاهيم القرآن: ٣/ ٤.

نقد التفاسير العلمية

بما أننا ركزنا الضوء على تفسير الجواهر أكثر، فسوف نقدم للطالب عرضا لبعض سلبيات هذا التفسير كنموذج لنقد بقية التفاسير العلمية.

ويمكن ملاحظة تلك السلبيات الموجودة في تفسير الشيخ طنطاوي جوهري بالصور التالية:(٧٣)

١) يفسّر الآيات القرآنية تفسيرا لفظيا مختصرا، ثم سرعان ما ينطلق لذكر أبحاث علمية مستفيضة يسمّيها لطائف أو جواهر، وتلك الأبحاث المستفيضة بطبيعة الحال أفكار علماء الشرق والغرب في عصره، وهو بهذا جعل تفسيره يخرج عن موضوعه الأساسي؛ ألا وهو إظهار معاني القرآن بالطريقة الشرعية. حتى قال بعض نقاده: فيه من كل شيء سوى التفسير.

٢) إيداعه في تفسيره صور النباتات والحيوانات والمناظر الطبيعية وتجاربالعلوم، وهذا ما لا يعهده المسلمون في تفسير القرآن العزيز.

٣) اعتماده في تفسير كثير من الحقائق الدينية التي جاء بها القرآن نقية صافية، على ما جاء عن أفلاطون في نظرياته، وهذا ما لا يجوز شرعا لأن القرآن بحقائقه الثابتة الناصعة بغنى عن أوهام الفلسفة الأفلاطونية.

٤) ركونه إلى تفسيرات الباطنية الباطلة في رسائل إخوان الصفا، فهو حين ينقلها يبدي رضاه عنها وتصديقه بها مع أنها تخالف الثابت من نصوص الكتاب والسنّة.

---

(٧٣) سامي أحمد الموصلي، الأعجاز العلمي في القرآن: ٤٥، دار النفائس، ط١، ٢٠٠١م، بيروت.

٥) استخراجه علوما مزعومة بواسطة حساب الجمل الذي لا يوصل إلى حقيقة ثابتة، وهذه طريقة أخذت عن اليهود، كما أنه يعتمد أوهام تحضير الأرواح التي يقول بها الخرّاصون.

هذه هي مجمل الأمور التي جعلت تفسيره يخرج عن منهج علمائنا الثقات الأثبات في تفسير القرآن الكريم.

السلبيات الموجودة في تفسير الشيخ طنطاوي جوهري:

١. خروجه من موضوع تفسيره بالأبحاث العلمية المستفيضة

٢. إيداعه في تفسيره صور النباتات والحيوانات وغيرها، خلاف ما يعهده المسلمون في تفسير القرآن

٣. اعتماده في تفسير كثير من الحقائق الدينية على ما جاء عن أفلاطون في نظريته

٤. ركونه إلى التفسيرات الباطنية الباطلة في رسائل إخوان الصفا

٥. استخراجه علوما مزعومة بواسطة حساب الجمل الذي لا يوصل إلى حقيقة ثابتة

نقد التفاسير العلمية

خلاصة الدرس السابع عشر:

تعرّفنا مما سبق على عدة أمور:

الأول: أهم التفاسير العلمية:

- كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية
- الجواهر في تفسير القرآن الكريم

- التفسير الفريد
- تفسير القرآن
- تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان.

الثاني: أهمّ المفسرين بالمنهج العلمي:

أ. الطبيب الفاضل محمد بن أحمد الإسكندراني (١٣٠٦هـ).

ب. الشيخ طنطاوي بن جوهري المصري (١٣٥٨هـ).

ج. الفقيه محمد عبد المنعم الجمال.

د. الشيخ الفقيه محمد متولي الشعراوي (١٩٩٨).

ه. السيّد أحمد خان الهندي (١٨٩٨).

الثالث: بعض نقاط الضعف الموجودة في التفاسير العلمية؛ تفسير الشيخ طنطاوي جوهري أنموذجاً:

- خروجه من موضوع تفسيره بالأبحاث العلمية المستفيضة.
- إيداعه في تفسيره صور النباتات والحيوانات وغيرها، خلاف ما يعهده المسلمون في تفسير القرآن.
- اعتماده في تفسير كثير من الحقائق الدينية على ما جاء عن أفلاطون في نظريته.
- ركونه إلى التفسيرات الباطنية الباطلة في رسائل إخوان الصفا.
- إستخراجه علوما مزعومة بواسطة حساب الجمل الذي لا يوصل إلى حقيقة ثابتة.

الأسئلة:

١. اذكر أهمّ التفاسير العلمية؟

٢. اذكر أهم المفسرين بالمنهج العلمي؟

٣. اذكر بعض نقاط الضعف الموجودة في التفاسير العلمية؟

٤. عرّف كتاب التفسير الفريد باختصار؟

٥. ما هي الأسباب الداعية إلى المبالغة في التفسير العلمي؟

الدرس الثامن عشر: دور العلم في تطوير التفسير وتصحيحه

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على دور العلم في تطوير التفسير وتصحيحه.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على أمثلة من مساهمة العلم في التعمق في التفسير واكتشاف مصاديق أو معان جديدة.

٢. التعرف على أمثلة من نماذج استخدام بعض المفسرين للعلم خارج الضوابط التفسيرية.

٣. التعرف على أمثلة من مساهمة العلم في تصحيح التفسير الخاطئ.

المحتوى العلمي:

نقوم إن شاء الله في هذا الدرس بعرض بعض الملعومات من التفاسير ثم نحللها لنعرف دور العلوم البشرية وأثر تطور العلوم البشرية على تطوير التفسير وتعميق الفهم البشري للقرآن الكريم من جهة، ومن جهة أخرى ليتضح لنا كيف أن نتائج تلك العلوم أثرت على تصحيح

بعض المعلومات التفسيرية الخاطئة في كتب المتقدمين. وإليكم نقدم محاور هذا الدرس، وهي كما يلي:

أوّلاً: أمثلة على أن العلم ساهم في التعمق في التفسير واكتشاف مصاديق أو معان جديدة.

ويجدر التنبيه - قبل الدخول - على هذه النقطة وهي أن ما أشار إليه القرآن في هذه الآيات القرآنية العلمية المشار أليه في هذا المبحث، وإن كانت تبدو للنظر محسوسة وملموسة يمكن أن يدركها عامّة الناس، إلا أنه مع تطور العلم وتقدمه تبدو للبشر لطائف جديدة في هذا المجال، وتتضح للعلماء أمور ذات أهمية كبرى(٧٤).

١- تطور علم الفلك وتأثيره على تفسير بعض الآيات:

أ. إن تطور العلم والتكنولوجيا الحديثة كشف الكثير من الحقائق القرآنية، ولعل من ذلك أن الشمس وردت في القرآن الكريم ٣٣ مرّة وبمعان فلكية رائعة تحكي الحقيقة العلمية بكلّ وضوح، ولعل أهمها تلك الآيات التي تتحدث عن حركتها أو حركاتها الكثيرة وبأسلوب علمي جمالي يخلب الألباب، وتلك الآيات التي تتحدث عن هرم الشمس وشيخوختها وموتها في آخر الأمر كبقيّة المخلوقات التي نشرها الله تعالى في كونه الكبير.

وردت الشمس كما وردت بقية الأجرام الكونية والظواهر السماوية الأخرى ضمن أسلوب وهدف القرآن، وهو الهداية وإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم والحياة. ولأن القرآن ليس كتابا علميا

---

(٧٤) الشيخ مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٢/ ٤٩٣.

خاصا لم يتعرض إلى قطرها، ولا إلى حجمها، ولا إلى كثافتها، ولا إلى درجة حرارتها أو جاذبيّتها، ولا لأي رقم علمي محدّد مما تتعرض له الدراسات الكونية المعاصرة، ولكن يمكن لقارئ القرآن والباحث في الآيات الكونية أن يحصل على بعض المعلومات الممتازة عن الشمس وان كانت قليلة، ويمكن أن يأتي باحث آخر ويلتقط معلومات أخرى ضمن حدود معينة أخرى، ويبقى الباحثون الجادّون غائصين في بحر القرآن، كلّ يلتقط ما يستطيع من لآلئه، مستفيدين من علوم عصرهم، فهي أضواء إضافية تنير الطريق للغوص في طرق الشمس والآيات الكونية الأخرى الزاخرة في القرآن الكريم، فإن ما يتوصل إليه العلماء في مجال الفلك في هذا العصر الحديث المليء بالاكتشافات الباهرة حول هذا الجرم السماوي هو يؤكد ويؤيد يوما بعد آخر ما ذكره ديننا الإسلامي حول الشمس في جميع خصوصياتها(٧٥).

ب. تعالوا بنا لنتأمل في جانب آخر من جوانب الإعجاز القرآني في إثباته لحقائق علمية لم تظهر إلا في زماننا هذا. ففي نهاية سنة ١٩٩٨م أعلن في إذاعة لندن - القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية - خبر هام وهو عن أهم اكتشاف في هذا العام حيث توصل علماء الفلك إلى أن الكون يزداد ويتسع. فتوارد إلى ذهني قول الله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾(٧٦).

---

(٧٥) السيد محمد الحسيني الشيرازي، تقريب القرآن إلى الأذهان: ١/ ٥٥. الناشر: دار العلوم. الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، بيروت.

(٧٦) الذاريات: ٤٧.

ولكن هل فطن المفسرون المتقدمون إلى ذلك؟

لنرجع سويا إلى ما كتبه الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية، حيث قال: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾[٧٧]، لما بين هذه الآيات قال: وفي السماء آيات وعبر تدل على أن الصانع قادر على الكمال، فعطف أمر السماء على قصة قوم نوح لأنهما آيتان. ومعنى «بأيد» اي بقوة وقدرة؛ عن ابن عباس وغيره. «وإنا لموسعون»، قال ابن عباس: لقادرون. وقيل: اي وإنا لذو سعة، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده. وقيل: اي وإنا لموسعون الرزق على خلقنا. عن ابن عباس أيضا. الحسن: وإنا لمطيقون. وعنه أيضا: وإنا لموسعون الرزق بالمطر. وقال الضحاك: أغنيناكم؛ دليله: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾[٧٨]. وقال القتبي: ذو سعة على خلقنا. والمعنى متقارب. وقيل: جعلنا بينها وبين الأرض سعة. الجوهري: وأوسع الرجل اي صار ذا سعة وغنى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٧٩] اي أغنياء قادرون. فشمل جميع الأقوال[٨٠].

ج. مانعية السماء، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[٨١].

ورد عن ابن عباس في هذه الآية، قال: المطر بعد المطر[٨٢]. وهو وإن كان تفسيرا علميا بل ولعله أشار إلى دورة المياه الكبرى، ولكن مع تطور العلم اكتشف أن السماء ترجع أشياء كثيرة غير المطر.

---

(٧٧) الذاريات: ٤٧.

(٧٨) البقرة: ٢٣٦.

(٧٩) الذاريات: ٤٧.

(٨٠) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٨/ ٥٢.

(٨١) الطارق: ١١.

(٨٢) السيوطي، الدر المنثور في تفسير المأثور: ٦/ ٣٣٧.

فذات الرجع، إذ تعكس ما يتصاعد إليها من بخار ماء، كما أن الطبقة الأعلى منها (ستراتوسفير) أيضا ذات رجع، ويحدث فيها معظم عمليات إنزال المطر، ويعود فيها غاز الأوزون بتأثير الأشعة فوق البنفسجية إلى غاز الأوكسجين، والطبقتان العلويتان (أيونوسفير وسيزوسفير) ذواتا رجع أيضا، لأنهما تعكسان وتردان موجات الراديو الطويلة والمتوسطة وبعض الموجات القصيرة المتأينة، الصاعدة إليها من سطح الأرض. كما تعكس هاتان الطبقتان أيضا الموجات الساقطة على الغلاف الجوي من الفضاء الخارجي، وتعيدها إليه[٨٣].

٢- تطور علم الطب وتأثيره على تفسير بعض الآيات:

أ. في قوله تعالى: **﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾**[٨٤] فسروا «فلينظر الإنسان» بالمكذب المنكر للبعث، فلينظر وليفكر وليستدل؛ «ممّ خلق» وان الذي خلقه من نطفة قادر على إعادته وبعثه؛ «خلق من ماء دافق» يعني المني الذي تكون منه الولد؛ «يخرج من بين الصلب والترائب» صلب الرجل وترائب المرأة، والمشهور في كلام العرب أن الصلب والترائب هي عظام الصدر والنحر[٨٥].

والطب أثبت والتشريح يثبت خروجه من منطقة أسفل الحوض حيث يستقر الجهاز التناسلي الذكري.

---

(٨٣) خالد فائق العبيدي، الفلك: ٦١. دار الكتب العلمية الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. بيروت.

(٨٤) الطارق: ٥- ٧.

(٨٥) محمد باقر الناصري، مختصر مجمع البيان: ٣/ ٥٤٨. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، قم.

ب. لقد كان تفسير قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[٨٦] بمعنى دم. وقال «من علق» بلفظ الجمع - جمع علقة، والعلقة الدم الجامد، وإذا جرى فهو المسفوح - لأنه أراد بالإنسان الجمع، وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة. والعلقة قطعة من دم رطب، سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه، فإذا جفت لم تكن علقة [٨٧].

اكتشف الطب الحديث أن هذا السائل من منيّ الإنسان يحوي حيوانات صغيرة تسمى الحيوانات المنوية، وهي لا ترى بالعين المجرّدة، إنما ترى بالمكرسكوب. وكل حيوان منها له رأس ورقبة وذيل يشبه دودة العلق في شكلها ورسمها، وأن هذا الحيوان يختلط بالبويضة الأنثوية فيلقحها، فإذا ما تمّ اللقاح انطبق عنق الرحم فلم يدخل شيء من بعده إلى الرحم، وأمّا بقية الحيوانات فتموت.

وهذه الناحية العلمية وهي أن الحيوان المنوي يشبه العلق في الشكل والرسم فقد أثبتها القرآن، استمع إلى قوله جلّ وعلا: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[٨٨]. فهذه الآية معجزة بليغة من معجزات القرآن لم يظهر وقت نزولها ولا بعده بمئات السنين إلى أن اكتشف المجهر المكبّر (المكرسكوب) وعرف كيف يتكون الإنسان بقدرة الله[٨٩].

---

(٨٦) العلق: ٢.

(٨٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٢١/ ١١٩.

(٨٨) العلق: ١- ٢.

(٨٩) محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن: ١٣٤، عالم الكتب، الأولى. ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م. بيروت.

وكنتيجة لزيادة عدد الاكتشافات العلمية فقد تغير التفسير والفهم لكلمة «علق» من الدم إلى الشيء المعلق - وبداية الجنين عبارة عن شيء معلق في جدار الرحم - والشيء الماص - وبداية الجنين عبارة عن موجود يتغذى بطريقة المص من جدار الرحم - والشيء المتغذي على الدم - وبداية الجنين عبارة عن موجود يتغذى على الدم فقط -[١].

ج. البصمات، في قوله تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[٢].

عند إحاطتنا بدلالات الكلمة اللغوية - الحقيقة والمجازية - واستعمالات العرب لها، إن وجدنا أن حقيقة علمية تؤيد إحدى هذه الدلالات، لا بأس عندئذ أن نرجح الدلالة التي أيدتها الحقيقة العلمية، على أن لا نحكم بالبطلان والفساد على الدلالة التي رجحناها من جهة أخرى، فقد تكون الحقيقة العلمية التي رجحنا على ضوئها هذه الدلالة إحدى وجوه دلالات الآية، وظلالها ممتدّة إلى حقائق أخرى لم نتمكن من التوصل إليها حسب ثقافة عصرنا، إلا أن التقدم العلمي والحضاري كفيل أن يميط اللثام لنا عن جوانب أخرى.

فمثلا قوله تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[٣] كان إلى ما ما يقرب من مائة سنة ينظر إلى دلالة تسوية البنان، نظرة تختلف عن نظرتنا لها الآن بعد معرفة قضية البصمات، إلا أننا لا نبطل كلام

---

(١) محمد علي رضايي اصفهاني، **پژوهشي** در اعجاز علمي قرآن: ٢٩١، ناشر: كتاب مبين، ١٣٨١ ايران.

(٢) القيامة: ٤.

(٣) القيامة: ٤.

السلف في معنى الآية، فالآية تدل على ما قالوه وما فهموه، والشعور الذي استقر في نفوسهم عن أن هنالك حكمة عظيمة في خلق البنان وتسويته على هذه الشاكلة شعور مرهف وصحيح، وإن كان فهمنا الآن لدلالة الآية على ضوء معطيات العلم الحديث أعمق وأدل، وشعورنا في دقة صنعة الخالقﷻ وحكمته سليم وصحيح، ولكن لا نستطيع أن نقول أن معنى الآية هو هذا فحسب، وليس بعد فهمنا لها فهم آخر، بل قد يكشف لنا المستقبل عن أسرار إلهية في البنان فوق ما تصورناه ووصلت إليه مداركنا العصرية، وتبقى الآية الكريمة مجال بحث الباحثين واستنباط المفكرين وبصمة إعجاز على جبين العصور: ﴿**بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾[1].

٢- التطورات السىاسية وتأثيرها على تفسير بعض الآيات:

لقد فرض على العالم الإسلامي الكثير من التحديات التي لم تكن في الحسبان، منها الإستعمار الصهيوني لفلسطين. ومن كان يظن أن اليهود ستكون لهم قوة وسطوة، ويصبح لهم كيان! وتقام لهم دولة! يهاجرون إليها من كل حدب وصوب!؟

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد إشارات صريحة إلى هذا الواقع المرير الذي نعيشه، فضلا عن اشتماله على جوانب متعددة من الإعجاز العلمي الذي يسبق به كل عصر، ولا عجب فهو المعجزة الخالدة والعطاء المتجدد والنهر المتدفق الذي لا ينقطع إمداده ولا تنقضي

---

(١) القيامة: ٤.

عجائبه، وصدق المولىﷻ إذ يقول: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[1].

ولنتأمل على سبيل المثال ما ذكره القرطبي في تفسير قوله تعالى في سورة الإسراء، والتي تسمى أيضا سورة بني إسرائيل: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[2]، قال‌رحمه الله: «وقلنا من بعده» اي من بعد إغراق فرعون؛ «لبني إسرائيل اسكنوا الأرض» اي أرض الشام ومصر؛ «فإذا جاء وعد الآخرة» اي القيامة؛ «جئنا بكم لفيفا» اي من قبوركم مختلطين من كل موضع، قد اختلط المؤمن بالكافر لا يتعارفون ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيّه. وقال ابن عباس وقتادة: جئنا بكم جميعا من جهات شتى. والمعنى واحد. قال الجوهري: واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى، يقال جاء القوم بلفهم ولفيفهم اي وأخلاطهم، وقوله تعالى «جئنا بكم لفيفا» اي مجتمعين مختلطين، وطعام لفيف إذا كان مخلوطا من جنسين فصاعدا، وفلان لفيف فلان اي صديقه. قال الأصمعي: اللفيف جمع وليس له واحد، وهو مثل الجميع، والمعنى أنهم يخرجون وقت الحشر من القبور كالجراد المنتشر، مختلطين لا يتعارفون. وقال الكلبي: «فإذا جاء وعد الآخرة» يعني مجيء عيسى‌عليه السلام من السماء[3].

وها نحن رأينا الآن الهجرة الجماعية لليهود إلى إسرائيل وعملية اغتصاب أراضي إخواننا الفلسطينيين وتحويلها إلى مستوطنات لليهود!

---

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) الإسراء: ١٠٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٠/ ٢١٩. ويراجع جامع البيان، للطبري: ١٥/ ١٧٦- ١٧٧.

أليس لهذا الواقع اعتباره حين نمر على هذه الآيات ونفسرها في ضوء واقعنا المعاصر؟ أليس هذا من إعجاز القرآن الكريم حيث أخبرنا عن حاضرنا ومستقبلنا؟ فهو رسالة صالحة لكل زمان ومكان.

٤- تطور علم المكانيك وتأثيره على تفسير بعض الآيات:

لما تحدث القرآن الكريم عن وسائل المواصلات - من سيارات وقطارات - التي هيأها المولى ﷻ لنا، لم تتوقف الآيات عند حد الوسائل القديمة التقليدية ولكنها حلقت بنا في أجواء أخرى أمام وسائل أخرى أسفر عنها زماننا ولا يزال الباب مفتوحا والتحدي قائما والقرآن سابقا لكل عصر. قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[(١)].

ومما يحسب للمتقدمين من المفسرين أنهم تجاوزوا حدود هذه الدنيا الفانية ليحدثونا عن نعيم الجنة وما فيه من مراكب عجيبة خلقها اللهﷻ ليستمتع بها أهل الجنة، ما قاله الطبري والقرطبي: وقوله «ويخلق ما لا تعلمون» اي ما لا تعلمون مما أعد في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها، مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر[(٢)].

---

(١) النحل: ٨.

(٢) جامع البيان، للطبري: ١٤/ ٨٣. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ١٠/ ٥٣- ٥٤.



مساهمة العلم والتطورات في التعمق في التفسير

ثانياً: نماذج من استخدام بعض المفسرين للعلم خارج الضوابط التفسيرية.

نذكر لكم أمثلة على أن بعض المفسرين استخدموا العلم بغير ضوابطه التفسيرية، فكان تفسيرا بالرأي وتفسيرا خاطئا.

١. قال تعالى: ﴿**كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ**﴾[(١)]، فهناك من فسر هذه النار بالأشعة السينية (أشعة إكس)[(٢)] التي تكشف جوف الإنسان!!

فإنّ «تطّلع» - التي فسرها القدامى بالوصول إلى القلوب لإحراقها - وإن تحتمل معنى الإطلاع والمعرفة، ولكن سياق الآيات يرجح أن هذه هي نار جهنم لا غير. ولا مجال لتحميل النص هذا

---

(١) الهمزة: ٤- ٧.

(٢) يوسف حسن نوفل. المكتبة القرآنية: ١٧٠، الناشر: دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، القاهرة.

التأويل المبالغ فيه، اضف الى ذلك انه من قال أن أشعة إكس تطلّع على ما في القلوب؟!

٢. إستدل أحد الباحثين - والكلام للشهيد محمد حسين بهشتي - على حركة الأرض السريعة أن قام بإعداد بحث حول الطبيعة في القرآن واستند إلى مفاهيم عصرية غير متناسبة مع نزول القرآن، حيث يستدل بالآية الكريمة: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾[١] على أن الله تعالى وصف الأرض بالطائر السريع الطيران، وبذلك بيّن حركة الأرض السريعة[٢].

وقد قلتُ له - اي الشهيد بهشتي -: عليك أن ترى هل أن لفظ «كفات» كان يملك معنى الطائر السريع في عصر نزول القرآن وبيئته؟ أم أن اللفظ اكتسب هذا المعنى بالتدريج؟ ثم عليك ثانياً أن تلاحظ أن هذه الآية متصلة بالآية التي تليها؛ ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾[٣]، فماذا يعني الطائر السريع الطيران للأحياء والأموات؟ فهل ثمة معنى واضح؟ وبالرجوع إلى المعاجم يتبين أن «كفاتا» في الأصل هي الأرض التي تضم الأشياء الأخرى؛ ألم نجعل الأرض تضم الأحياء والأموات. نعم، يقال فرسٌ كفتٌ وكفيتٌ اي سريع[٤]، ولكن طائر سريع اسمه كفات من أين؟

ولعل هذا الباحث استند إلى أحد كتب اللغة الحديثة وهو كتاب المنجد، حيث يقول المؤلف فيه: وكفت كفتاً وكفيتاً وكفتاناً الطائرة

---

(١) المرسلات: ٢٥.

(٢) الشهيد بهشتي، في مقال في مجلة رسالة الثقلين. العدد: ٩، ص: ٢٤.

(٣) المرسلات: ٢٦.

(٤) لسان العرب لابن منظور، أو المقاييس لابن فارس (كفت).

وغيره، أسرع في الطيران أو العدو وتقبّض فيه[١]. وألف هذا الكتاب وطبع في القرن العشرين لا غير. هذا أقرب مستند وجدته للباحث وهو كما ترى بعيد جداً عن تفسير الآية الكريمة.

ثالثاً: أمثلة على أن العلم ساهم في تصحيح التفسير الخاطئ.

إن من أسباب اختلاف المفسرين تنوع ثقافة كل مفسر وما لديه من علوم ومعطيات وما يستجد في عصره من قضايا، ففي عصرنا هذا - عصر التقدم العلمي والتطور التقني - ظهرت مخترعات وانكشفت حقائق علمية ثابتة في عالم الأنفس والآفاق، التي لم تخطر على بال السابقين أصلا.

١- حركة الأرض

الفخر الرازي طبّق بعض المسائل العلمية على القرآن، فاستدلّ على سكون الأرض[٢] بالآية الكريمة: ﴿**الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِراشا**﴾[٣].

يقول الفخر الرازي: اعلم أنهﷻ ذكر هاهنا أنه جعل الأرض فراشا، ونظيره قوله: ﴿**أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً**﴾[٤] وقوله: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً**﴾[٥]، واعلم أن كون الأرض فراشا مشروط بأمور، الشرط الأول كونها ساكنة، وذلك لأنها لو كانت متحركة

---

(١) المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، مادة (كفت) كما لابد ان اشيران بعض هذه المعاني أشار أليها ابن منظور في لسان العرب.

(٢) مفاتيح الغيب: ٢/ ٩٤.

(٣) البقرة: ٢٢.

(٤) النمل: ٦١.

(٥) الزخرف: ١٠.

لكانت حركتها إما بالإستقامة أو بالإستدارة، فإن كانت بالإستقامة لما كانت فراشا لنا على الإطلاق، لأن من طفر من موضع عال كان يجب أن لا يصل إلى الأرض لأن الأرض هاوية وذلك الإنسان هاو، والأرض أثقل من الإنسان، والثقيلان إذا نزلا كان أثقلهما أسرعهما والأبطأ لا يلحق الأسرع فكان يجب أن لا يصل الإنسان إلى الأرض، فثبت أنها لو كانت هاوية لما كانت فراشا، أما لو كانت حركتها بالإستدارة لم يكمل انتفاعنا بها، لأن حركة الأرض مثلا إذا كانت إلى المشرق والإنسان يريد أن يتحرك إلى جانب المغرب ولا شك أن حركة الأرض أسرع فكان يجب أن يبقى الإنسان على مكانه وأنه لا يمكنه الوصول إلى حيث يريد، فلما أمكنه ذلك علمنا أن الأرض غير متحركة لا بالإستدارة ولا بالإستقامة، فهي ساكنة[١].

٢- كروية الأرض

فاستدل بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾[٢] على كون الأرض مسطحة. قال الآلوسي: «وهو الذي مد الأرض» اي بسطها طولا وعرضا، قال الأصم: البسط، المد إلى ما لا يرى منتهاه، ففيه دلالة على بعد مداها وسعة أقطارها. وقيل: كانت مجتمعة فدحاها من مكة من تحت البيت. وقيل: كانت مجتمعة عند بيت المقدس فدحاها وقال - سبحانه - لها: اذهبي كذا وكذا، وهو المراد بالمد. واستدل بالآية على أنها مسطحة غير كروية[٣].

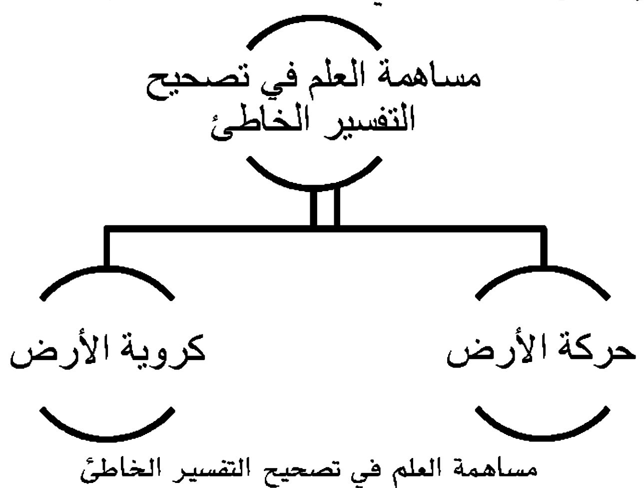
---

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: ٢/ ٣٣.

(٢) الرعد: ٣.

(٣) السيد محمود الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٨٨. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، تاريخ الطبع: ١٤١٥هـ. بيروت.

واليوم وبفضل عدسات وتصوير الأقمار الصناعية باتت كروية الأرض من الأمور البديهية التي تعلمها الأطفال والكبار.



مساهمة العلم في تصحيح التفسير الخاطئ

خلاصة الدرس الثامن عشر:

تبيّنت مما سبق أمور مهمّة:

الأول: مساهمة العلم والتطورات في التعمق في التفسير، ومن نماذجه:

١. علم الفلك: اتساع الكون، مانعية السماء.

٢. علم الطب: معنى كلمة العلق، البصمات.

٣. السياسة: هجرة اليهود والإستعمار الصهيوني لفلسطين.

٤. علم الميكانيك: وسائل النقل والمواصلات.

الثاني: مساهمة العلم في تصحيح التفسير الخاطئ، مثل: حركة الأرض، كروية الأرض.

الثالث: استخدام بعض المفسرين للعلم خارج الضوابط التفسيرية، كتفسير قوله تعالى:

﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[1]، فهناك من فسر هذه النار بالأشعة السينية (أشعة إكس)[2] التي تكشف جوف الإنسان!!

الأسئلة:

١. اذكر مثالا يبيّن مساهمة العلم والتطورات في التعمق في التفسير؟

٢. اذكر مثالا يبيّن مساهمة العلم في تصحيح التفسير الخاطئ؟

٣. اذكر مثالا يبيّن استخدام بعض المفسرين للعلم خارج الضوابط التفسيرية؟

٤. ما هو دور علم الفلك وتأثيره على تفسير بعض الآيات؟

٥. اذكر مثالا حول تطور علم الطب وتأثيره على تفسير بعض الآيات؟

---

(١) الهمزة: ٤- ٧.

(٢) يوسف حسن نوفل. المكتبة القرآنية: ١٧٠، الناشر: دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، القاهرة.

الدرس التاسع عشر: التفسير التربوي للقرآن

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على معالم التفسير التربوي للقرآن الكريم.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على مفهوم التفسير التربوي للقرآن.
٢. التعرف على مهامّ ووظائف التفسير التربوي.
٣. التعرف على الأفكار العامة لكتابة الإتجاه التربوي للتفسير.

المحتوى العلمي

إن عظمة القرآن تظهر بمدى اهتمام العلماء والناس به، وأهم تلك الصور هي كتابات التفسير التي تجاوزت الآلاف من المجلدات والآلاف من المفسرين، فأصبح هذا العلم عملاقا لا يخوضه إلّا رجال المعرفة، ثم تطور بحسب تخصصات المفسرين واحتياجات المسلمين وتنوع مشاربهم حتى ظهرت تفاسير في جميع أقسام المعرفة والعلوم بحيث تبهر العقول. يريد المؤلف أن يقف على هذا الموضوع ويشير إلى ولادة تفسير جديد نابع من تلاقح العلوم والتخصصات وهو التفسير البيني أو

التفسير ذي التخصصين، ثم تطور من هذه الجهة فولد نوع من التفسر الجديد وهو التفسير التربوي للقرآن الكريم، وكرس هذا الدرس حوله.

أوّلاً: تعريف التفسير التربوي للقرآن

المقصود من التفسير التربوي للقرآن هو تبيين المعاني الإستعمالية للآيات التربوية القرآنية وإظهار المقصود الجدّي من هذه الآيات على أساس قواعد اللغة العربية وأصول المحاورة العقلائية والأدلة المعتبرة في التفسير.

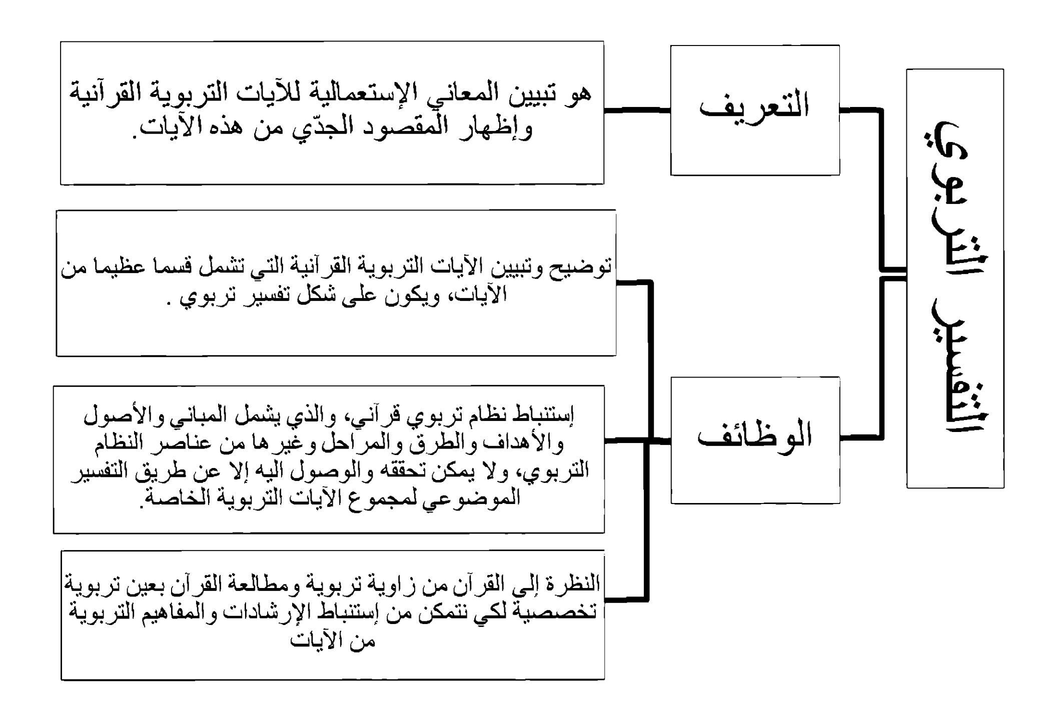
ثانياً: مهامّ ووظائف التفسير التربوي

يمكن تقديم التفسير التربوي في ثلاث إتجاهات:

١. توضيح وتبيين الآيات التربوية القرآنية التي تشمل قسما عظيما من الآيات، ويكون على شكل تفسير تربوي ويمكن تحققه بواسطة التفسير الترتيبي.

٢. إستنباط نظام تربوي قرآني، والذي يشمل المباني والأصول والأهداف والطرق والمراحل وغيرها من عناصر النظام التربوي، ولا يمكن تحققه والوصول اليه إلّا عن طريق التفسير الموضوعي لمجموع الآيات التربوية الخاصة.

٣. النظرة إلى القرآن من زاوية تربوية ومطالعة القرآن بعين تربوية تخصصية لكي نتمكن من إستنباط الإرشادات والمفاهيم التربوية من الآيات.



تعريف التفسير التربوي ووظائفه

ثالثاً: مهام وأهداف التفسير التربوي

يكون التفسير التربوي للقرآن تفسيرا فرعيا والذي يضم العناصر المشتركة بين العلوم التربوية والقرآن الكريم ويترك بعض العناصر التربوية التي لا يقبلها القرآن ويدخل بعض العناصر الحديثة مثل التزكية إلى دائرة العلوم التربوية. فعلى هذا يمكن للتفسير التربوي القرآني أن ينتهي إلى إنتاج علم جديد في هذه الدائرة وهو علم التربية القرآني.

في التفسير التربوي القرآني عناية بالنسبة إلى هذه الأهداف والتي يسعى لأن تكون من ثمراته ونتائجه:

١. توضيح المعاني والمقاصد من الآيات القرآنية مع العناية بالنتائج التربوية.

٢. إستخدام العلوم التربوية من أجل توضيح الآيات القرآنية.

٣. التوجه إلى البعد التربوي القرآني في بيان النقاط التفسيرية.

٤. توضيح المعالم والعمومات والإرشادات التربوية القرآنية.

٥. الإستعانة بالآيات القرآنية من أجل ترسيم مباني وأسس العلوم التربوية.

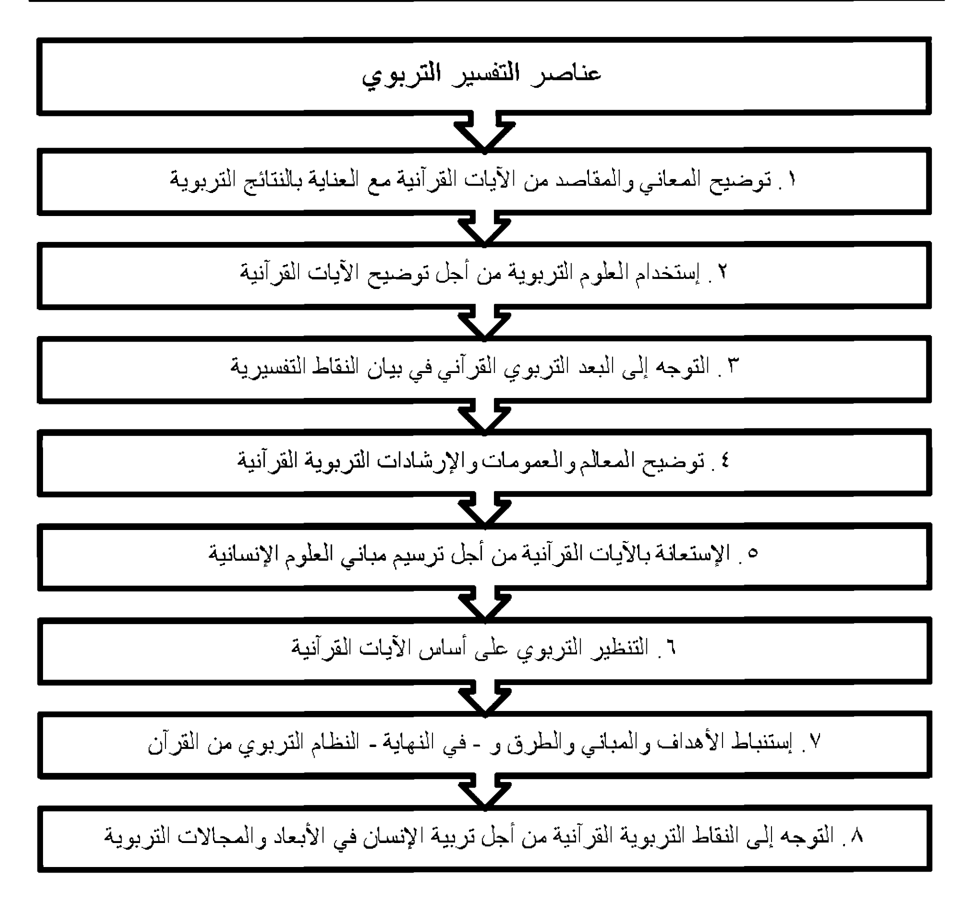
٦. التنظير التربوي على أساس الآيات القرآنية.

٧. إستنباط الأهداف والمباني والطرق و - في النهاية - النظام التربوي من القرآن.

٨. التوجه إلى النقاط التربوية القرآنية من أجل تربية الإنسان في الأبعاد والمجالات التربوية، كالبعد العقلي والعاطفي وغيرهما.

ملاحظة:

بعض العناصر أعلاه يتم تحقيقها في التفسير الترتيبي التربوي وبعضها في التفسير الموضوعي التربوي، ومثال ذلك إستنباط النظام التربوي القرآني الذي لا يمكن عملاً بدون الإعتناء بجميع الآيات القرآنية وتصنيفها في تفسير موضوعي واحد. وعلى كل حال فالتفسير الترتيبي التربوي القرآني مقدم على التفسير الموضوعي التربوي.



عناصر التفسير التربوي

رابعاً: الدراسات السابقة

اعتنت التفاسير القديمة للقرآن - من قريب وبعيد - بالأمور التربوية القرآنية، ولكن التفاسير الحديثة مثل في ظلال القرآن، الأمثل، من هدى القرآن، من وحي القرآن، تفسير النور وتفسير القرآن مهر اعتنوا أكثر بهذه الأمور.

في عصرنا هذا انتشر بعض التفاسير تحت عنوان أوائل التفاسير للتفسير التربوي القرآني مثل تفسيرحسين ميرزا خاني ١٣٦٩ش

والتفسير التربوي للقرآن الكريم لأنور الباز ١٤٢٨ق، والملاحظ عليها أن لم تكن تفسيرات تخصصية تربوية علمية، ولم تحقق أهداف التفسير التربوي، وإنما اشتملت على نكات تفسيرية تربوية أو تلخيصات لمطلب تربوية أخلاقية أو عرفانية.

فمثلا نجد التفسير التربوي لأنور الباز هو عبارة عن شبه تلخيص لتفسير سيد قطب، وقد طرح النكات التربوية القرآنية بصورة مختصرة. ومثال على ذلك في ذيل سورة الحمد جاء ذكر خمس نقاط تربوية عبارة عن:

١. أن الله يحب الحمد والشكر.

٢. من آداب الدعاء، أن يثني ويحمد الله قبل الدعاء.

٣. أن لا تعبد غير الله ولا تطلب المساعدة والمعونة من غيره.

٤. الإعتراف بالنعم الإلهية يهيئ الأرضية للإتباع الحسن للصالحين والمنعم عليهم.

٥. طلب الهداية من الله - سبحانه - يجعل الإنسان يميل إلى الحركة في صراط الصالحين وضرورة الخوف من الضلال، والمخالفة لليهود والنصارى وبقية المضلّين(٣).

خامساً: أركان التفسير التربوي

يحتوي بل ويستند التفسير التربوي القرآني على أسس ومناهج وقواعد وأسلوب وطرق.

(٣) التفسير التربوي القرآن الكريم: ١/ ٣.

١. أسس التفسير التربوي القرآني نفس الأسس للتفسير العمومي للقرآن؛ أمثال إمكان فهم وتفسير القرآن وجوازه، عدم القبول بتحريف القرآن وغيرها[٤].

إضافة إلى ذلك، إمكانية التفسير التربوي - لوجود نقاط وطرق تربوية في القرآن - والإنتظام التربوي القرآني من أسس التفسير التربوي التي يجب إثباتها في مكانها.

٢. تم الإستفادة في التفسير التربوي من جميع المناهج الصحيحة للتفسير القرآني، مثل تفسير القرآن بالقرآن، التفسير الروائي، العقلي، الباطني، العلمي والإجتهادي. ويجب تجنب التفسير بالرأي[٥].

٣. التفسير التربوي من البحوث البينية، وعلى هذا يجب أن تراعى ضوابط الأبحاث البينية (ذات التخصصين) فيه، ومن شروطه أن لا يقدم شخص على هذا العمل إلّا اذا كانت له خبرة ومعرفة في دائرة التفسير والعلوم التربوية[٦].

٤. القواعد التفسيرية اللازمة في التفسير العمومي ضرورية هنا أيضا.

٥. الأسلوب التنفيذي للتفسير التربوي يمكن أن يكون ترتيبيا أو موضوعيا. وينبغي الإستفادة من التفسير الموضوعي التربوي من أجل استنباط الأهداف والأسس والنظام التربوي القرآني، والتفسير التربوي الترتيبي من أجل الحصول على تعاليم وخطاب الآيات القرآنية.

---

(٤) راجع: منطق تفسير القرآن (١)، أسس وقواعد التفسير.

(٥) راجع: منطق تفسير القرآن (٢)، أسلوب والاعتقادات التفسيرية.

(٦) راجع: منطق تفسير القرآن (٣)، أسلوب تحقيق في التفسير وعلوم القرآن.



أركان التفسير العلمي

سادساً: الافكار والاجراءات العامة الحصول على التفسير التربوي

هنـــاك إجــراءات وخطــوات لا بــدّ مــن اتّخاذهــا لإنجــاز التفســير التربوي، وهي طبقا لعناصر النظام التربوي:

١. عرض الآية على المباني التربوية.

٢. عرض الآية على الأصول التربوية.

٣. عرض الآية على الأساليب التربوية.

٤. عرض الآية على الأهداف التربوية.

٥. عرض الآية على مجالات التربية.

٦. عرض الآية على فلسفة التربية.

٧. عرض الآية على عوامل التربية.

٨. عرض الآية على مراحل التربية.

٩. عرض الآية على البيئة الحاضنة لعملية التربية.

١٠. عــرض الآيــة علــى المســائل المعاصــرة التــي تــدرس فــي العلوم التربوية.

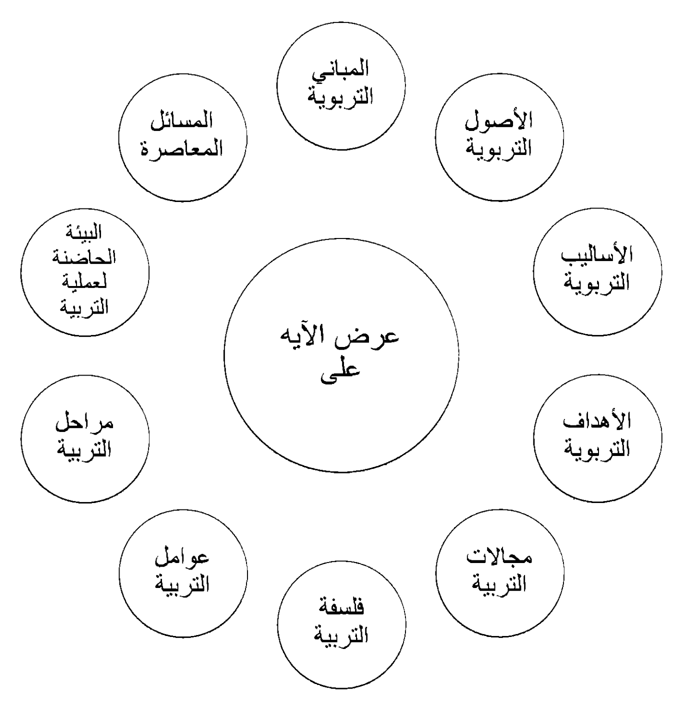
ونقدم إليك جدولا نشير فيه إلى تلك الإجراءات بشكل مختصر.

فكرة وآليّة الحصول على المفهوم التربوي من الآية	نحصل على مفهوم يخص النظام التربوي القرآني	نحصل على مفهوم تربوي تخصصي قرآني	نحصل على نكات تربوية قرآنية تخصصية أو عامة
عرض الآية على المباني التربوية	قد نحصل على مبنى وأساس تربوي من الآية	قد لا نكتشف المبنى من الآية، بل عدد المباني أو تقسيمها أو خصائصها	قد نحصل من الآية على نكات تربوية قرآنية تخصصية أو عامة
عرض الآية على الأصول التربوية	قد نحصل على أصل وقانون عام تربوي من الآية	قد لا نكتشف الاصل من الآية، بل عدد الاصول أو تقسيمها أو خصائصها	قد نحصل من الآية على نكات تربوية قرآنية تخصصية أو عامة
عرض الآية على الأساليب التربوية	قد نحصل على أسلوب أو طريقة أو أوامر خاصة تربوية من الآية	قد لا نكتشف الأسلوب التربوي من الآية، بل عدد الاساليب أو تقسيمها	قد نحصل من الآية على نكات تربوية قرآنية تخصصية أو

		أو خصائصها	عامة
عرض الآية على الأهداف التربوية	قد نحصل على هدف تربوي نهائي أو وسطي أو قريب من الآية	قد لا نكتشف الأهداف التربوية من الآية، بل عدد الأهداف أو تقسيمها أو خصائصها	قد نحصل من الآية على نكات تربوية قرآنية تخصصية أو عامة
عرض الآية على مجالات التربية	قد نحصل على معرفة مجال أو بعد تربوي، كالتربية البدنية أو العقلية اا العاطفية من الآية	قد لا نكتشف مجال تربوي من الآية، بل عدد المجالات أو تقسيمها أو خصائصها	قد نحصل من الآية على نكات تربوية قرآنية تخصصية أو عامة
عرض الآية على عوامل التربية	قد نحصل على عامل يحقق وينجز العملية التربوية، كالأم أو المعلم أو الله أو الملائكة من الآية	قد لا نكتشف العامل التربوي من الآية، بل عدد العوامل أو تقسيمها أو خصائصها	قد نحصل من الآية على نكات تربوية قرآنية تخصصية أو عامة
عرض الآية على مراحل التربية	قد نحصل على مقطع زمني تربوي في نظر القرآن، كمرحلة التوبة أو	قد لا نكتشف المرحلة التربوية من الآية، بل عدد المراحل أو تقسيمها	قد نحصل من الآية على نكات تربوية قرآنية تخصصية أو

	البلوغ من الآية	أو خصائصها	عامة
عرض الآية على البيئة الحاضنة لعملية التربية	قد نحصل على المحيط الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه التربية، كالمسجد أو البيت من الآية	قد لا نكتشف البيئة التربوية من الآية، بل عددها أو تقسيمها أو خصائصها	قد نحصل من الآية على نكات تربوية قرآنية تخصصية أو عامة
عرض الآية على فلسفة التربية	قد نحصل على علة العمل التربوي الخاص وسببه أو تعريفا لمفهوم تربوي من الآية	قد لا نكتشف الفسفة التربوية من الآية، بل منطقها أو تقسيمها أو خصائصها	قد نحصل من الآية على نكات تربوية قرآنية تخصصية أو عامة
عرض الآية على المسائل المعاصرة التي تدرس في العلوم التربوية	قد نحصل على مفهوم تربوي جديد مثل التربية على الديمقراطية أو الحرية أو مسائل المرأة من الآية	قد لا نكتشف مسألة تربوية معاصرة من الآية، بل عدده أو تقسيمها أو خصائصها	قد نحصل من الآية على نكات تربوية قرآنية تخصصية أو عامة

الإجراءات للحصول على التفسير التربوي



آليّة إنجاز التفسير التربوي

خلاصة الدرس التاسع عشر:

لقد توصّلنا إلى أمور مهمّة من هذا الدرس وهي:

أوّلاً: مفهوم التفسير التربوي للقرآن: هو تبيين المعاني الإستعمالية للآيات التربوية القرآنية وإظهار المقصود الجدّي من هذه الآيات.

ثانياً: معالم التفسير التربوي للقرآن الكريم؛ وهي:

١. توضيح المعاني والمقاصد من الآيات القرآنية مع العناية بالنتائج التربوية.

٢. استخدام العلوم التربوية من أجل توضيح الآيات القرآنية.

٣. التوجه إلى البعد التربوي القرآني في بيان النقاط التفسيرية.

٤. توضيح المعالم والعمومات والإرشادات التربوية القرآنية.

٥. الاستعانة بالآيات القرآنية من أجل ترسيم مباني وأسس العلوم التربوية.

٦. التنظير التربوي على أساس الآيات القرآنية.

٧. استنباط الأهداف والمباني والطرق و - في النهاية - النظام التربوي من القرآن.

٨. التوجه إلى النقاط التربوية القرآنية من أجل تربية الإنسان في الأبعاد والمجالات التربوية، كالبعد العقلي والعاطفي وغيرهما.

ثالثاً: مهامّ ووظائف التفسير التربوي؛ وهو:

١. توضيح وتبيين الآيات التربوية القرآنية التي تشمل قسما عظيما من الآيات، ويكون على شكل تفسير تربوي.

٢. استنباط نظام تربوي قرآني، والذي يشمل المباني والأصول والأهداف والطرق والمراحل وغيرها من عناصر النظام التربوي.

٣. النظرة إلى القرآن من زاوية تربوية ومطالعة القرآن بعين تربوية تخصصية لكي نتمكن من إستنباط الإرشادات والمفاهيم التربوية من الآيات.

الأسئلة:

١. ما هو الهدف من التفسير التربوي للقرآن؟

٢. بيّن وظائف التفسير التربوي باختصار؟

٣. اذكر أربعة من أهداف التفسير التربوي؟

٤. اذكر أنموذجا من التفسير التربوي؟

٥. اذكر ثلاثة من التفاسير التي اعتنت بالتفسير التربوي؟

الدرس العشرون : تعريف الإعجاز العلمي وضوابطه

الهدف الأساس للدرس:

معرفة مفهوم الإعجاز العلمي وضوابطه.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على مجموعة من التعاريف اللغوية والإصطلاحية الخاصة بالإعجاز.

٢. التعرف على بعض الضوابط والأمور التي تراعى في الإعجاز العلمي.

٣. التعرف على ضوابط البحث في الإعجاز العلمي.

المحتوى العلمي:

المحور الأول: تعريف الإعجاز العلمي

الإعجاز في اللغة:

العجز في اللغة - نقيض الحزم - الضعف وعدم القدرة. والتعجيز هو التثبيط[٧]. والإعجاز هو إثبات العجز - وهو الفوت والسبق -

---

(٧) لسان العرب: ٥/ ٣٦٩.

والإعلام بعجز البشر عن معرفة حقائق مشار إليها[٨]. ومنه اشتقت لفظة معجزة، وهي واحدة معجزات الأنبياء التي تؤيد نبوّتهم عليهم السلام[٩].

والمعجزة في اصطلاح العلماء: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة.

ولم ترد في القرآن الكريم لفظة إعجاز أو معجزة، كما لم يستعملها المؤلفون قديما، بل استعملوا مكانها لفظة «آية»[١٠]؛ لأنها المرادفة لها آنذاك.

الإعجاز في الإصطلاح:

وإعجاز القرآن: يقصد به إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله.

الإعجاز العلمي:

وصف الإعجاز بأنه علمي، نسبة إلى العلم.

والأصل في معنى العلم عند العرب هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء، وهو معنى مطلق غير مقيد بتخصص بعينه، والإطلاق يفيد الشمول والتعميم. أما تصنيف العلوم إلى دينية ودنيوية، أو نقلية وعقلية، أو شرعية وكونية، أو نظرية وتجريبية، أو إنسانية وطبيعية أو غير ذلك، فهو تصنيف يعتمد على الصفات المعبّرة عن موضوعات العلم، أو مصادره، أو الطرائق التي يتم تحصيله بها بحسب تناسبها وقرب بعضها

---

(٨) إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام: ١٧.

(٩) لسان العرب: ٥/ ٣٦٩- ٣٧٠.

(١٠) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ١٤.

من بعض. وقد يخصص العلم بموضوع معين، فيقال علم التفسير أو علم اللغة أو علم التاريخ أو علم الفلك أو علم الأحياء، أو غير ذلك من مختلف فروع العلم.

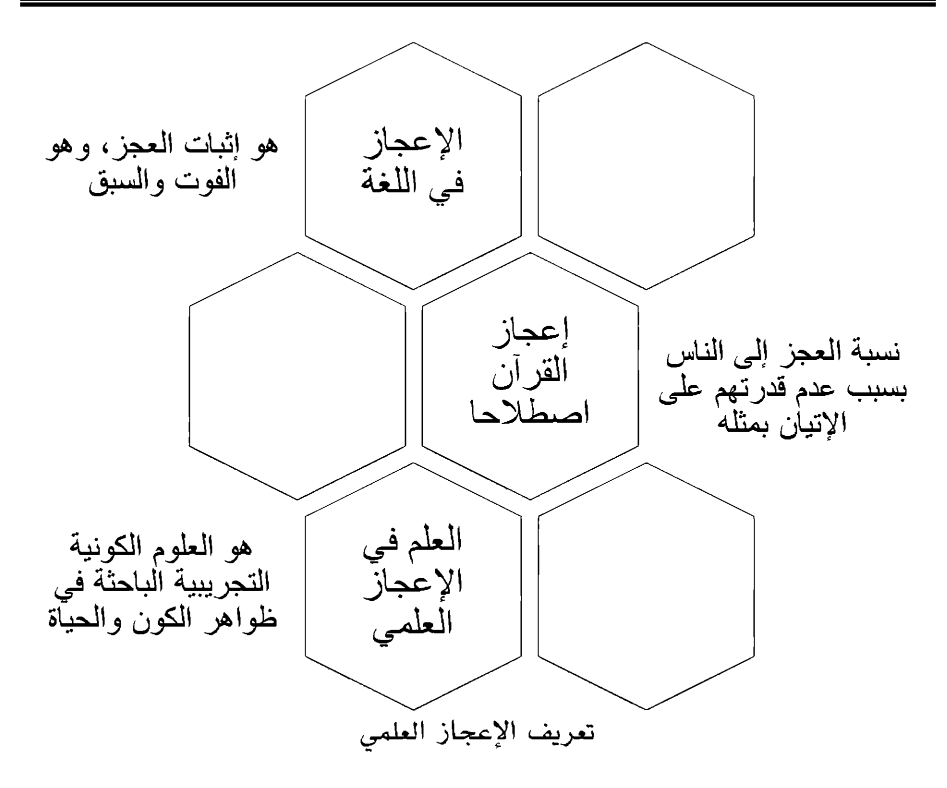
والمقصود بالعلم الذي ينسب إليه الإعجاز في مصطلح «الإعجاز العلمي للقرآن الكريم» هو العلوم الكونية التجريبية الباحثة في ظواهر الكون والحياة.

وعليه، فإن «الإعجاز العلمي» للقرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة هو إخبارهما بحقيقة كونية أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسولﷺ مما يظهر صدقه فيما بلّغ عن ربّ العزةﷻ. ووصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم التجريبي المعنيّ بدراسة الظواهر المطردة في الآفاق وفي الأنفس وصولا إلى القوانين التي تفسّر سلوكها وتعلل حدوثها بحيث تنكشف حقائق الأشياء انكشافا تاما(١١).

فالإعجاز العلمي هو إشارة إلى حقائق علمية يعجز الناس في حينها (في عصر التنزيل) عن معرفتها(١٢).

(١١) الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص: ٦٩٣.

(١٢) إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام: ١٧.



تعريف الإعجاز العلمي

المحور الثاني: ضوابط الإعجاز العلمي

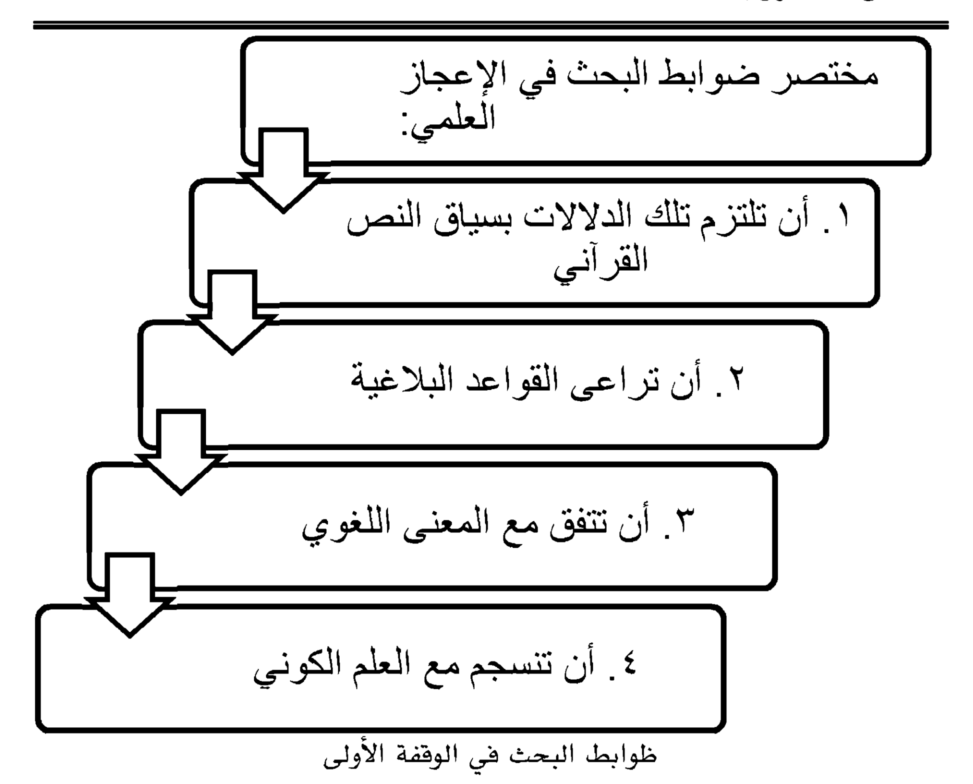
يمكن أن نعرض لكم تلك الضوابط بثلاث مراحل أو وقفات، من المختصر إلى المطول، وهي كما يلي:

الوقفة الأولى: في البداية يمكن أن نشير بشكل مختصر إلى ضوابط مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة، فنقول إن تلك الضوابط عبارة عن:

١. أن تلتزم تلك الدلالات بسياق النص القرآني.
٢. أن تراعي القواعد البلاغية.
٣. أن تتفق مع المعنى اللغوي.
٤. أن تنسجم مع العلم الكوني(١٣).

---

(١٣) إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام: ٣٢٩.



ظوابط البحث في الوقفة الأولى

الوقفة الثانية: الضوابط في مبحث الإعجاز العلمي عند تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم.

قبل البدء بتفسيرالآيات الكونية ينبغي أن نضع نصب أعيننا الضوابط والأمور التالية:

١. القرآن كتاب هداية:

إن القرآن الكريم كتاب هداية؛ هداية الناس إلى بارئهم للقيام بالدور الذي أوكل إليهم في خلافة الأرض ولأداء المهمّة التي خلقوا من أجلها؛ ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١٤]، فينبغي أن تبقى

(١٤) الذاريات: ٥٦.

الدراسات القرآنية المتعلقة بالآيات الكونية في حدود هذا الغرض، ولا تؤثر على الهدف الأساسي للقرآن الكريم.

٢. **ترك الإفراط والتفريط:**

عدم التفريط في البحث في الآيات الكونية، وبشرط التقيد بالمنهج القرآني وعدم تحميل النصوص ما لا تحتمل.

٣. **مرونة الأسلوب القرآني:**

ينبغي أن يكون معلوما لدينا أن القرآن الكريم عند ما يعرض القضايا الكونية أو الجوانب المادية أو المعنوية في الإنسان أو ما يحيط به، يستعمل أسلويا مرنا يقبل وجوها للتأويل. فعند إرادة فهم الكلمة القرآنية أو العبارة القرآنية لا بد من الرجوع إلى دلالات الكلمة الحقيقية والمجازية، واستعمالاتها في اللغة العربية، لتكون المعاني التي تحتملها الكلمة واضحة في الذهن عند الإقدام على تفسيرها في هذا المجال.

٤. **الحقائق العلمية مناط الإستدلال:**

الإقتصار على الحقائق العلمية في صدد تفسير الآيات، بأن نبتعد عن الساحة الفرضيات والنظريات العلمية التي لم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية، وينبغي عدم ذكر النظريات ولو من باب الإستئناس بها، لأن ربط نظرية قابلة للتغيّر والإبطال بتفسير آية قرآنية يورث شعورا معينا لدى القراء، وفي حال ظهور بطلان هذه النظرية فلن يسلم الفهم الخاص بالآية من تشويش واهتزاز، وكلام الله عز وجل منزّه عن أن يطرأ عليه مثل ذلك.

٥. **عدم حصر دلالة الآية على حقيقة واحدة:**

عند إحاطتنا بمعنى الكلمة اللغوي، ودلالاتها الحقيقية والمجازية، واستعمالات العرب لها، فإن وجدنا أن حقيقة علمية تؤيد إحدى هذه

الدلالات، لا بأس عندئذ أن نرجح الدلالة التي أيدتها الحقيقة العلمية، على أن لا نحكم بالبطلان على الدلالة التي رجحناها من جهة أخرى، فقد تكون الحقيقة العلمية - التي رجحنا على ضوئها هذه الدلالة - إحدى وجوه دلالات الآية، وظلالها ممتدّة إلى حقائق أخرى لم نتمكن من التوصل إليها حسب ثقافة عصرنا، إلا أن التقدم العلمي والحضاري كفيل أن يميط اللثام لنا عن جوانب أخرى من الدلالات العلمية.

فمثلا في قوله تعالى: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾(١٥)، كان إلى ما يقرب من مائة سنة ينظر إلى دلالة تسوية البنان نظرة تختلف عن نظرتنا لها الآن بعد معرفة قضية البصمات، إلا أننا لا نبطل كلام السلف في معنى الآية، فالآية تدل على ما قالوه وما فهموه. والشعور الذي استقر في نفوسهم على أن هنالك حكمة عظيمة في خلق البنان وتسويته على هذه الشاكلة شعور مرهف وصحيح، وكذلك فإن شعورنا في دقة صنعة الخالق ﷻ وحكمته سليم وصحيح، وإن كان فهمنا الآن لدلالة الآية على ضوء معطيات العلم الحديث أعمق وأدل، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نقول إن معنى الآية هو هذا فحسب وليس بعد فهمنا لها فهم آخر، بل قد يكشف لنا المستقبل عن أسرار كونية إلهية في البنان فوق ما تصورناه ووصلت إليه مداركنا العصرية، وتبقى الآية الكريمة مجال بحث الباحثين واستنباط المفكرين وبصمة إعجاز على جبين العصور. ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾(١٦).

---

(١٥) القيامة: ٤.

(١٦) القيامة: ٤.

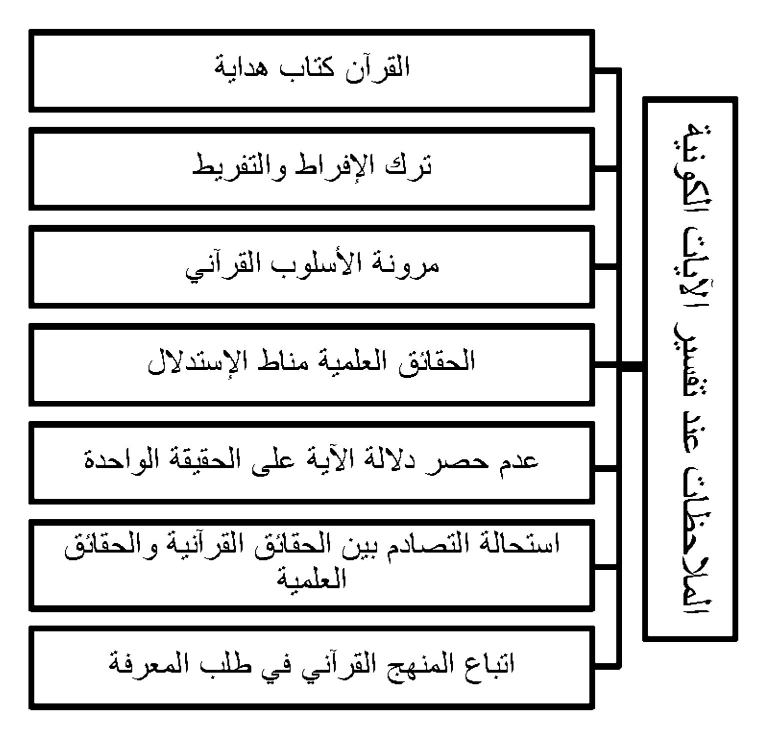
٦. استحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والحقائق العلمية:

يستحيل التصادم بين الحقائق القرآنية وبين الحقائق العلمية؛ لأنهما من مشكاة واحدة، وينبغي أن يكون من المسلّمات في أذهاننا أن الحقائق القرآنية المتعلقة بأيّ جانب من جوانب الكون أو الإنسان أو الحيوان أو النبات - إذا كانت قطعية الدلالة - لا يمكن أن تصادمها حقيقة علمية توصّل الجهد البشري إليها بناء على جهود المختصين خلال التاريخ الحضاري للبشرية.

٧. اتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة:

من البر والحكمة سلوك سبل الأسباب للوصول إلى حقائق المعرفة (دخول البيوت من أبوابها) وعدم تعجل النتائج بأن نعلم أن الأمور مرهونة بأوقاتها وأن خير مفسر للقرآن الزمن، وبما أن أمور الكون قائمة على سنن خلقها الله ﷻ وسيّر الكون بموجبها، فإن من تعرّف على هذه السنن أمكنه تسخيرها لمصالحه والإفادة منها في تيسير سبل العيش وإحراز التقدم المادي، بغضّ النظر عن معتقده وسلوكه، وذلك بمقدار ما يشاء الله ويخص بذلك من يريد(١٧).

(١٧) مباحث في إعجاز القرآن: ١٦٠.



ضوابط البحث في الوقفة الثانية

الوقفة الثالثة: ضوابط (منهج) البحث في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

إذا كانت قضية الربط بين القرآن والعلم تتعرض لنقد لاذع بسبب إفراط بعض المتحمسين، أو تفريط البعض الآخر من الرافضين والمعارضين، وأمام الحاجة الماسة إلى هذا النوع من الدراسات القرآنية لتنشيط حركة الدعوة الإسلامية المعاصرة، فإنه أصبح ضروريا أن يكون للبحث في مجال الإعجاز العلمي للقرآن منهاج، وأن توضع للمجتهد ضوابط وشروط، وأن ينبّه إلى مزالق الخطأ وموارد الزلل وكبوات الإجتهاد.

ويمكن إيجاز الإطار العام الذي توصل إليه الباحثون لترشيد البحث في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنّة النبوية المشرفة فيما يلي:

١. علم الله هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتريه خطأ ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود، يقبل الإزدياد، ومعرّض للخطأ. ولقد نزلت نصوص الوحي بألفاظ جامعة تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضيعها التي قد تتوالى في ظهورها جيلا بعد جيل. وإذا جمعت نصوص الكتاب والسنّة الصحيحة، وجدت بعضها يكمل بعضها الآخر، فتنجلي بها الحقيقة، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة في الزمن، وفي مواضيعها من القرآن الكريم، وهذا لا يكون إلا من عند الله الواحد الذي يعلم السرّ في السموات والأرض، ومن ثمّ فإنه لا يوجد تعارض بين نصوص الوحي القاطعة التي تصف الكون وأسراره، على كثرتها، وبين الحقائق العلمية المكتشفة، على وفرتها.

٢. الحقيقة العلمية التي يعرف رجال العلم معناها وحدودها لا تبطل مع الزمن، ولكنها قد تزداد مع جهود العلماء المتتابعة تفصيلا ووضوحا وجلاء. كل ما في الأمر أن القوانين (الناشئة من العلوم التجريبية والميدانية) العلمية تعبر عادة عن حقائق علمية محدودة، وليس من الصواب أبدا أن تعتبر هذه الحقائق الجزئية دليلا على قصور العلم أو منقصة فيه، فطبيعة المعرفة العلمية تتميز بالنمو المطرد في اكتشاف القوانين التي تلقي الضوء شيئا فشيئا على الحقائق الثابتة في الكون بعد أن أشارت إليها آيات من القرآن العظيم.

٣. يجب التقيّد بما تدل عليه اللغة العربية، فلا بد من:

أ) أن تراعى معاني المفردات كما كانت في اللغة إبّان نزول الوحى، ويراعى كذلك فقه استعمالها.

ب) أن تراعى القواعد النحوية ودلالاتها.

ت) أن تراعى القواعد البلاغية ودلالاتها، خصوصا قاعدة « لا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية».

٤. يجب الإبتعاد عن التأويل في بيان الإعجاز العلمي للقرآن والسنّة، ولا ينبغي الإسراف في ذلك.

٥. يجب أن لا تجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تكون هى الأصل، فما وافقها قبل، وما عارضها رفض. ذلك أن المرجعية يجب أن تكون للحقائق القرآنية، وليس للعلم التجريبي، فالحقائق العلمية تحتكم إلى القرآن ولا تزكيه، فإن وافقته فبها ونعمت، وإن تعارضت معه رفضت، لأن النص القرآني وحي من الذي أحاط بكل شيء علما.

٦. يجب على المجتهدين من العلماء أن يكونوا ملمّين بعلوم القرآن بالقدر الكافي وأن يكون لديهم استعداد شخصي يعززه رجوعهم إلى أمهات كتب التفسير رجوع المتعلم المتأني، لا اطلاع القارئ العجول، فإذا تعذر عليهم هذا كان عليهم أن يسألوا أهل الذكر والإختصاص، فهذا أقل مقتضيات التحري وعدم التورط في الكلام في كتاب الله بغير علم.

٧. كذلك يجب على المجتهدين من الباحثين في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنّة المطهرة (البيان النبوي) أن يكونوا على معرفة تامة بالظاهرة العلمية قيد البحث وتاريخ المصطلحات الفنية المتعلقة بها.

إن هذه الضوابط والشروط المنهجية ضرورية لهداية الباحث وترشيد البحث في الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، وينبغي توفرها في كل من يتصدى للإجتهاد بما يناسب جلال القرآن وقدسيّته. وكتاب الله العزيز كله معجز، ويستطيع العلماء أن يتلمسوا دلائل إعجازه في شتى المجالات، فإذا ما كنا بصدد إعجازه العلمي تحتم علينا أن نتوخى الدقة التامة، فلا نفتعل مناسبة ما؛ ونتشبث بها أو بلفظة ونحملها فوق ما تحتمل، أو نجهل أو نتجاهل حقائق التاريخ، وينبغى أن يكون لنا في الأئمة السابقين أسوة حسنة حين نرى دقة مناهجهم العلمية عند ما تناولوا القرآن الكريم من نواحيه اللغوية والبلاغية والتشريعية وغيرها[١٨].

(١٨) الموسوعة القرآنية المتخصصة، النص: ٦٩٩.

ضوابط البحث في الإعجاز العلمي

١. لا يوجد تعارض بين نصوص الوحي القاطعة وبين الحقائق العلمية المكتشفة

٢. الحقيقة العلمية لا تبطل مع الزمن، ولكنها قد تزداد تفصيلا ووضوحا وجلاء

٣. يجب التقيّد بما تدل عليه اللغة العربية من حيث المعاني والقواعد النحوية والبلاغية

٤. يجب البعد عن التأويل والإسراف في بيان الإعجاز العلمي

٥. المرجعية يجب أن تكون للحقائق القرآنية، وليس للعلم التجريبي

٦. يجب على المجتهدين من الباحثين أن يكونوا ملمّين من علوم القرآن والرجوع إلى أمهات كتب التفسير بالتأني

٧. كذلك يجب عليهم أن يكونوا على معرفة تامة بالظاهرة العلمية قيد البحث وتاريخ المصطلحات الفنية المتعلقة بها

ضوابط البحث في الوقفة الثالثة

خلاصة الدرس العشرون:

نستخلص من هذا الدرس الأمور التالية:

أوّلاً: الإعجاز في اللغة: هو إثبات العجز، وهو الفوت والسبق.

ثانياً: إعجاز القرآن: هو نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله.

ثالثاً: مفهوم الإعجاز العلمي: هو إشارة إلى حقائق علمية يعجز الناس في حينها (في عصر التنزيل) عن معرفتها.

رابعاً: ضوابط لإعجاز العلمي هي عبارة عن:

١. أن تلتزم تلك الدلالات بسياق النص القرآني.

٢. أن تراعى القواعد البلاغية.

٣. أن تتفق مع المعنى اللغوي.

٤. أن تنسجم مع العلم الكوني(١٩).

خامساً: ضوابط البحث في الإعجاز العلمي:

- لا يوجد تعارض بين نصوص الوحي القاطعة وبين الحقائق العلمية المكتشفة.
- الحقيقة العلمية لا تبطل مع الزمن، ولكنها قد تزداد تفصيلا ووضوحا وجلاء.
- يجب التقيّد بما تدل عليه اللغة العربية من حيث المعاني والقواعد النحوية والبلاغية.
- يجب البعد عن التأويل والإسراف في بيان الإعجاز العلمي.
- المرجعية يجب أن تكون للحقائق القرآنية، وليس للعلم التجريبي.
- يجب على المجتهدين من الباحثين أن يكونوا ملمّين من علوم القرآن والرجوع إلى أمهات كتب التفسير بالتأني.
- كذلك يجب عليهم أن يكونوا على معرفة تامة بالظاهرة العلمية قيد البحث وتاريخ المصطلحات الفنية المتعلقة بها.

---

(١٩) إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام: ٣٢٩.

الأسئلة:

١. عرّف الإعجاز العلمي لغة واصطلاحا؟

٢. ما هي ضوابط مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة؟

٣. ما هي ضوابط تفسير الآيات الكونية؟

٤. اذكر باختصار ضوابط البحث في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم؟

٥. ما هي ثمرة وضع الضوابط للإعجاز العلمي؟

الدرس الحادي والعشرون: البعد التاريخي للإعجاز العلمي[20]

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على البعد التاريخي للإعجاز العلمي.

أهداف ثانوية في الدرس:

١. التعرف على أهم المراحل التاريخية لتطور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

٢. التعرف على أهم المؤسسات المختصة بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

المحتوى العلمي:

المرحلة الأولى: تاريخه من كتب الإعجاز حتى التفسير العصري

لو حاولنا أن نرجع في التاريخ إلى الوراء إلى زمن النبوّة وما بعدها، للتعرف على كيفية تصور القرآن عندهم، لوجدنا ما يعيننا على التأصيل الفكري للإعجاز العلمي للقرآن، وأنه كانت هناك بدايات لتفسير القرآن علميّا وضمن مفردات كل عصر، وما وصل إليه من تطور

---

(٢٠) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن، (للسامي): ٢٣.

هذه العلوم آنذاك، ففي الحديث النبوي عن الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام قال: أما إني قد سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه[٢١].

ولقد كان هذا التصوّر سائدا عند الصحابة والتابعين، لذا فإن الإمام الغزالي ينقل في إحياء علوم الدين عن بعض العلماء: «أن القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف ومائتي علم، إذ كل كلمة علم»، ثم يروي عن ابن مسعودرضي الله عنه أنه قال: «من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبّر القرآن»، ثم يقول بعد ذلك: «وبالجملة، فالعلوم كلها داخلة في أفعال اللهعز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها»، ثم يزيد في ذلك فيقول: «بل كل ما أشكل فهمه على النظّار واختلفت فيه الخلائق في النظريات والمعقولات، في القرآن إليه رمز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها، فتفكّر في القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين».

---

(٢١) الحسن الديلمي، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ١٣، مؤسسة آل البيتعليهم السلام لاحياء التراث.

أما السيوطي فيعتبر احتواءه على علوم ومعارف - لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحد - في كلمات قليلة وأحرف معدودة، أول وجه من وجوه إعجاز القرآن، ويروي أحاديث وآثار كثيرة في هذا الصدد، منها ما رواه البيهقي عن الحسن؛ قال: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها؛ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة في الفرقان. ويروى عن ابن مجاهد أنه قال: ما من شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله ﷻ، وعن ابن عباس أنه قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله. ثم يستعرض السيوطي جميع العلوم النابعة من القرآن، فيجمع كل العلوم الموجودة في عصره، ويصل إلى القول: «وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل، مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك»، وينقل عن الراغب قوله: إن الله تعالى كما جعل نبوءة النبيين بنبيّنا ومولانا محمّد ﷺ مختتمة، وشرائعهم بشريعته من وجه منتسخة ومن وجه متمّمة مكملة، جعل كتابه المنزل عليه متضمنا لثمرة كتبهم

وممن تابع مفردات التفسير العلمي الدكتور محسن عبد الحميد، حيث يرجع بداياته إلى الإمام الغزالي في كتاب جواهر القرآن، الذي دعا فيه إلى أن هذه العلوم المعروفة ليست أوائلها (أصولها) بخارجة عن القرآن، لأن جميعها مغترفة من بحار معرفة الله تعالى، فالعلماء بهذه العلوم هم الذين يعرفون الأسرار والسنن الكامنة وراء الآيات الكونية في القرآن الكريم، والتي تمثل بحار أفعال الله تعالى في الوجود. ويرى الدكتور عبد الحميد أن الغزالي لا يعتقد بوجود هذه

العلوم جميعها بتفاصيلها في القرآن، وإنما كان يعتقد أن موازينها ومفاتيحها هي الموجودة فيه، ولعل أكثر من تعامل بمفردات العلوم من تفاسير القرآن هو الفخر الرازي في تفسيره الكبير الذي آمن بمقولة الغزالي وأكثر من استخدامها في تفسيره.

إذن فالقدامى من العلماء والباحثين ومن الصحابة والتابعين كانوا يعتقدون أن كل العلوم في القرآن، سواء عرفوا هذه العلوم التي كانت في عصرهم أو لم يعرفوها، وأن فيه علم الأولين والآخرين.

المرحلة الثانية: الإنحرافات التفسيرية للقرآن

نلاحظ أن جميع المعارضين لتفسير القرآن علميّا، تنصب ملاحظاتهم على ممارسات بعض المفسرين وانحرافاتهم فيها، ولم أجد من يعترض مبدئيا أو فكريا أو يعطي قانونا عاما يبرّر به سبب رفضه للإستفادة من العلوم والمعارف الحديثة في تفسير القرآن. فالدكتورة عائشة عبد الرحمن حينما تتحدث عن سلبيات التفسير العلمي، تضع أمامها تفسيرات مصطفى محمود المبتسرة والتي لا تصمد كثيرا أمام النقد، حتى كتب أكثر من واحد كتابا كاملا في الرد عليه، منهم الدكتور عبد المتعال الجبري في كتاب شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم، أما كتاب الدكتورة عائشة: القرآن والتفسير العصري، فهي تؤكد فيه أننا نتورط من هذا المنهج في التفسير إلى مزلق خطر يتسلل إلى عقول أبناء هذا الزمان وضمائرهم، فيرسخ فيها أن القرآن إذا لم يقدم لهم علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك وأسرار البيولوجيا والإلكترون والذرة ليس صالحا

لزماننا ولا جديرا بأن تسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطقنا العصري. وهكذا تصل إلى القول بأن مثل هؤلاء الذين يلحّون على التفسير العصري للقرآن يغرون أبناءنا بأن يرفضوا القرآن كما فهمه الصحابة في عصر البعث ومدرسة النبوة، ليفهموه في تفسير عصر من بدع هذا الزمان.

لا شك أن التطرف في التفسير العلمي هو الذي جعله ينحرف عن مساره كتفسير، إضافة إلى عدم تقيده بالضوابط المعمول بها للتفاسير، حاله حال مدّعي التجديد، كما يسمّيهم خالد العك، فيذكر ثلاثة منهم، هم مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم، والشيخ أبو زيد الدمنهوري في الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، والأستاذ عبد الودود يوسف في تفسيره تفسير المؤمنين، ويذكر مثلا أن انحرافات مصطفى محمود نشأت من نقاط منها: تصويره أن القرآن الكريم إذا لم يقدّم للناس علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك وأسرار البيولوجيا والإلكترون والذرة، فليس صالحا لزماننا ولا جديرا بأن تسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطقنا العصري.

المرحلة الثالثة: حركة التفسير من جديد

بعد ظهور الأخطاء والإنحرافات التفسيرية للقرآن الكريم، وبعد معركة النقد الطويلة لأصحاب التفسير المعاصر، وبواسطة عناصر المعرفة الكلامية والفلسفية الإسلامية، فتعالت الصيحات أنه يجب أن نضع ضوابط لطريقة فهمنا وتفسيرنا للقرآن على ضوء العلم بدقة عالية لكي لا تشتبه علينا الأمور، لأن أكثر الملاحظات الواردة على التفسير العلمي جاءت من أسلوب التعامل بين الحقيقة العلمية والقرآن، وعلى

هذا الأسلوب سليما أو خاطئا، كانت الأحكام تطلق على التفسير العلمي للقرآن رضا وقبولا أو رفضا واحتجاجا، على أن من الملاحظات التي ذكرت على هذا التفسير أيضا أنها قد تطغى تلك المباحث عن المقصود الأول في القرآن وهو الهداية والإعجاز، وهو ما وصف به تفسير طنطاوي أن فيه كل شيء إلا التفسير، لأن إسراف المفسّر من هذا يجعل التفسير ليس بتفسير، حيث يكون أشبه بكتب العلوم والفنون منه بكتب التفسير.

ومن هنا كانت دعوة جمال الدين الأفغاني إلى النهضة واليقظة بإعادة النظر في تفسيراتنا للقرآن. يقول الدكتور محسن عبد الحميد وهو يبحث المدرسة الحديثة في تفسير القرآن: هاجم الأفغاني بشدة المناهج التفسيرية التي أقحمت علوما ومصطلحات غريبة عقلية ولغوية ونقلية في تفسير الآيات، فحجبت حقائقه عن الناس، وصنعت من تفسير آياته أحاجي معقدة لا يستطيع إلا العالم الخبير أن يقترب منها، وتحوّلت كتب التفسير إلى ميادين تعبيرية بالغة الصعوبة يستعرض فيها العالم قوته كلها لإغلاق العبارات، فحرم المسلم من تذوّق القرآن وفهم آياته والإنفعال بروحه. ودعا الأفغاني إلى فهم القرآن والسنّة النبوية الصحيحة وأعمال السلف الصالح، أما ما تراكم عليه وتجمّع حواليه من آراء الرجال واستنباطاتهم ونظراتهم فينبغي أن لا نعوّل عليها وحيا، وإنما نعوّل عليها رأيا، ولا نحملها على أكفنا مع القرآن في الدعوة إليه وإرشاد الأمم إلى تعاليمه. وكان يدعو إلى منهج في التفسير يقلع ما رسخ في عقول العوام ومعظم الخواص من فهم بعض العقائد الدينية

والنصوص الشرعية على غير أوجهها، مثل حمل نصوص القضاء والقدر على معنى يوجب عليهم أن لا يتحرّكوا إلى طلب مجد أو تخلص من ذلّ.

وهكذا نرى أن الدكتور محسن عبد الحميد يعتقد أن الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا أعادوا للقرآن صورته الحقيقية بعد نزع كل الخرافات والتأويلات والتفسيرات اللغوية واللفظية وكل ما حجب حقيقة القرآن وروحه عن المسلمين، وكان تفسيرهم المشترك المنار هو خير التفاسير التي قدمت لبداية التفسيرات الحديثة للقرآن.

المرحلة الرابعة: الإعجاز العلمي في القرن الأخير

ثم وصلت المراحل التاريخية إلى اكتشاف الشروط الضامنة للتفسير العلمي الصحيح وذلك بالبحث عن ضوابط الإعجاز العلمي والتفسير العلمي، ثم كتب كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وبعد ذلك تأسست موسسات ومراكز خاصة للإعجاز العلمي في نهاية القرن العشرين، مثل:

١ـ رابطة العالم الإسلامي (الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنّة).

هذا المركز تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامي، ومقرّه في مكة المكرمة ويدار تحت سيطرة الحكومة السعودية. وفي هذا المركز قسم بعنوان «الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنّة»، ونشاط هذه الهيئة يتركز في أبحاث الإعجاز العلمي للقرآن والسنّة، ووضعها بين أيدي الناس.

ولهذه الهيئة مجلة باسم «الإعجاز العلمي» وقد صدر منها حتى عام ١٤٢٩ق إحدى وثلاثون عددا، وغالبا ما تتعرض لأبحاث العلوم الطبيعية وأحيانا تتعرض لأبحاث العلوم الإنسانية. ولهذا المركز موقع على شبكة الإنترنت في تسع لغات (العربية، الفرنسية، الإنجليزية، التركية و...) وللمركز فروع في دول أخرى كمصر، وله مهرجانات سنوية بخصوص الإعجاز العلمي للقرآن، وينعقد في كل عام في بلد معين.

٢. المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

هدف هذا المعهد تعليم العلوم الإسلامية للطلاب في جميع أنحاء العالم، وهو في الحقيقة جامعة إفتراضية، ويتوزع نشاطه العلمي في الإقتصاد والسياسة والتربية وعلم النفس وعلوم القرآن وقواعد التفسير وعلوم الحديث والفقه والأصول الأدب العربي.

يرئس المعهد الدكتور عبد الحميد أبو سليمان الذي يقيم في أمريكا، ويبدو أن قسما من هذا المركز في بيروت لكن إدارته في أمريكا.

وللمعهد مجلة باسم «إسلامية المعرفة» والتي تختص بأبحاث العلوم الإنسانية على أساس القرآن، وقد صدر منها ستون عددا، ولهذا المعهد كراس في عدة دول، منها مصر، الأردن، لبنان، المملكة العربية السعودية، وفي المغرب.

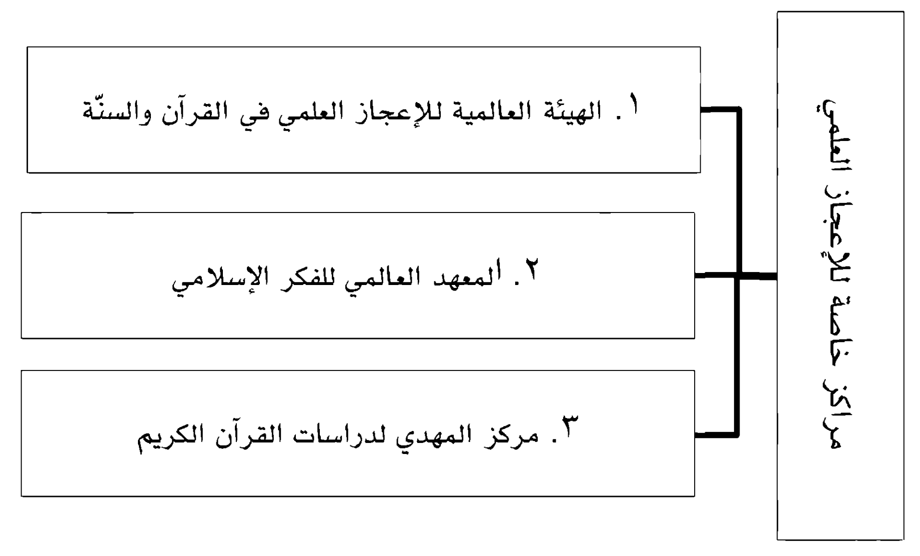
وأصدر المعهد لحد الان مئة وثمانين كتابا، كان أغلبها في مجال الأبحاث ذات التخصصين في القرآن والعلوم أو الإسلام والعلوم الحديثة، كالإقتصاد والسياسة.

٣. مركز المهدي لدراسات القرآن الكريم.

يقع المركز في مدينة قم وهو مؤسسة علمية مستقلة في مجال الأبحاث النظرية ذات التخصصين القرآنية والعلوم وكذلك في مجال القرآن والمستشرقين.

تأسس عام ١٣٨٤هـ ش من قبل الهيئة المؤسسة، وهم: حجة الإسلام الدكتور محمد علي رضائي الأصفهاني، الدكتور محمد حسن زماني، الدكتور محمد جواد إسكندر لو، الأستاذ عبد الكريم بهجت بور، الدكتور السيد عبد الكريم الحيدري، الدكتور السيد رضا مؤدب، الأستاذ محمد فاكر ميبدي، الدكتور علي نصيري، الأستاذ حسين علوي مهر. ويتولى مسؤولية المركز الدكتور محمد علي رضائي الأصفهاني، وللمركز فريقان علميان، هم: القرآن والعلم، والقرآن والمستشرقون.

وقد صدر عن هذا المركز لحد الآن أكثر من مئة وسبعين أثرا والتي أغلبها كانت في مجال الأبحاث ذات التخصصين للقرآن والعلوم الطبيعية والإنسانية، وصدر أيضا مئة وعشرون قرصا مدمجا (سي دي) قرآنيا، وكان بعضها في القرآن والعلوم.



موسسات ومراكز خاصة للإعجاز العلمي في القرن الأخير

خلاصة الدرس الحادي والعشرون:

نستخلص من هذا الدرس أمرين مهمّين:

الأمر الأول: التعرف على البعد التاريخي للإعجاز العلمي، تحت مراحل:

١. تاريخه من كتب الإعجاز حتى التفسير العصري.

٢. الإنحرافات التفسيرية للقرآن.

٣. حركة التفسير من جديد.

٤. الإعجاز العلمي في القرن الأخير.

الأمر الثاني: أهم المؤسسات المختصة بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

١- الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنّة.

٢- المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٣- مركز المهدي لدراسات القرآن الكريم.

الأسئلة:

١. ما هي نظرية العلماء القدامى حول التفسير العلمي للقرآن؟

٢. ما هو منشأ معارضة التفسير العلمي؟

٣. اذكر بعض المراكز المخصّصة للإعجاز العلمي؟

الدرس الثاني والعشرون: أوجه ونماذج الإعجاز العلمي للقرآن الكريم[22]

الهدف الأساس للدرس:

التعرف على نماذج من الإعجاز العلمي.

المحتوى العملي

نريد في هذا الدرس أن نعرض لكم بعض النماذج والأمثلة التي تشير إلى الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وهي كما يلي:

١- في آيات السماء:

يقول اللهﷻ في كتابه الكريم: **﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾**[23].

تشير هذه الآية القرآنية الكريمة إلى بعض الظواهر الكونية التي أخبر بها اللهﷻ لتدل على كمال قدرته وبالغ حكمته، ومنها أنه خلق السموات مرتفعات بغير عمد، اي دعائم يمكن رؤيتها بالبصر. وقد جاء

---

(٢٢) البحث مستل وملخص من كتاب الموسوعة القرآنية المتخصصة، محمود حمدي زقروق، وزارة الأوقاف المصرية، ٢٠٠٢ م، القاهرة.

(٢٣) الرعد: ٢.

في تفسير ذلك عن ابن عباس ومجاهد والحسن أنهم قالوا لها عمد ولكن لا ترى.

ولو قيل بغير عمد فحسب، لكان ذلك نفيا مطلقا للعمد، مرئية وغير مرئية. والنفي المطلق يخالف الواقع الذي أودع الله تعالى فيه سننه ونواميسه وآياته التي وعد سبحانه بإظهارها مستقبلا على أيدي من يشاء من عباده، وبهذا يكون المعنى العام أن اللهﷻ خلق السموات ورفعها وربط بين أجزائها وحفظ اتّزانها في مواقعها التي قدرها لها من غير دعائم مرئية، لأن هذه الدعائم من شأنها وطبيعتها التي أوجدها الله عليها، أنها لا ترى أصلا.

ويمكن تصور هذه الدعائم غير المرئية - من منظور العلم الحديث - بأنها من نوع القوى المجالية التي تعمل وفق قانون محدد من أجل حفظ الاتّزان الكوني والإمساك بالأجرام السماوية في أفلاكها ومنعها من الإنفراط في الفضاء أو الوقوع على بعضها البعض. وذلك أن الأجرام السماوية تتحرك تحت تأثير قوى جاذبة للربط بينها، و قوى رافعة لحفظها من السقوط.

وحيث ان قوى التجاذب الرابطة من شأنها أن تقرب وتجمع بين الأجرام، في حين تعمل طاقة حركتها - المكتسبة من القوى الرافعة - على انطلاقها بعيدا عن أعماق الفضاء طبقا لخصائص تأثير القوى في الأجسام، فإن تقرير حفظ هذه الأجرام من السقوط على بعضها البعض واستمرار دورانها في أفلاك ثابتة يستلزم بالضرورة العقلية أن يكون تأثير قوى التجاذب مساويا ومضادا - اي معادلا - لتأثير طاقة

الحركة، وتصير الأجرام بذلك على أبعاد ثابتة في مجموعاتها التي تنتمي إليها، اي أن اللهﷻ قد عادل وساوى بين تأثير قوى التجاذب الرابطة للأجرام السماوية وتأثير حركاتها المكتسبة من قوى الخلق والرفع، فحفظها ذلك الموقع الموقع الدقيق والتعادل الانيق من السقوط بتأثير القوى الرافعة، كما حفظها من التفرق بتأثير القوى الرابطة، وهكذا انتظمت مكونات الكون الهائل في نظام بديع يحكم حركتها ويمنع تصادمها رغم كثرتها ويحفظ اتّزانها واستقرارها في أفلاكها إلى ما شاء الله. قال تعالى: ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾(٢٤).

ويؤكد القرآن الكريم في آيات أخرى هذه الحقيقة الكونية وارتباط الاتزان الكوني بإرادته ومشيئته المطلقة، فيقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾(٢٥) ويقول جل وعلا: ﴿**وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ**﴾(٢٦).

ولم يتوصل العلم إلى إظهار هذه الحقيقة الكونية عن اتّزان الأجرام السماوية إلا بعد نزول القرآن الكريم بأكثر من ألف عام، وذلك عند ما اكتشف العالم الإنجليزي «إسحاق نيوتن» في عام ١٦٦٧م قانون الجذب الكوني بين جميع الكتل المادية لتفسير حركة الكواكب حول الشمس

---

(٢٤) يس: ٤٠.

(٢٥) فاطر: ٤١.

(٢٦) الحج: ٦٥.

وحركة الأقمار حول الكواكب، ثم أثبتت التجارب العملية صحة هذا القانون في عالم القياسات العادية. وقام على أساسه الكثير من الكشوف والاختراعات التي أفادت منها البشرية في مختلف المجالات، وخاصة في مجال تطوير أبحاث الفضاء وإطلاق الأقمار الصناعية التي تدور حول الأرض في مدارات مختلفة بحسب الأغراض التي صنعت من أجلها.

ويخبرنا الحقﷻ بأن نهاية العالم - عند ما تحين الساعة - ستكون بإيقاف هذه السنن والنواميس والقوانين التي اهتدى الإنسان إلى معرفة بعضها. من ذلك مثلا أن تعطيل قوانين الحركة والجاذبية - بأمر من الله - من شأنه أن يحدث انشقاقا واختلالا في توازن النظام الكوني يتبعه اضطراب في حركة الأجرام السماوية بعد انقطاع خيط الجاذبية الكونية الذي كان يربط بينها. ولا يمكن للعلم البشري أن يحيط بحقائق هذا اليوم العصيب، ولا يملك أن يزيد شيئا إلا من خلال ما توحي به النصوص القرآنية في ضوء ما يتوصل إليه العلماء من حقائق علمية، فمن المقبول عقلا أن يؤدي انفراط عقد الأجرام السماوية إلى تناثرها وتصادمها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾(٢٧)، كذلك من المقبول عقلا أن يؤدي الاضطراب في نظام الكون إلى حدوث زلزال شديد وارتجاج هائل تنهار معه كل الجبال وتتبدد صلابتها، كما تدك معه الأرض وتخرج ما في باطنها من أثقال، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾(٢٨)

---

(٢٧) الانفطار: ١- ٢.

(٢٨) الواقعة: ٤- ٥.

وقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً﴾[٢٩] وقوله سبحانه: ﴿إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها * وَقالَ الْإِنْسانُ ما لَها * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها﴾[٣٠].

ويؤكد القرآن الكريم في مواضع كثيرة على أن هذا الكون بمجراته ونجومه وكواكبه وأقماره، زمامه في يد خالقه، ونواميس الحركة والحياة فيه من تدبير هذا الخالق الواحد الذي يقول للشيء كن، فيكون. كذلك يؤكد كتاب الإسلام أن القيامة سوف تحدث بغتة بإذن الله، وأن حضارة الإنسان على الأرض سوف تذهب بها رجفة من رجفات الاضطراب الكوني يوم الدمار الأكبر لكل شيء إلا ما شاء الله. قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُها أَنَّهُمْ قادِرُونَ عَلَيْها أَتاها أَمْرُنا لَيْلًا أَوْ نَهاراً فَجَعَلْناها حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣١].

ومن العجب أن لا يؤمن الكفار بالآخرة، ويعتقدون فقط في الحياة الدنيا دون بعث؛ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٣٢]، وكأن الحياة في نظرهم مجرد أرحام تدفع وأرض تبلع، ولا خلود ولا جزاء. لكن هذا الاعتقاد يتنافى مع حقيقة العالم الآخر الراسخة في الضمير البشري لأنها ترضي الجانب النفسي والأخلاقي

(٢٩) الحاقة: ١٤.

(٣٠) الزلزلة: ١- ٥.

(٣١) يونس: ٢٤.

(٣٢) المؤمنون: ٣٧.

للإنسان، ومن هنا فإن دعوة الإسلام إلى الإيمان بحقيقة الآخرة تحقق الاتزان النفسي للإنسان، في مقابل إيمانه بحتمية الموت في الدنيا. قال تعالى: **﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾**(٣٣).

٢- في آيات الأرض:

وردت كلمة «الأرض» في القرآن الكريم في مواضع عديدة لتدل على الكوكب الأرضي بمجمله، كما في قوله تعالى: **﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾**(٣٤)، أو تدل على ذلك الغلاف الصخري من القشرة الأرضية التي نعيش عليها، كما في قوله تعالى: **﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾**(٣٥)، أو تدل على خاصية مميزة في الأرض تستحق التأمل والتفكر لأهميتها في حياة الإنسان، وباعتبارها من دلائل القدرة الإلهية على الخلق و الإبداع، كما في قوله تعالى: **﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾**(٣٦).

و«الصدع»(٣٧) في اللغة العربية يعنى الشق، وكمصطلح علمي يطلق على أي كسر في الأرض تتحرك على مستواه من الجانبين كتل الصخور، وهو ينشأ من تصدّع - اي تكسّر أو تشقق - الصخور بقوة الضغط أو الشد.

ويرى العلماء المفسرون أن آية **﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾**(٣٨) توضح صفة هامة لقشرة الأرض وطبيعتها التي يتوقف عليها كثير من التغيرات التي

---

(٣٣) البقرة: ١- ٤.

(٣٤) الذاريات: ٢٠.

(٣٥) الذاريات: ٤٨.

(٣٦) الطارق: ١٢.

(٣٧) Fault.

تطرأ على سطحها، وهي قابليتها للتشقق والتصدع. ويقسم الحق - تبارك وتعالى - بهذه الصفة للأرض لبيان أهميتها والحث على معرفة حكمتها.

فهم الأولون من هذا الوصف القرآني للأرض بأنها ذات الصدع، معنى انصداعها - اي انشقاقها - بعد ارتوائها بالمطر ليخرج منها مختلف صور النبات وما تحمله تلك النباتات من خيرات وثمار لولاها لم تستقم الحياة على الأرض. كما أن الأرض أيضا ذات الصدوع التي ساعدت على وجود منافذ في القشرة الأرضية لخروج المياه الجوفية والغاز الطبيعي والبترول إلى سطحها. وكذلك تعتبر الشقوق أو الصدوع الأخرى في وجه الأرض الرقيق وسيلة من وسائل تهوية التربة وتجديد خصوبتها.

ويلقي علم الجيولوجيا الحديث بعض الضوء على أسرار القسم الإلهي بالأرض ذات الصدع، فيكتشف العلماء في أواخر الستينات من القرن العشرين أن الغلاف الصخري للقشرة الأرضية ممزق بشبكة من الصدوع الطولية والعرضية الممتدة لمئات الآلاف من الكيلومترات، مقسمة على اثني عشر لوحا كبيرا وعدد من الألواح أو الصفائح[٣٩] الصغيرة، وأن تلك الصدوع تنتشر - أكثر ما تنتشر - في قيعان البحار والمحيطات، وأنها توجد أيضا في القارات بنسبة أقل، ويزيد عمقها عن ١٠٠ كيلومتر، وهو متوسط سمك الغلاف الصخري للأرض.

وقد ثبت بالملاحظة المباشرة وغير المباشرة أن تلك الكتل الصخرية الضخمة، التي تعرف باسم «ألواح الغلاف الصخري»، تطفو

---

(٣٨) الطارق: ١٢.

(٣٩) Plates.

فوق نطاق من الصخور شبه المنصهرة يسمى «نطاق الوهن (الضعف) الأرضي»، وتتميز مادته بكثافة أعلى من كثافة الألواح الطافية فوقها، وبحالة واضحة من المرونة واللدونة تجعل الألواح تنزلق فوقها بسهولة ويسر، نتيجة لدوران الأرض حول محورها أمام الشمس. ويصبح سطح الأرض في هذه الحالة بالنسبة للإنسان أشبه بالفراش المريح أو المهاد الممتد اللذين هيأهما الله تعالى لتسهيل الحياة، وامتنّ بهما على عباده في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾(٤٠).

كذلك أثبتت أبحاث العلماء أن مراكز كل من الهزات الزلزالية والفورانات البركانية تحتشد حول الصدوع الفاصلة بين ألواح الغلاف الصخري للأرض، حيث يحدث اللقاء بين هذه الألواح - الصفائح - على امتداد حوافها أو أطرافها، أو يحدث التباعد عن بعضها البعض، أو يحدث أن يتحرك أحد الألواح بمحاذاة الآخر جنبا إلى جنب بدون تقابل أو تباعد.

وفي ضوء هذه الحركات يمكن الربط بين السلوك الداخلي للأرض وبين كل العمليات الأساسية التي تشاهد على سطحها وتغيّره بصورة مستمرة. مثال ذلك ما أثبته العلماء عند خطوط التباعد بين ألواح القشرة الأرضية، حيث تتسع قيعان البحار والمحيطات، وتندفع الصهارة الأرضية من نطاق الوهن - الضعف - الأرضي لتملأ الحيز الناشئ عن تباعد تلك الألواح، مكونة شريحة من صخور بازلتية جديدة تضاف لقاع المحيط الذي يواصل عملية الاتساع، ثم تنشق هذه الشريحة البازلتية

---

(٤٠) الذاريات: ٤٨.

في منتصفها من جديد، بفعل عملية التصدع المستمرة في قشرة الأرض، ويندفع نصفاها متباعدين عن بعضهما البعض ليمتلئ الحيز الناشئ بينهما بصهارة بازلتية جديدة، تيبس لتتصدع في وسطها من جديد، وتتكرر العملية بمعدلات بطيئة، ولكنها تؤدي في النهاية إلى استمرار اتساع قيعان البحار والمحيطات لأقصى مدى ممكن، ثم تتوقف عملية الاتساع وتعود البحار والمحيطات إلى الانغلاق بعملية معاكسة حتى تتلاشى تماما من فوق سطح الكرة الأرضية. كذلك تعمل صدوع الأرض على إثراء الغلاف الصخري بمختلف العناصر والمركبات على هيئة العديد من المعادن والركازات التي تندفع من الحمم البركانية الصاعدة إلى سطح الأرض عبر تلك الصدوع التي لولاها ما استقامت حياة الأحياء.

فتبارك الحكيم العليم الذي خلق الأرض ذات الصدع، وجعل من صدوعها مقوما أساسيا من مقومات الحياة واستمرارها على سطحها.

٣- في آيات الجبال:

من أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في آيات الجبال ما يتعلق بنشأتها وتكوينها وسبب اختلاف ألوانها الذي يعود إلى اختلاف المواد التي تكوّن صخورها. فالجبال البيضاء تتكون أساسا من الطباشير والحجر الجيري، والجبال السوداء يكثر فيها المنجنيز والفحم، والجبال الحمراء غنية بالحديد، وغير ذلك من الجبال النارية تتكون من الجرانيت والبازلت، وتحتوي على عروق الحديد والنحاس والذهب ومعادن أخرى تؤدي إلى تعدد ألوان الجبال وأنواعها.

ومن دلائل القدرة الإلهية هنا أن التباين في أحوال الجبال وألوانها وأنواعها رغم أنها ترجع أصلا إلى أرض واحدة كانت تكوّن مع الشمس والسموات رتقا واحدا يشير إلى الله الواحد القهار الذي أوجد هذا التباين أيضا في الناس والدواب والثمار، وحث العلماء على اكتشاف الحكمة من ورائه. قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَمِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾**(٤١).

من ناحية أخرى، ورد تشبيه الجبال بالأوتاد في قوله تعالى: **﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً * وَالْجِبالَ أَوْتاداً﴾**(٤٢)، وفي هذا إعجاز علمي رائع. فالجبال فيما يتبادر إلى الذهن تشبه الأوتاد من ناحية البروز عن سطح الأرض ومن ناحية الرسوخ فيها. ولقد كشف العلم حديثا أن للجبال جذورا تمتد إلى الأغوار العميقة إلى عمق يصل إلى حوالى ٧٥ كيلومترا. وغرس الجبال على هذا النحو في الطبقة اللزجة التي تحت طبقة الصخور، هو الذي يساعد على تثبيت القارّات ويمنعها أن تطوف أثناء دوران الأرض، فهذه الأوتاد المغروسة في الطبقة اللزجة التي تحت القارات تعمل على تثبيت القارات كما يثبت الوتد الخيمة إذا غرس في تراب الأرض.

---

(٤١) فاطر: ٢٧- ٢٨.

(٤٢) النبأ: ٦- ٧.

كذلك يعمل بروز الجبال الباعث على استقرار سطح الأرض، حيث تبرز قشرة الأرض في موضع ما، فتصبح جبالا نتيجة ضغوط أثرت على أطراف طبقات أفقية من الصخور، ثم تستقر القشرة الأرضية على هذا الوضع.

وثمّة نقطة علمية أخرى، هي أن أول ما برد من الأرض أثناء تكوينها هي قشرتها الخارجية فتجمدت وظل باطنها ساخنا على هيئة سائل وغاز، وأثناء برودة القشرة تغضنت، فما ارتفع من أجزائها كوّن الجبال والهضاب، وما انخفض كوّن السهول والوديان وقيعان المحيطات.

فلولا بروز الجبال لتشققت القشرة وظهرت بها فجوات وفتحات كثيرة، ولثارت البراكين واضطربت الأرض اضطرابا عظيما وزلزلت زلزالا شديدا، فكأن الجبال حافظة لما تحتها مانعة له من الاضطرابات والزلازل والثوران، وفي هذا المعنى يقول اللهﷻ: ﴿**وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾(٤٣).

ولقد فطن بعض العلماء المفسرين إلى الإيحاءات العلمية لكلمة «رواسي» التي أخبر بها القرآن الكريم في مواضع كثيرة باعتبارها وصفا للجبال، وعلاقتها باتزان الأرض أثناء حركتها. فالواقع العلمي يشهد بأن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس، ومن المعروف أن أيّ جسم يدور في حركة مغزلية حول محوره لا يميد ولا يضطرب إذا كان هناك تماثل في الكتلة حول محور الدوران، وحيث أن الأرض لا تميد بنا أثناء دورانها، بدليل عدم شعورنا بهذا الدوران، فإنه لا بدّ أن تكون الجبال الرواسي من أهم عوامل اتزان الأرض وتماثل كتلتها على جانبي محور الدوران.

---

(٤٣) الأنبياء: ٣١.

ولنتأمل كذلك ما تدل عليه كلمة رواسي، من مقارنة تقتضي أن يكون جوف الأرض سائلا، وأن تستقر الجبال عليه، مثلما تستقر السفينة الراسية على ماء البحر. وسيولة جوف الأرض حقيقة علمية تظهر في ما نشاهده في بعض البراكين عند ثورانها، من قذفها بالحمم والصخر المنصهر. كما أن هناك حقيقة علمية أخرى تقابل المعروف، من أن متوسط كثافة السفينة - اي وزنها مقسوما على حجمها - هو أقل من كثافة ماء البحر أو النهر، وإلا لما طفت عليه ولغرقت فيه. وأثبت علماء الجيولوجيا أن الجبال لها جذور منغمسة في منصهر سائل مادته أكثف من مادتها، فبطن الأرض السائل أكثف حتى من مادتها، فبطن الأرض السائل أكثف حتى من جبالها، حيث يبلغ متوسط كثافة مادة الجبال نحو ٦، ٢ جم/ سم ٣، بينما يبلغ متوسط كثافة مادة الأرض نحو ٥، ٥ جم/ سم ٣.

فما أعظم التوافق بين حقائق العلم والقرآن، وما أروع أن نهتدي بهما معا لتعميق إيماننا باللهﷻ على هدى وبصيرة.

٤- في آيات البحار:

قال تعالى: **﴿أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾**(٤٤).

يمدنا العلم الحديث ببعض الحقائق التي تلقي مزيدا من الضوء على معاني هذه الآية الكريمة من سورة النور، فيخبرنا علماء البحار

(٤٤) النور: ٤٠.

بأن درجة الحرارة في الأعماق التي تزيد على الألف متر تتراوح بين ١-٢ درجة مئوية، اي أعلى بدرجة أو درجتين فقط من درجة الصفر المئوي التي يتجمد عندها الماء العذب. ويلاحظ أن ماء البحر- على خلاف الماء العذب - لا يتجمد عند درجة الصفر المئوي، بل عند درجة أدنى بكثير من ذلك، لأن الأملاح الذائبة في الماء تزيد من كثافته وتمنعه من التجمد عند درجة الصفر.

وتتميز البيئة البحرية على هذه الأعماق البعيدة بأنها لا تعرف تقلبات الفصول من صيف وخريف وشتاء وربيع، مثلما هي لا تعرف ضوء النهار ولا تصلها أشعة الشمس، فضلا عن أنها بيئة باردة في برودة الثلج، لا تتأثر بموقعها من خطوط العرض المختلفة بين القطبين وخط الاستواء، ومن ثمّ فهي بيئة متجانسة الخصائص إلى حد كبير.

وفي أوائل القرن العشرين تمكن العلماء من اكتشاف نوع من الأمواج الداخلية العملاقة، غير الأمواج السطحية التي نراها واضحة أمامنا على الشاطئ وتؤثر مباشرة على هدوء السطح أو اضطرابه. وقد دعمت أبحاث الأقمار الصناعية هذا الاكتشاف باستخدام تقنيّة «الاستشعار عن بعد» سنة ١٩٧٣م، وأمكن بالفعل تصوير أمواج البحر الداخلية والتأكد من وجودها عمليا عند السطح البيني الذي يفصل بين الطبقة الكثيفة السفلى في البحر والطبقة العليا الأقل كثافة، ويعزى اختلاف كثافة كل من الطبقتين إلى اختلافهما في درجة الحرارة ودرجة الملوحة.

وهناك عدة عوامل تسبب اندفاع الماء في الأمواج الداخلية بالبحر، أهمها تغير الضغط الجوي، وحركة المد والجزر، واختلاف شدة الرياح من مكان لآخر.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من الأمواج الداخلية يسود في البحار والمحيطات العميقة، مثل المحيط الهادي الذي يعتبر أكثر محيطات العالم عمقا، وفيه أخدود «الماريانـاز» الذي يبلغ عمقه نحو أحد عشر كيلومترا. وهنا نتأمل دقة التعبير القرآني الذي تحدث عن وجود هذه الظاهرة في «بحر لجي»، اي عميق كثير الماء كالمحيط الهادي وليس أيّ بحر.

من ناحية أخرى، نعرف أن مناطق البحار والمحيطات العميقة تخيم عليها دائما سحب كثيفة معتّمة بسبب عمليات التبخير المستمر، ومن يتتبع مسار الأشعة الضوئية القادمة من الشمس في هذه المناطق يجد أن جزءا كبيرا منها يتم انعكاسه أو امتصاصه بواسطة السحاب، ثم ينعكس جزء آخر بواسطة موجات البحر السطحية التي تعمل بسبب ميلها كأنها مرايا عاكسة، ويتم امتصاص الجزء الباقي من الأشعة الضوئية بواسطة طبقات مياه البحر الداخلية على أبعاد معينة تحت السطح، حيث يبدأ امتصاص ألوان الطيف المرئي تباعا حسب أطوالها الموجية، فتمتص الأشعة الحمراء ذات الموجات الطويلة قريبا من سطح البحر لعدم قدرتها على اختراق الماء إلى أعماق كبيرة، وفي أغلب الأحيان يتم امتصاص الأشعة الحمراء في العشرين مترا الأولى تحت سطح البحر، ويحدث عندئذ ما يمكن أن نسميه «إظلام اللون الأحمر»،

ونعني به إنعدام رؤية الأجسام الحمراء، فلو كان هناك غواص يسبح على عمق حوإلى ٢٠ مترا فإنه لا يرى الدم الذي ينزف من جرح في يده مثلا.

ويتوالى بعد ذلك امتصاص باقي ألوان الطيف المرئي: البرتقالي، الأصفر، الأخضر، الأزرق، النيلي، البنفسجي، وتتكون ظلمات الألوان بعضها فوق بعض، ويتلاشى أثر الضوء بعد ذلك، بحيث يخيم الظلام الدامس في المناطق اللجية (اي العميقة) من البحر أو المحيط، ولا يستطاب العيش هناك إلا لكائنات حية عمياء لا حاجة لها إلى عيون الإبصار، مثل حيوان الإسفنج وبعض أنواع الأسماك.

ولقد أمكن التأكد عمليا من هذه الحقائق العلمية عام ١٩٣٤ م، بعد أن تمكن عالمان أمريكيان من تصميم كرة معدنية تتحمل ضغوطا عالية، بها نافذة من البلور السميك محكمة القفل، ليهبطا بها إلى قاع البحر على أغوار بعيدة، وليدرسا طبيعة الأحياء الموجودة هناك بالقرب من جزيرة برمودا في المحيط الأطلسي، حيث لاحظا اختفاء الضوء الأحمر عند عمق نحو ١٨ مترا، والأصفر على عمق ١٠٠ متر، وتلاشي الجزء الأخضر والأزرق من الطيف عند عمق ٢٤٠ مترا، ثم غاصا في ظلام دامس بين عمق ٥٢٠ إلى ٥٨٠ مترا.

إن هذه الحقائق العلمية القطعية تؤكد أن معجزة القرآن الخالدة تتجدد مع تقدم العلم، فمن الثابت أن رسول الله ﷺ لم يغادر الجزيرة العربية ولم يسافر قط عبر تلك المحيطات العميقة حيث يذكر مثل هذا الوصف العلمي الدقيق لظلمات بعضها فوق بعض، أو يرى ما تم

اكتشافه حديثا من أمواج داخلية عملاقة من فوقها أمواج سطحية من فوقها سحاب.

٥- في عالم النبات:

قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(٤٥).

تنبه هذه الآية الكريمة إلى دلائل القدرة الإلهية في عالم النبات الذي يزخر بالكثير من الآيات الناطقة بعظمة الخالق وجلاله. ذلك أن النباتات جميعها تتغذى وتنمو في وجود الماء والضوء والكربون والأكسجين والهيدروجين والنيتروجين والفوسفور والكبريت والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم والحديد، ومع أن الغذاء بهذه المواد والعناصر واحد إلا أن الأرض ينبت فيها التفاح الحلو والحنظل المر والقطن الناعم والصبار الشائك والقمح والشعير والبرتقال والليمون والنخيل والعنب والزيتون والرمان.

تربة أرضية واحدة وعناصر غذائية واحدة وماء واحد وبذور متناهية في الصغر تنبت آلاف الأنواع من النبات و الثمار، وتتعدد الأشكال والألوان والروائح والطعوم.

وقد ربطت الآية الكريمة بين الماء والإنبات. والماء شرط ضروري وأساسي لعملية الإنبات، وقد تظل البذرة أو الحبة في التربة سنوات

---

(٤٥) الأنعام: ٩٩.

عدة، لا تنبت ولا تتحرك إلى أن ينزل عليها الماء فتبدأ عملية الإنبات العجيبة، التي قد يجريها طفل عند ما يضع البذور فوق قطعة مبللة بالماء، وهو لا يدري أنه يهيئ الظروف لعملية إنبات بالغة التعقيد.

إن من ينظر إلى شجرة التوت الضخمة، أو شجرة الكافور العملاقة، أو شجرة الجميز المعمرة، يجد أن بذورها الصغيرة - التي لا تتجاوز الواحدة منها حجم رأس الدبوس -غنية بالعمليات والمعلومات التي يعجز عن حملها أدق الحاسبات العملاقة، فقد أودع الله في هذه البذور الدقيقة شروط إنباتها ومواقيت خروج جذيرها ومراحل انقسامها واتجاه نموها، بالإضافة إلى نوع الغذاء المطلوب تركيبه ومتطلباته،يكمن فيها شكل الأوراق وألوانها وحجم الشجرة وتشريحها الداخلي ووظيفة كل عضو فيها، ومتى تزهر وتثمر، وغير ذلك من بلايين البلايين من العمليات.

وأعجب ما توصل إليه العلم الحديث في هذا المجال ملاحظة امتداد الجذر على استقامة الساق عند ما وضعت عدة أصناف من أنواع الحبوب والبذور المختلفة في سفن الفضاء لدراستها في منطقة انعدام الوزن، حيث لا أرض تجذب الجذر ولا شمس يتجه نحوها الساق.

وإذا توقفنا قليلا عند بعض ما جاء في القرآن الكريم عن أشجار النخيل وثمارها - على سبيل المثال - نجد أن العلم قد كشف عن الكثير من الفوائد والحقائق التي أشار إليها الخطاب القرآني بألطف العبارات، ومنها قوله ﷻ: ﴿**فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ إِلى جِذْعِ النَّخْلَةِ قالَتْ يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا * فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ**

جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً﴾[٤٦].

وفي هذه الآيات الكريمة إشارة واضحة إلى أهمية بلح الرطب في عملية الولادة. ذلك أن احتواء التمر على نسبة عالية من المواد السكرية يعطي طاقة عالية للمرأة الحامل والمرضع، ويعوض ما أصابها من ضعف أثناء الوضع ويعيد لها نشاطها، كما أن التمر يعوض نقص المعادن والفيتامينات، علاوة على ما ثبت طبيا من فائدته في إدرار لبن المرضع.

ومعظم السكريات التي في التمر من نوع سكر الفاكهة (فركتوز) وسكر العنب (جلوكوز)، وهي سكريات بسيطة سهلة الهضم والامتصاص والاحتراق لإمداد الجسم بالطاقة إثر تناولها بفترة قصيرة، فإن أخذتها المرأة أثناء المخاض كان ذلك من أحسن الأغذية لها، حيث إن عضلة الرحم من أضخم عضلات الجسم وتقوم بمجهود شاق أثناء الولادة التي تستهلك كمية كبيرة من الطاقة وتتطلب تعويضها بكميات جيدة ونوعية خاصة من السكريات سهلة الهضم سريعة الامتصاص والتمثل، كتلك التي في الرطب.

كما أن الرطب من المواد الملينة المنظفة للأمعاء، وذلك مما يساعد على الولادة لأن الأمعاء الغليظة والمستقيم الممتلئ بالنفايات، يعيق حركة الرحم وانقباضه. ومن المعروف طبيا أن الملينات النباتية تفيد في تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها للأمعاء الغليظة على

(٤٦) مريم: ٢٣- ٢٦.

وجه الخصوص، ولذا يحرص أطباء النساء والولادة على إعطاء الحامل عند بداية المخاض حقنة شرجية لتنظيف المستقيم والأمعاء الغليظة.

وتحتاج الحامل في حالة المخاض أيضا إلى السوائل، وذلك لأن شرب الماء يعتبر مذيبا للمواد الغذائية. ويحرص أطباء التوليد على أن يقدموا للحامل - وهي بحالة المخاض - الماء والسكر بشكل سوائل سكرية، ومن هنا فإن أكل الرطب وشرب الماء لإذابة المواد الموجودة فيه وتسهيل امتصاصها، فضلا عن أن مجهودا شاقا مثل الولادة يتطلب سوائل.

كل هذا وضح إحدى صور الإعجاز العلمي الرائع في قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً﴾(٤٧)، خاصة وأن أبحاث العلماء قد أوضحت أن البلح يضفي السكينة والهدوء على النفوس المضطربة والقلقة، ويساعد على الحيوية والإنتعاش.

٦- في عالم الحيوان:

قال تعالى: ﴿وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(٤٨).

تنبه هذه الآية الكريمة إلى دلائل القدرة الإلهية في عالم الأحياء، ويوافقها ما أكدته بحوث العلماء الذين يدرسون كل ما يتعلق بالحياة الاجتماعية لكل حيوان يسعى في الأرض أو يطير في السماء، من أن الكائنات الحية شعوب وقبائل وأمم تربطها صلات وعلاقات وثيقة، فهي

---

(٤٧) مريم: ٢٦.

(٤٨) الأنعام: ٣٨.

لا تختلف في أسلوب حياتها ونشاطها عن أمم البشر الذين لا يعمرون الأرض إلا بقدر ما يميزها عن باقي الأنواع.

وقد أصبح من المعروف حاليا أنه يوجد حوالى مليون نوع من الحيوانات المختلفة التي توصل العلم إلى معرفتها، ولا شك أن هذا العدد الضخم من الحيوانات يحتاج في دراسته العلمية إلى ترتيب وتبويب. لذلك نشأ علم خاص بهذه الموضوعات أطلق عليه اسم «علم تصنيف الحيوان». واجتهد علماء الأحياء والتشريح في وضع المؤلفات التي تبين نتائج أبحاثهم فيما يتعلق بشعب الحيوانات وما يتفرع منها من طوائف ورتب وفصائل وأجناس وأنواع، مما لا يدع مجالا للشك في أنها أمم مثل أمم البشر، سواء في حالات السلم والحرب، أو في السعي لطلب الغذاء، أو في رعاية الصغار والضعفاء، أو ما تلجأ إليه من حيل للتغلب على ما يواجهها من مصاعب وأخطار، أو في انقيادها لما هيأه لها الخالق العظيم العليم من طبيعة تتلاءم مع تكوينها وبيئتها.

وإذا اخترنا الإبل - على سبيل المثال - من بين الحيوانات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، نجد أن الله ﷻ يحثنا على التفكر والتأمل في خلقها، باعتباره خلقا دالّا على عظمة الخالق وكمال قدرته وحسن تدبيره، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾(٤٩).

وأول ما يلفت الأنظار في الإبل خصائص البنيان والشكل الخارجي الذي لا يخلو تكوينه من لطائف تأخذ بالألباب؛ فالعينان محاطتان بطبقتين من الأهداب الطوال تقيانهما الاوساخ والرمال.

---

(٤٩) الغاشية: ١٧.

أما الأذنان فصغيرتان قليلتا البروز، فضلا عن أن الشعر يكتنفهما من كل جانب ليقيهما الرمال التي تذروها الرياح. ولهما القدرة على الانثناء خلفا والالتصاق بالرأس إذا ما هبّت العواصف الرملية.

كذلك المنخران يتخذان شكل شقين ضيقين محاطين بالشعر، وحافتهما لحمية، فيستطيع الجمل أن يغلقهما دون ما قد تحمله الرياح إلى رئتيه من دقائق الرمال.

أما قوائم الجمل فهي طويلة لترفع جسمه عن كثير مما يثور تحته من غبار، كما أنها تساعده على اتساع الخطوة وخفة الحركة. وتتحصن أقدام الجمل بخف يغلفه جلد قوي غليظ يضم "وسادة عريضة لينة" تتسع عند ما يدوس الجمل بها فوق الأرض، ومن ثمّ يستطيع السير فوق أكثر الرمال نعومة، وهو ما يصعب على أية دابة سواه ويجعله جديرا بلقب «سفينة الصحراء».

ومما يناسب ارتفاع قوائم الجمل طول عنقه، حتى يستطيع أن يتناول طعامه من نبات الأرض، كما أنه يستطيع قضم أوراق الأشجار المرتفعة حين يصادفها، هذا فضلا عن أن هذا العنق الطويل يزيد الرأس ارتفاعا عن الأقدام ويساعد الجمل على النهوض بالأثقال.

وحين يبرك الجمل للراحة أو يناخ ليعدّ للرحيل، يعتمد جسمه الثقيل على وسائد من جلد قوي سميك على مفاصل أرجله، ويرتكز بمعظم ثقله على كلكله، حتى أنه لو جثم به فوق إنسان أو حيوان طحنه طحنا. وهذه الوسائد إحدى معجزات الخالق التي أنعم بها على هذا الحيوان العجيب، حيث إنها تهيئه لأن يبرك فوق الرمال الخشنة

الشديدة الحرارة التي كثيرا ما لا يجد الجمل مفترشا سواها، فلا يبالي بها ولا يصيبه منها أذى. والجمل الوليد يخرج من بطن أمه مزودا بهذه الوسائد المتغلظة، فهي شيء ثابت موروث وليست من قبيل ما يظهر بأقدام الناس من الحفاء أو لبس الأحذية الضيقة.

ومن خصائص الإبل الوظيفية، الصبر على الجوع والعطش. وحقيقة الأمر كما تؤكدها أبحاث العلم الحديث، هو أن الجمل يقتصد في استخدام ما عنده من ماء وغذاء غاية الاقتصاد بأساليب معجزة، منها أن الجمل لا يتنفس من فمه ولا يلهث أبدا مهما اشتد الحر أو استبد به العطش، وهو بذلك يتجنب بخر الماء من هذا السبيل. كذلك يمتاز الجمل بأنه لا يفرز إلا مقدارا ضئيلا من العرق عند الضرورة القصوى بفضل قدرة جسمه على التكيف مع المعيشة في ظروف الصحراء.

ويضيف علماء الأحياء ووظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) سببا جديدا يفسر قدرة الإبل على تحمل الجوع والعطش عن طريق إنتاج الماء الذي يحتاجه من الشحوم الموجودة في سنامه - أو سناميه - بطريقة كيميائية يعجز الإنسان عن مضاهاتها. ومن حكمة خلق الله في الإبل أن جعل احتياطيّ الدهون فيها كبيرا للغاية يفوق أيّ حيوان آخر، ولهذا يستطيع الجمل أن يقضي حوالي شهر ونصف بدون ماء يشربه.

وهناك أسرار أخرى عديدة في خلق الإبل لم يتوصل العلم بعد إلى معرفة حكمتها، وخاصة ما يتعلق بألبانها من حيث تركيبها وفوائدها كغذاء ودواء.

٧- في عالم الحشرات:

النحل من الحشرات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وسميت إحدى سوره بسورة النحل، وفيها يقول تعالى: **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**(٥٠).

وهنا يلخص القرآن الكريم تاريخ حياة النحل في كلمات معدودات فيها جوامع الكلم. فقد اتخذ النحل بوحي من الله بيوتا من الجبال في بادئ الأمر، ثم انحدر منها إلى الأشجار، ثم تطور إلى المعيشة في الخلايا التي يصنعها على نحو ما نعرفها اليوم.

وإن بعض العلماء الذين كرّسوا جهودهم لدراسة حياة الحشرات وقفوا على حقائق عجيبة وافقت صحة ما جاء في القرآن الكريم، منها أن هناك فصائل برية من النحل تسكن الجبال وتتخذ من مغاراتها مأوى لها، وأن منه سلالات تتخذ من الأشجار سكنا بأن تلجأ إلى الثقوب الموجودة في جذوع الأشجار وتتخذ منها بيوتا تأوي إليها. ولما سخر الله النحل لمنفعة الإنسان أمكن استئناسه في حاويات من الطين أو الخشب.

وتدل الدراسات العلمية المستفيضة لمملكة النحل أن إلهام الله ﷻ لها يجعلها تطير لارتشاف رحيق الأزهار، فتبعد عن خليتها آلاف الأمتار، ثم ترجع إليها ثانية دون أن تخطئها وتدخل خلية أخرى غيرها،

---

(٥٠) النحل: ٦٨- ٦٩.

علما بأن الخلايا في المناحل تكون متشابهة ومرصوصة بعضها إلى جوار بعض، وذلك لأن اللهﷻ قد ذلل لها الطرق وسهلها، ومنحها من قدرات التكيف الوظيفي والسلوك ما يعينها في رحلات استكشاف الغذاء وجنيه ثم العودة بعد ذلك إلى البيت.

وفي رحلة الاستكشاف لجمع الغذاء الطيب تستعين النحلة العاملة بحواسها التي منحها الله إياها، فهي مزودة بحاسة شم قوية عن طريق قرني استشعار في مقدم رأسها، كما أنها تتمتع بحاسة إبصار جيدة تميز البياض والسواد وبعض الألوان وعلى الأخص اللونين الأزرق والأصفر، وهي تمتاز على العين البشرية في إحساسها بالأشعة فوق البنفسجية، ولذا فهي ترى ما لا تراه عيوننا مثل بعض المسالك والنقوش التي ترشد وتقود إلى مختزن الرحيق ولا يمكننا الكشف عنها إلا بتصويرها بالأشعة فوق البنفسجية. ثم إذا حطّت النحلة على زهرة يانعة وبلغت رحيقها استطاعت أن تتذوقه وتحدد بحكم فطرتها مقدار حلاوته.

وفي رحلة العودة تهتدي النحلة إلى مسكنها بحاستي النظر والشمّ معا. أما حاسة الشم فتتعرف على الرائحة الخاصة المميزة للخلية، وأما حاسة الإبصار فتساعد على تذكر معالم رحلة الاستكشاف، إذ يلاحظ أن النحلة عند ما تغادر البيت تستدير إليه وتقف أو تحلق أمامه فترة وكأنها تتفحصه وتتمعنه حتى ينطبع في ذاكرتها، ثم هي بعد ذلك تطير من حوله في دوائر تأخذ في الاتساع شيئا فشيئا، وعند ما تعود إلى البيت تخبر عشيرتها بتفاصيل رحلتها وتدل زميلاتها على مكان الغذاء، فينطلقن تباعا لجني الرحيق من الزهور والإكثار منه لادخار ما يفيض عن الحاجة العاجلة لوقت الشتاء ببرده القارس وغذائه الشحيح.

وقد أوضحت أبحاث العلماء حديثا أن للنحل لغة خاصة يتفاهم بها عن طريق الرقص، وأن للنحلة الشغالة في جسمها من الأجهزة ما يجعلها تستطيع قياس المسافات والأبعاد والزوايا بين قرص الشمس والخلية، ثم إنها تستخدم لغة سرية للتخاطب عن طريق رقصات خاصة معبرة تنبئ بها أخواتها عن وجود الرحيق الحلو وتحدد لهن موضعه تحديدا دقيقا من حيث زاوية الاتجاه إليه وبعده عن بيتها. فمثلا الرقص الدائري يعني وجود مكان غني بحبوب اللقاح يقع بالقرب من موقع خلية النحل، بينما الرقص المتعرج الإهتزازي يعني أن مركز الخلية بعيد عن موقع الرحيق.

وتستطيع العشيرة الواحدة من النحل أن تجمع نحو ١٥٠ كيلوجراما من العسل في الموسم الواحد. والكيلوجرام الواحد من العسل يكلف النحلة ما بين مائة وعشرين ألف إلى مائة وخمسين ألف حمل من الرحيق تجمعها بعد أن تطير مسافة تعادل محيط الكرة الأرضية عدة مرات في المتوسط.

وتستطيع النحلة أن تطير بسرعة ٦٥ كيلومترا في الساعة، وهو ما يعادل سرعة القطار. وحتى لو كان الحمل الذي تنوء به يعادل ثلاثة أرباع وزنها فإنها يمكن أن تطير بسرعة ٣٠ كيلومترا في الساعة.

وقد أثبت العلم أن اختلاف كل من تركيب التربة والمراعي التي يسكنها النحل يؤثر تأثيرا كبيرا في لون العسل، كما أن العلماء لا يزالون يجدّون في كشف المزيد من الفوائد الغذائية والعلاجية لعسل النحل بعد أن تأكدت فعاليته في قتل الجراثيم وزيادة المناعة والتئام الجروح.

فتبارك الخالق العليم الذي ألهم النحل لتأكل من كل الثمرات وتسلك سبل ربها - على صغر جرمها - ذللا، لطفا بها فيما هي محتاجة إليه ليهنأ عيشها، ثم تخرج ما في بطونها من شمع أبيض وعسل مختلف ألوانه؛ ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٥١).

٨ - في عالم الطيور:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٥٢).

تلفت هذه الآية الكريمة أنظار المؤمنين إلى آيات الإعجاز في طيران الطيور، وتدعو أصحاب العقول الراجحة إلى تأمل حكمة الخالق - جلت قدرته - فهو الذي خلق جميع الكائنات الحية والجامدة، وأودع فيها خصائصها، وهو الذي خلق قانون الجاذبية بين الأجرام التي يجذب بعضها بعضا، ولكنه - وهو اللطيف الخبير بحاجات خلقه - يسّر الطيور لما خلقت له، فأودع في أجسامها من آيات الخلق والبناء، ومما فطرها عليه من حسن الأداء، ما يجعلها تتغلب على قانون الجاذبية وتحلق حرة طليقة في جوّ السماء؛ ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾(٥٣).

وتتحلى الطيور عامة بخصائص مهمة لا بدّ من توفرها في أية آلة طائرة، مثل خفة الوزن ومتانة البناء وانسياب الجسم ودقة الإتزان.

---

(٥١) النحل: ٦٩.

(٥٢) النحل: ٧٩.

(٥٣) النحل: ٧٩.

فهياكل الطيور العظمية خفيفة للغاية، حيث لاحظ علماء البيولوجيا أن بعض الأجزاء قد اختصر والتحم بعض عظامها ببعض، وتحول معظمها إلى أنابيب رقيقة جوفاء، لكنها في الوقت نفسه متينة ومرنة وقادرة على تحمل القوى المفاجئة التي يتعرض لها الطائر أثناء مناوراته البهلوانية في الجوّ.

أما رءوس الطيور فقد صغرت وخلت من الأسنان، ومن ثمّ لم تعد بحاجة إلى فكين ثقيلين وعضلات كبيرة لتحريكهما، فجمجمة الحمامة مثلا تزن سدس ما تزنه جمجمة الفأر الكبير، وطائر الفرقاط - الطائر البارج أو الطائر العملاق - الذي يبلغ طول ما بين طرفي جناحيه المبسوطين أكثر من مترين، لا يزن هيكله العظمي كله أكثر من ١١٣ جراما تقريبا، اي أقل من وزن ريشه. وقد عبّر أحد العلماء عن الإبداع في بناء جمجمة الطيور بأنها: شعر منظوم في عظام.

وأما ريش الطيور فيتميز بأنه مكيف بدقة بالغة لترويح الهواء وتخفيف كثافة الجسم وعزله عزلا جيدا عن الجوّ، فضلا عن مرونته الفائقة التي تمكنه من الإلتواء والإنثناء لتلبية حاجات الطيران سريعة التغيّر. وأهم ما يميز الريش أن توزيعه يهذب زوايا الجسم البارزة.

وهناك خصائص وظيفية أخرى تتمتع بها الطيور، من أهمها ارتفاع معدل العمليات الحيوية في داخل أجسامها. فهي على سبيل المثال، أقدر من الحيوانات الثديية في هضم الطعام، وقلبها أقوى وأكبر وأسرع نبضا مع حفظ النسبة، وضغط دمها أقل، ونسبة السكر فيه أكثر، ودرجة حرارتها أعلى، وجهازها التنفسي أكفأ، حيث تتصل الرئتان

بمجموعة من الأكياس الهوائية المنتشرة في أنحاء الجسم، مما ييسر تبريد أجسامها أثناء الطيران، فضلا عن الإسهام في تخفيف وزنها، وهذا كله يجعل من أجهزتها آلات رائعة لإنتاج الطاقة اللازمة للطيران، فهي تستخدم غذاءها بكفاءة تفوق أضعاف كفاءة أحدث الطائرات في استخدام وقودها.

وبالنسبة لذيل الطائر فتكاد تنحصر مهمته في التوجيه، ولكنه إذا نشر مبسوطا زادت مساحة السطح، وقد يستغل هذا أحيانا في الرفع وأحيانا في تقليل سرعة الهبوط.

ويوازن الطائر حركته بواسطة جناحيه. وقد قرر القرآن الكريم - في بيان معجز - حقيقة أن جناحي الطائر هما جهاز طيرانه الأساسي، وهذا يتفق في بساطة ووضوح مع ملاحظة الفطرة السليمة والدراسة العلمية المدققة على حد سواء. قال تعالى: ﴿**وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ**﴾(٥٤). وفي أثناء خفق الجناح تغيّر أجزاؤه، وبخاصة ريشاته القوادم، أشكالها وأوضاعها وزواياها وسرعة حركتها في كل لحظة مع اختلاف الارتفاع وشدة الهواء واتجاهه ومتطلبات الطيران المتغيرة. وهذا كله يتم بصورة آلية وبسرعة مذهلة لم يستطع العلماء إدراك بعضها إلا بأدق آلات التصوير السريع والعرض البطيء.

وليس الطيران بالنسبة للطيور مجرد وسيلة للانتقال المعتاد، فللطائر فيه مآرب أخرى كثيرة، من ذلك أن كثيرا من الطيور يلقف

---

(٥٤) الأنعام: ٣٨.

طعامه من الحشرات في أثناء طيرانه، كما أن بعضها يصيد فريسته من ذوات الجناح وهما محلقان في الجوّ، وقد يقذف بعضها إلى بعض الطعام وهي راكبة متن الهواء. وللطيور أفانين كثيرة من العراك واللهو والغزل الطائر.

والطيور الصافات، اي التي تبسط جناحيها دون حراك، تستطيع أن تمضي في الهواء بجناحين ساكنين إلى أبعد المسافات، وكأن قوى خفية تشدها وتحركها كيف تشاء.

وهذه الطيور المتخصصة في هذا النوع من الطيران تستطيع أيضا أن ترفع جناحيها أو تخفضهما أو تدفعهما إلى أمام أو خلف، أو أن تقلل من مساحتهما بقبضهما قبضا يسيرا، أو أن تديرهما من مفصل الكتف ليقابلا الهواء بزوايا مختلفة تؤثر في سرعتها، أو تلوي أجزاء منها، وما إلى ذلك، وهي في أثناء هذا كله تحرك ذيلها بالصورة المناسبة. وتتميز الطيور الصافات باختصار حجم عضلات صدرها التي تحرك جناحيها، لقلة الحاجة إلى استخدامها، مع قوة الأوتار والأربطة المتصلة بالجناحين حتى تستطيع بسطها فترات طويلة دون جهد عضلي كبير.

ولقد علمت هذه الطيور قدر خالقها، وصدق فيها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ﴾(٥٥).

(٥٥) النور: ٤١.

٩- في الآفاق وفي الأنفس:

إن مادة الكون هي كل ما خلق اللهﷻ في عالم الشهادة، اي العالم الذي نحسه بحواسنا أو ندركه بأجهزة وأدوات تقوم مقام الحواس، مثل المجاهر (الميكروسكوبات) التي تيسر رؤية الأجسام الدقيقة، والمقاريب (التلسكوبات) التي تمكن الراصد من رؤية الأجسام البعيدة، أو غير ذلك مما لم يتمكن الإنسان بعد من إدراكه والتعرف عليه في هذا الكون الفسيح الذي لا يعلم مداه إلا الله وحده.

ويمثل الضوء نعمة النور الذي تبصر به العين بإذن ربها، فترى العديد من الآيات البينات في الآفاق وفي الأنفس، التي تذكّر الإنسان بما يحتوي عليه الكون من العجائب والمعجزات وتنير له طريق الهداية والصواب.

والطريقة التي تؤدي بها العين وظيفتها في الإبصار كانت مجهولة حتى عصر الإسلام، فقد كان الاعتقاد السائد عند الفلاسفة القدماء هو أن إبصار الموجودات يتم بخروج النور من عين الإنسان فيحيط بالأشياء ويتم إدراكها بالرؤية المباشرة، أو أن الإبصار يتم بانطباع صور الأشياء من البصر دون أن يرد منها شيء للعين. ومثل هذه الآراء الفلسفية الخاطئة علميا عطلت منهج البحث العلمي السليم وأخّرت ظهور نظرية الإبصار الصحيحة إلى أن جاء عصر الحضارة الإسلامية واستطاع علماؤها الأفذاذ - بفضل المنهج الإسلامي في البحث والتفكير - أن يسلكوا طريقة استقرائية دقيقة لدحض الآراء الفلسفية القديمة، وتحقيق نظرية جديدة في الإبصار على أساس الوجود المستقل للضوء كمؤثر خارجي. وكان الحسن ابن الهيثم في مقدمة علماء

المسلمين الذين وضعوا الأسس العلمية السليمة لعلم الضوء والبصريات، وصنف في هذا العلم كتابا رائدا أسماه «المناظر» واعتمد عليه علماء أوروبا في عصر النهضة الحديثة.

ووافقت النظرية الجديدة ما أخبر به القرآن الكريم من استحالة الرؤية بالعين المجردة في الظلام، وذلك في قوله تعالى: **﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً فَلَمَّا أَضاءَتْ ما حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾**(٥٦)، ففي هذه الآية الكريمة يشبه اللهﷻ حال المنافقين بمن استوقد نارا، فلما وقع ضوء النار على ما حوله من الأجسام المعتمة ثم تشتت منها كشفها للناظرين، وعند ما ذهب الله بنورهم، اي بذلك الضياء المشتت من الأجسام المعتمة الذي كان يقع على أبصارهم فيعينهم على الإحساس بالرؤية، تولدت ظلمات لا تساعد على الإبصار. وبهذا جعل الله تعالى رؤية الأجسام مرتبطة ارتباطا مباشرا بسقوط النور أو الضوء عليها ثم ارتداده منها إلى العين. أما الضوء في حد ذاته فلا يرى ولا يساعد على رؤية الأشياء دون أن يقع عليها، إذ قد يوجد هذا الضوء بجانب الشيء ولا نراه، كأشعة الشمس التي تمر خلال حجرة مظلمة دون أن تقع على شيء فيها ويكون هواؤها صافيا خاليا من الغبار، فإنها لا تبدد ظلمتها ما لم تقع على شيء يشتتها، وكالضوء الكشاف الذي يمر في الليل المظلم بجانب الأجسام المعتمة دون أن يقع عليها فإنه لا يكشفها، ولكنه إذا وقع عليها ثم ارتد إلى الأنظار حدثت الرؤية.

---

(٥٦) البقرة: ١٧.

لقد سبق القرآن الكريم إذن إلى القول باستحالة الرؤية في الظلام، اي في غياب الضوء المشتت عن الأجسام. وقد لاحظ رواد الفضاء حديثا عقب اختراقهم للغلاف الجوي أن السماء فقدت لونها الأزرق الجذاب الذي نراها به من الأرض، وأصبحت سوداء حالكة رغم سطوع الشمس وتلألؤ النجوم، وما ذلك إلا لعدم وجود الجسيمات الدقيقة الكافية لتشتت الضوء وحدوث الإبصار. كذلك لاحظ رواد الفضاء أن سماء القمر مظلمة دائما لانعدام الغلاف الجوي حول سطحه، وأن الأرض تبدو في الفضاء كرة مضيئة تسبح وسط ظلام دامس. وقد أوضحت الصور التي التقطها رواد الفضاء أثناء رحلاتهم الفضائية أن الأرض والقمر منيران بأشعة الشمس المنعكسة منهما، وأن السواد الذي يعم الصورة ما هو إلا ظلمة السماء وليلها الدائم.

وتتم رؤية الأشياء بواسطة العين نتيجة استقبالها الأشعة الضوئية التي تحمل معها صور المرئيات وألوانها، فتتكون لها صور حقيقية مقلوبة على الشبكية، وتقوم شبكة الأعصاب الحساسة على الشبكية بنقل الصور إلى المخ على هيئتها السليمة في الواقع. ولا يزال العلم عاجزا حتى الآن عن معرفة حقيقة ما يحدث في العين ذاتها عند ما ترى منظرا معينا وتحول صورته المقلوبة على الشبكية إلى إحساس بلون خاص مميز. ولا يملك أيّ عاقل أمام هذا الإعجاز في خلق العين وأدائها لوظيفتها في إبصارها للأشياء بألوانها كما هي في الواقع، إلا أن يشكر الله ويحمده على نعمائه، فهو القائل في محكم التنزيل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

﴿أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصارَكُمْ وَخَتَمَ عَلى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآياتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾(٥٧).

١٠- في قضايا علمية معاصرة:

أ. الاستنساخ:

قال تعالى: ﴿ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(٥٨).

تقرر هذه الآية الكريمة مع آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم حقيقة الوحدانية للهﷻ وتفرده بأنه الخالق الواحد لكل شيء، الجدير بالطاعة والعبادة.

وعند ما يزعم الإنسان، وهو مخلوق محدود القدرات، أنه قادر على محاكاة الخلق الإلهي ومنافسته فإنه يكون قد ضل الطريق بعيدا عن الإيمان، واستسلم لغرور العقل والمبالغة في تقديسه إلى درجه التأليه، مع أن العقل وكل ما يتوصل إليه من علوم ومعارف هي من آثار الله خالق كل شيء. لكن عند ما يزعم أمثال هؤلاء بأنهم نجحوا في ابتكار شيء ما، ظنوه خلقا جديدا وحسبوا أنفسهم خالقين، فإن القرآن الكريم يضعهم في حجمهم الحقيقي الضئيل من الجهل والعجز في مقابل قدرة الخلاق العالم البارئ المصور، فيقول: ﴿فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾(٥٩).

---

(٥٧) الأنعام: ٤٦.

(٥٨) الأنعام: ١٠٢.

(٥٩) المؤمنون: ١٤.

وكل ما يحاوله العلماء هذه الأيام هو إيقاظ الخلايا الجسدية من سباتها لتعيش أو تعمل من جديد وينشط برنامجها الوراثي كله، وكأنما هي تعود إلى حالتها الجنينية وتصبح صالحة لاستنساخ كائن جديد. فمن أبحاث العلماء في خلايا الكائنات أمكن التوصل إلى استنساخ بعض النباتات من خلايا جسدية في ساق النبات أو أوراقه أو جذوره، كما أمكن استنساخ بعض الحيوانات وتحقق بالنسبة للضفادع والفئران، وأخيرا الخراف.

هذا ما فعله الباحثون في حالة النبات والحيوان، فهل سيتحقق في الإنسان ويمكن حدوث نفس الشيء بالنسبة للبشر؟!

والتساؤل من الناحية العلمية لا يجد جوابا سهلا، فالفكرة التي طبّقت على النبات والحيوان تجد عوائق كثيرة عند تطبيقها على الإنسان. فإن القضية ذات أبعاد علمية واجتماعية وعقدية تحتاج إلى ضوابط تحكم مسيرة البحث العلمي في الطريق السليم الذي يعود على البشرية بالخير والنفع، ولا يهدد البنية الاجتماعية المستقرة للمجتمع الإنساني.

ب ـ التلوث البيئي:

يقول الله تعالى: **﴿ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**(٦٠).

تشير هذه الآية الكريمة إلى أن الفساد أو التلوث الذي تعاني منه البيئة والبشرية اليوم برا وبحرا وجوًّا؛ جاء نتيجة طبيعية لعمل الإنسان، ذلك أن البيئة من المنظور الإسلامي مرتبطة بتحمل الإنسان - دون غيره

(٦٠) الروم: ٤١.

من المخلوقات - لأمانة الخلافة في الأرض وترقية الحياة عليها حتى يستكمل حكمة الله من خلقه وخلقها، بعد أن سخّر له كل ما في الكون من نعم ظاهرة وباطنة لكى ينتفع بها ويمجد بانتفاعها ربّ العالمين.

ولا يكون الإنسان جديرا بتحمل أمانة الخلافة إذا أساء استعمال هذه النعم التي تتكون منها عناصر البيئة، أو تصرّف فيها على نحو غير مشروع جريا وراء منفعة خاصة، أو استسلاما لأنانية مقيتة.

فالخلافة تعني أول ما تعني تعمير الأرض بإشاعة الخير والسلام فيها، وبالعمل على إظهار عظمة الخالق وقدرته عن طريق الإنتفاع الإيجابي بكل المخلوقات التي سخرها الله لخدمة الإنسان. ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٦١) اي جعلكم عمارا تعمرونها وتسكنون بها، وهذا لا يتأتى إلا بأمرين، أولهما أن تبقي الصالح على صلاحه ولا تفسده، وثانيهما أن تصلح ما يفسد وتزيد إصلاحه. ولا شك أن في الأمرين خير ضمان لحماية البيئة وسلامتها.

ولقد سبق الدين الإسلامي الحنيف إلى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد، ورسم المنهج الإسلامي حدود هذه التشريعات على أساس الإلتزام بمبدأين أساسيين يحددان مسئولية الإنسان حيال البيئة التي يعيش فيها؛ أما المبدأ الأول فهو درء المفاسد، حتى لا تقع بالبلاء على العباد وتسبب الأذى للفرد والمجتمع والبيئة، حيث لا ضرر بالنفس ولا ضرار بالغير. وأما المبدأ الثاني فهو جلب المصالح، وبذل كل الجهود التي من شأنها أن تحقق الخير والمنفعة للجماعة البشرية.

---

(٦١) هود: ٦١.

وأهم ما يميز المنهج الإسلامي في الحفاظ على البيئة هو الأمر بالتوسط والاعتدال في كل تصرفات الإنسان، باعتباره من أهم عوامل الوقاية من الخلل والاضطراب في منظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله للحياة والأحياء في هذا الكون. وهذا لا يعني بطبيعة الحال أن يقف الإنسان مكتوف الأيدي إزاء نظم البيئية المحيطة به، أو أن يعطل أداء واجب الإعمار الذي تقتضيه أمانة الاستخلاف في الأرض، ولكنه يعني أن يتعامل الإنسان مع هذه النظم بما يمكنه من تطوير حياته دون إسراف في استخدام الموارد الطبيعية أو جور على حقوق الآخرين.

ت ـ احتمالات الحياة على كواكب أخرى في الكون:

قال تعالى: **﴿وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ وَهُوَ عَلى جَمْعِهِمْ إِذا يَشاءُ قَدِيرٌ﴾**(٦٢).

تشير هذه الآية الكريمة إلى وجود كائنات تدب وتتحرك في السموات والأرض، وهذه الكائنات عاقلة وذكية وعابدة، وليست قاصرة على الملائكة. وتقرر هذه الآية الكريمة أيضا أن الله ﷻ قادر على جمع هذه الأحياء وحدوث الالتقاء بينها أثناء الحياة الدنيا أو في الآخرة.

وهذا الموضوع المتعلق باحتمالات وجود كائنات حية ذكية غير الإنسان في كواكب أخرى في هذا الكون الفسيح أصبح من الموضوعات التي تجذب اهتمام الناس وتستحوذ على تفكيرهم، حيث يلهث العلم وراء البحث عن أسباب تسمح بوجود حياة على الكواكب الأخرى غير الأرض في مجموعتنا الشمسية، أو على الكواكب التي تقع في أسر جاذبية النجوم الأخرى وتدور حولها. وعادة ما يكون اكتشاف أي آثار تدل على وجود الماء من أبرز الأساليب التي ترجح الاعتقاد

---

(٦٢) الشورى: ٢٩.

بوجود حياة، حيث أن الماء هو الأصل والضروري لنشأة الحياة واستمرارها، باعتراف علماء البيولوجيا أنفسهم وبتقرير القرآن الكريم - من قبل ذلك بقرون - في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٦٣].

كذلك لا بدّ من توفر درجة حرارة مناسبة لحياة الأحياء، بالإضافة إلى ضرورة توافر عنصر الكربون الذي يمتاز بقابليته وقدرته على الاتحاد بالعناصر الأخرى في مركبات أساسية للحياة. اي أن الماء والحرارة المناسبة والكربون شروط ضرورية لقيام حياة كتلك التي نعرفها على الأرض.

ولقد أكدت رحلات الفضاء وأبحاث العلماء استحالة وجود حياة - كالتي نعرفها -على أي كوكب آخر غير الأرض في مجموعتنا الشمسية، وأصبح مطلوبا البحث عن وجود هذه الحياة الذكية المحتملة بعيدا عن المجموعة الشمسية على كواكب (أو أرضين) شبيهة بأرضنا وتابعة لنجوم (شموس) أخرى غير شمسنا في عوالم أخرى في مجرتنا أو المجرات الأخرى.

ولقد بذل الإنسان حديثا محاولات للاتصال بالعوالم الأخرى، ومن بينها المركبة بايونير[٦٤] التي أطلقت عام ١٩٧٢ م وزميلتها فوياجر٢ التي أطلقت عام ١٩٧٢، المزودتين برسائل رمزية وصورة رجل وامرأة من أهل الأرض يرفعان أيديهما رمزا للسلام، ورسائل صوتية مسجلة بلغات مختلفة وموجهة من شعوب الأرض إلى سكان العوالم الأخرى لتحيتهم وحثهم على الاتصال بنا. لكن هل سيتحقق هذا الذي يبحث عنه العلماء؟ العلم عند الله وحده القائل: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[٦٥]، صدق الله العلي العظيم.

---

(٦٣) الأنبياء: ٣٠.

(٦٤) د. أحمد فؤاد باشا، رحيق العلم والإيمان، دار الفكر العربى، القاهرة ١٤٢٢ ه- ٢٠٠٢ م.

(٦٥) الشورى: ٢٩.



نماذج من الإعجاز العلمي

الأسئلة:

١. فسّر هذه الآية الكريمة تفسيرا علميا باختصار: ﴿**اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها**﴾(٦٦)؟

٢. وضّح المراد من قوله تعالى: ﴿**وَالْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ**﴾(٦٧) توضيحا علميا مختصرا؟

٣. ما هي الآية الدالة على اختلاف الألوان في المخلوقات؟

٤. فسّر قوله تعالى: ﴿**وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ**﴾(٦٨)؟

٥. اذكر بعض خصوصيات خلق الجمل؟

---

(٦٦) الرعد: ٢.

(٦٧) الطارق: ١٢.

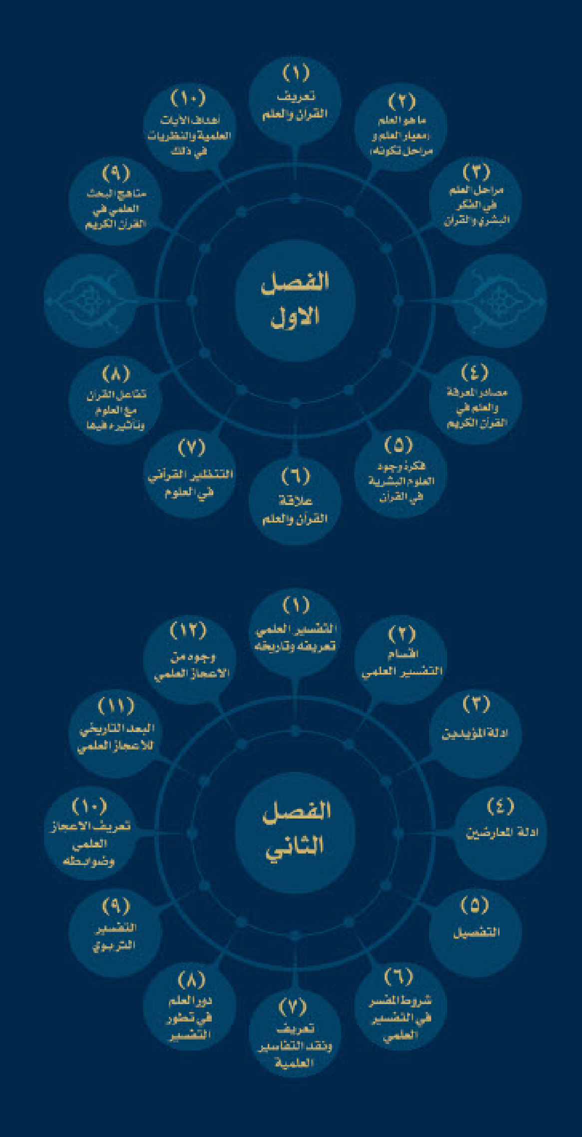
(٦٨) الأنعام: ٣٨.

دعاء الفصل الثاني

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عَزْماً جَزْماً لَا تُغَادِرُ ذَنْباً وَلَا أَرْتَكِبُ بَعْدَهَا مُحَرَّماً وَعَافِنِي مُعَافَاةً لَا تَبْتَلِيَنِّي بَعْدَهَا أَبَداً وَاهْدِنِي هُدًى لَا أَضِلُّ بَعْدَهَا أَبَداً وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَانْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وَاجْعَلْهُ حُجَّةً لِي لَا عَلَيَّ وَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ صَبّاً صَبّاً كَفَافاً كَفَافاً وَرَضِّنِي بِهِ يَا رَبَّاهْ وَتُبْ عَلَيَّ يَا اللَّهُ يَا رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَارْحَمْنِي وَأَجِرْنِي مِنَ النَّارِ ذَاتِ السَّعِيرِ وَابْسُطْ فِي سَعَةِ رِزْقِكَ عَلَيَّ وَاهْدِنِي بِهُدَاكَ وَأَغْنِنِي بِغِنَاكَ وَأَرْضِنِي بِقَضَائِكَ وَاجْعَلْنِي مِنْ أَوْلِيَائِكَ الْمُخْلَصِينَ وَأَبْلِغْ مُحَمَّداً تَحِيَّةً كَثِيرَةً وَسَلَاماً وَاهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَاعْصِمْنِي مِنَ الْمَعَاصِي كُلِّهَا وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ[1].

---

(١) الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: ١/ ٥٤.


الفصل الاول
(١) تعريف القرآن والعلم
(٢) ما هو العلم (معيار العلم و مراحل تكونه)
(٣) مراحل العلم في الفكر البشري والقرآن
(٤) مصادر المعرفة والعلم في القرآن الكريم
(٥) فكرة وجود العلوم البشرية في القرآن
(٦) علاقة القرآن والعلم
(٧) التنظير القرآني في العلوم
(٨) تفاعل القرآن مع العلوم وتأثيره فيها
(٩) مناهج البحث العلمي في القرآن الكريم
(١٠) أهداف الآيات العلمية والنظريات في ذلك
الفصل الثاني
(١) التفسير العلمي تعريفه وتاريخه
(٢) اقسام التفسير العلمي
(٣) ادلة المؤيدين
(٤) ادلة المعارضين
(٥) التفصيل
(٦) شروط المفسر في التفسير العلمي
(٧) تعريف ونقد التفاسير العلمية
(٨) دور العلم في تطور التفسير
(٩) التفسير التربوي
(١٠) تعريف الاعجاز العلمي وضوابطه
(١١) البعد التاريخي للاعجاز العلمي
(١٢) وجوه من الاعجاز العلمي